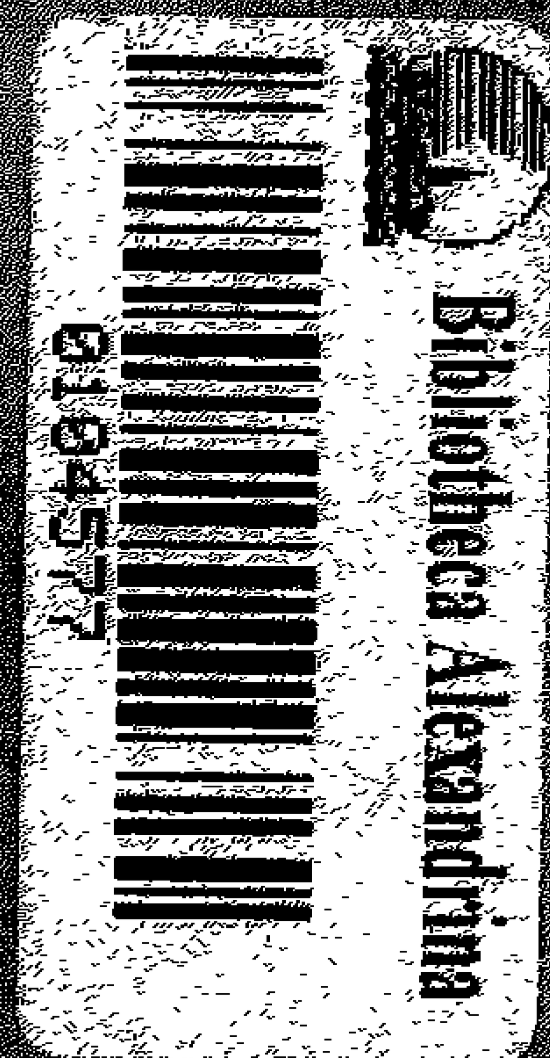
دراسات تاريخية
قبطية

دور وعلاقات الكنيسة القبطية
خلال العصر القبطي

الجزء الثاني

ما بعد مجمع أفسس الأول حتى نهاية عهد انسطاسيوس

(من ٤٣١م حتى ٥١٨م)



للإكليريكي
دياكون د./
ملاك إبراهيم يوسف
مدرس بمعهد الدراسات القبطية

مراجعة وتقديم
جناب القس/
شنودة ماهر إسحق
أستاذ اللاهوت بالكلية الإكليريكية

دراسات تاريخية

قبطية

دور وعلاقات الكنيسة القبطية
خلال العصر القبطى

الجزء الثانى

ما بعد مجمع أفسس الأول حتى نهاية عهد أنسطاسيوس
(من ٤٣١ م حتى ٥١٨ م)

مراجعة وتقديم

جناب القس /

شـــنوده ماهر إسحق

أستاذ اللاهوت بالكلية الإكليريكية

(أ . د / إميل ماهر إسحق - سابقاً)

للإكليريكى

دياكون د ./

ملاك إبراهيم يوسف

مدرس بمعهد الدراسات القبطية

الكتاب : دور وعلاقات الكنيسة القبطية .
خلال العصر القبطى - الجزء الثانى .
المؤلف: إكليريكى دياكون دكتور/ ملاك إبراهيم يوسف .
الطبعة : الأولى ١٩٩٩م .
الكمبيوتر وتصميم الغـــلاف : . Thunder Designs
م. أنطون ألبير،م. عبير زخارى. ت/٣٣٨٥٤٥٩
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست / العباسية / القاهرة .

الإيداع بدار الكتب(تدمك)رقم: ٥٩٩٦/ ١٩٩٩.
الترقيم الدولى (ISBN) : 977 - 19 - 8700 - 3.



حضرة صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث

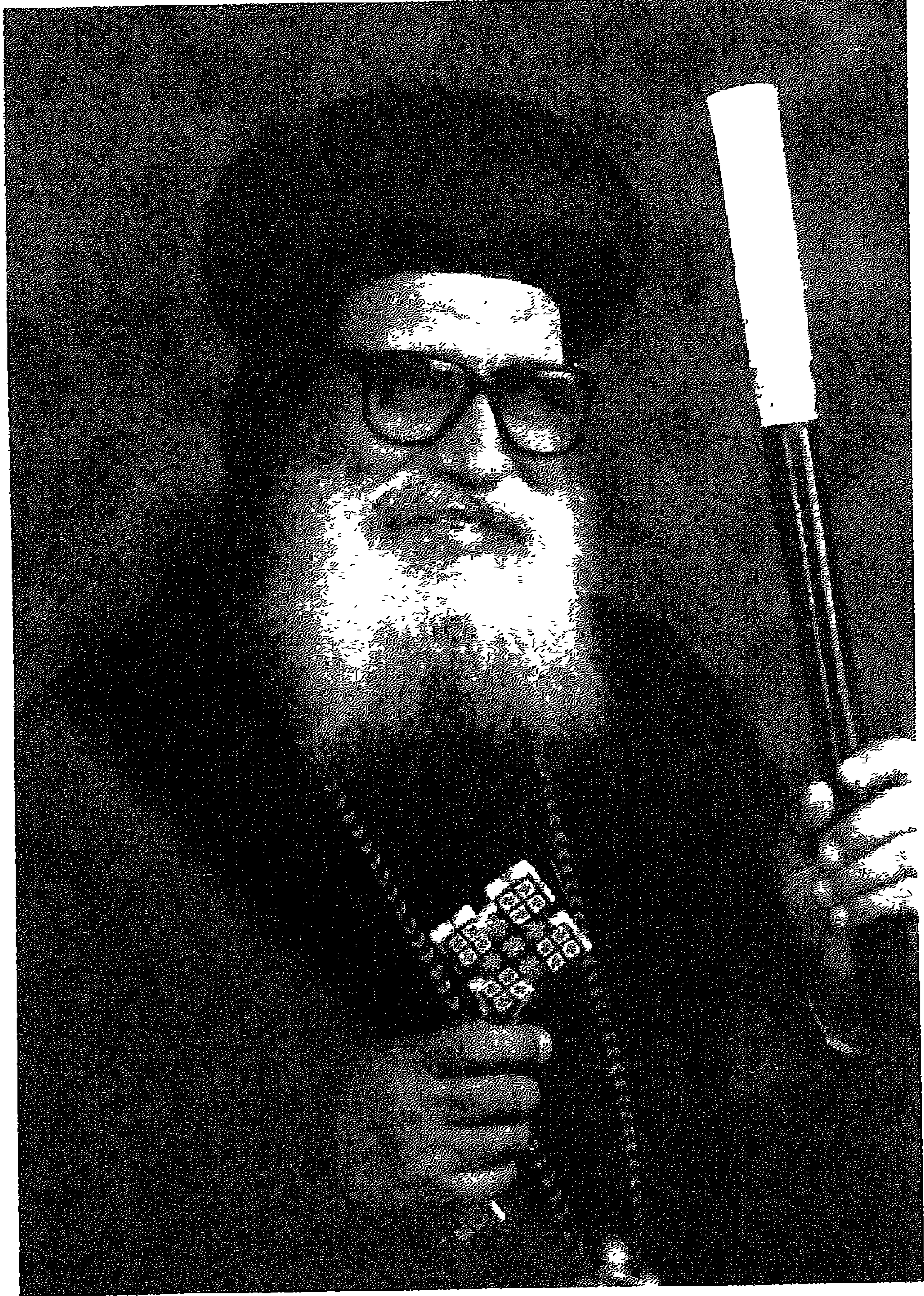
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



الحبر الطوباوى جزيل الأحترام

الأنبا دوماديوس

مطران الجيزة



نيافة الحبر الجليل الأنبا أرسانيوس

أسقف المنيا وأبى قرقاص



إهـــداء

إلى أب الآباء وراعى الرعاة ،

سيدى حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا المعظم / الأنبا شــــنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية .

الرئيس الأعلى لمعهد الدراسات القبطية ،

وأستاذ اللاهوت والتاريخ الكنسى العام بالمعهد .

الأب والراعى والمعلم

الذى ملأ قلبه وحياته بمحبة الله والكنيسة والوطن وكل البشرية .

فملأه الله بمحبته ونعمته وعلمه ومعرفته ومواهبه المتعددة ،
لكى ينهل منها الجميع بفرح ممجدين الله فى قداستكم وشخصكم المبارك .

ابنكم وتلميذكم/صلاك إبراهيم يوسف



المؤلف يتسلم شهادة الدكتوراه من يد **قداسة البابا شنودة الثالث** ،مساء الأربعاء٢٤/ ٦/ ١٩٩٨م .

المؤلف

الاســـم : ملاك إبراهيم يوسف

تاريخ ومحل الميلاد: ٢٠/ ٩/ ١٩٥٧م بقرية صفط الشرقية مركز ومحافظة المنيا.

الدرجة الشماسية : دياكون مكرس

العمل : شماس كنيسة القديس إسطفانوس بالجيزة

ومدرس بمعهد الدراسات القبطية

حاصل على :

١- ليسانس الآداب قسم التاريخ ١٩٧٩ م .

٢- تمهيدى ماجستير ١٩٨٤م من كلية الآداب جامعة المنيا .

٣- بكالوريوس اللاهوت بتقدير ممتاز ١٩٨٥م

من الكلية الإكليريكية اللاهوتية بالمنيا .

٤- ماجستير فى التاريخ الكنسى بتقدير جيد جداً ١٩٨٩ م

من معهد الدراسات القبطية .

٥- ماجستير فى الآداب " تاريخ " بتقدير ممتاز ١٩٩٥ م

من جامعة المنيا .

٦- دكتوراه فى التاريخ القبطى " فى الفلسفة فى التاريخ "

بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى فى ٤/ ٨/ ١٩٩٧م

من معهد الدراسات القبطية .

تقديم

لجناب الأب الورع القس / شنوده ماهر إسحق

أستاذ اللاهوت بالكلية الإكليريكية

(أ . د .إميل ماهر إسحق ـ سابقاً)

يقدّم لك هذا الكتاب دراسة مستفيضة تضىء أمامك حقبة بالغة الأهمية من حقبات تاريخ كنيستنا القبطية ، كانت تحتاج – فى الواقع – إلى مثل هذه الدراسات التفصيلية الدقيقة ، التى تتسم بالحيدة والجدية والأمانة العلمية .

وقد بذل الأخ الحبيب الشماس الإكليريكى الدكتور ملاك إبراهيم يوسف مجهوداً كبيراً فى تجميع الوثائق والمراجع اللازمة ، ودراستها دراسة تحليلية واعية وافية ، توصّل فيها إلى نتائج سجّلها فى رسالة للماجستير قدّمها إلى جامعة المنيا سنة ١٩٩٥م ، وأخرى للدكتوراه قدّمها إلى معهد الدراسات القبطية سنة ١٩٩٧م . وتدور كلتا الدراستين أساساً حول دور وعلاقات وتاريخ الكنيسة القبطية منذ نشأتها حتى عهد الامبراطور أنسطاسيوس (سنة ٥١٨م) .

وقد أعجبت بموضوع الرسالتين ، وتمتعت بقراءتهما بتدقيق ودراستهما دراسة فاحصة . كما كان لى شرف الاشتراك فى مناقشتهما ، والإسهام بإبداء الملاحظات اللازمة . وكان قرارنا بالإجماع فى لجنة المناقشة هو (التوصية بـ قبول رسالة الماجستير بتقدير ممتاز ، ورسالة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى .

والكتاب الذى بين يديك هو مستخرج من هاتين الرسالتين مع التعديل والاختصار للتبسيط ، لكى تتمكن أيها القارئ العزيز من الاستمتاع بدراسة هذه الحقبة الهامة من تاريخنا القبطى .

نقدم خالص التهانى للشماس الدكتور ملاك بصدور هذا الكتاب الذى يُثرى مكتبتنا القبطية فى هذا المجال .

ونسال إلهنا أن يبارك فى مجهوداته ودراساته ، بشفاعة العذراء القديسة مريم والدة الإله ، وسؤالات جميع القديسين ، وصلوات أبينا الطوباوى قداسة البابا شنوده الثالث ، وآبائنا المطارنة والأساقفة والكهنة ، وأخوتنا الشمامسة وكل المؤمنين ، آمين .

القس شنوده ماهر إسحق

سابقاً : الشماس الدكتور إميل ماهر إسحق

❀ كلمات مضيئة ❀



أولاً / كلمة للمرحوم الأستاذ الدكتور المستشار / زكي شنودة

المدير السابق لمعهد الدراسات القبطية ورئيس قسم التاريخ به .

ثانياً / كلمات للأستاذة الدكتورة / زبيدة محمد عطا

أستاذ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة حلوان .

ثالثاً / من كلمة الأستاذ الدكتور / إبراهيم أحمد العدوى

أستاذ العصور الوسطى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ـ نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً .

أولاً /

كلمة للمرحوم الأستاذ الدكتور المستشار / زكى شنودة

المدير السابق لمعهد الدراسات القبطية
ورئيس قسم التاريخ به

(+) هذه الرسالة من أجود رسائل الدكتوراة التى ناقشها معهد الدراسات القبطية منذ إنشائه حتى اليوم . والواقع أنها ليست رسالة بقدر ما هى ملحمة رائعة من ملاحم التاريخ التى كان الأقباط طرفاً فيها . وكان الطرف الثانى منها أقوى إمبراطورية من امبراطوريات العالم منذ بداية التاريخ الميلادى ، وهى الامبراطورية الرومانية قبل انشقاقها إلى امبراطوريتين . ولكن الأقباط أثبتوا فى هذه الملحمة الرائعة أنهم أقوى من هاتين الامبراطوريتين اللتين كانتا تتفاخران بجيوشهما الجرارة وأساطيلهما الجبارة . فى حين لم يكن يتفاخر الأقباط إلا بعقيدتهم القبطية الأرثوذكسية المستقيمة ، التى أظهر باباواتهم من البسالة وقوة المعارضة فى الدفاع عنها ما هزموا به هاتين الامبراطوريتين بكل صولتهما وجبروتهما ، على الرغم مما قاساه أولئك الباباوات من طرد وتشريد وحرم ونفى وتعذيب .

وقد ظل الأقباط صفاً واحداً ويداً واحدة خلف باباواتهم القديسين البواسل .

ولقد أجاد الباحث فى تصوير تلك الملحمة تصويراً رائعاً بكل إسهاب وإطناب ودقة علمية جعلت من رسالته مثالاً يحتذى به فى كل الرسائل على أعلى المستويات وفى أرقى الجامعات . وبما حرص عليه من دقة الترتيب وبراعة التبويب ، وبسط أروع التفاصيل وتفاصيل التفاصيل ، حتى ليخيل لقارىء هذه الرسالة أنه يقرأ قصة متكاملة الفصول مترابطة الحلقات . فلم يترك جزئية صغيرة إلا سلط عليها الأضواء ، سواء فى بيان أحداث مجمع نيقية ، ثم مجمع القسطنطينية ، ثم مجمع أفسس الأول ثم مجمع أفسس الثانى ، ثم مجمع خلقدونية .

(+) وهى تقديم سيادته للجزء الأول من هذا الكتاب ، عن الكلمة التى ألقاها فى مناقشة رسالة الدكتوراه مساء الإثنين ٤/ ٨/ ١٩٩٧م .

ذلك المجمع الأخير الذى نشأ عنه أبشع انشقاق بين المسيحيين فى كل أنحـاء العالم المسيحى ، حتى أصبح المسيحيون منقسمين إلى قسـمين أحـدهما يسـمى خلقيدونى والثانى يسمى لاخلقيدونى .

وقد تزعم الشعب القبطى طائفة الرافضين لمجمع خلقيدونية بعد أن تآمر ذلك المجمع على البابا القبطى الأنبا ديوسقورس ، يتزعمه فى ذلك التآمر الامبراطور وزوجته ولاون أسقف روما ، ونكلوا به وحرموه ونفوه . ولكن الأقباط ظلوا مؤمنين بعقيدته ، التى هى العقيدة السليمة المستقيمة التى سبق أن قررها مجمع نيقية ، وظلوا على ولائهم له ووفائهم لذكراه .

وقد نجح الباحث فى تصوير المؤامرة التى حاكها الامبراطور وزوجته ولاون أسقف روما ، حتى أوضح الباحث بما لا مجال فيه لأى شك أو لبس أن مجمع خلقدونية كان مؤامرة دنيئة ترمى إلى التخلص من الزعامة الدينية للأنبا ديوسقورس ورئاسته للعقيدة المسيحية فى العالم كله ، حتى لقد كان معروفاً بقاضى المسكونة .

فلم يكن مجمع خلقدونية مجالاً لأى بحث عقيدى ، وإنما كان مكيدة دبرها أعداء البابا الاسكندرى العظيم ، لشخصيته الممتلئة قداسة واستقامة وصراحة وشجاعة وثباتاً على عقيدته الأرثوذكسية إلى الرمق الأخير .

وهكذا أصبحت الدولة البيزنطية التى أصبحت تخضع لها مصر بعد انقسام الامبراطورية الرومانية منذ عهد الامبراطور قسطنطين الذى كان أول من اعتنق العقيدة المسيحية ، ولكن ذئاب مجمع خلقدونية صبوا جام غضبهم وحقدهم وحسدهم على الكنيسة القبطية فى مصر ، فأذاقوا الشعب القبطى كل صنوف الهوان والذل والقتل والتشريد . حتى فاقوا فى ذلك عصر دقلديانوس الوثنى الذى ضرب بين الأقباط أبشع مثل فى الوحشية والبطش والتعطش للدماء ، لدرجة أنهم جعلوا تاريخ جلوسه على العرش بداية لتاريخهم الذى أطلقوا عليه تاريخ الشهداء ، لبشاعة ما سفكه هذا الامبراطور المتوحش من دماء الآلاف المؤلفة من الأقباط .

وهكذا كانت علاقة الأقباط بالدولة البيزنطية ، التى أصبحت خلقيدونية ، علاقة القتيل بالقاتل والضحية بالوحش المفترس .

كل ذلك أفاض الباحث فى شرحه شرحاً مرتباً ، مسهباً ، مبوبــاً ، لم يترك فيه شاردة و لا واردة إلا أحصاها ، فأعطانا وأعطى الأجيال كلها مرجعاً رائعاً لا يدانيه أى مرجع آخر سواء فيما كتبه القدماء أو المحدثون .

وإننى لا يسعنى إلا أن أهنىء الباحث وأفخر بــه ، وأرجو من الله أن يكثر من أمثاله .

أ . د / زكى شنودة

مدير معهد الدراسات القبطية .

ثانياً /

كلمات للأستاذة الدكتورة / زبيدة محمد عطا

أستاذ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ
بكلية الآداب جامعة حلوان .

+ يسعدني ويشرفني أن أناقش اليوم في المعهد القبطي ... وبالنسبة لهذه الرسالة فإنها تمثل أهمية خاصة في تاريخ مصر . فهي رسالة لا تتعلق فقط بالمذاهب الدينية المسيحية . إنما هي تعبير عن شعب وأمة تعبيراً كاملاً . فهي تتناول فترة هامة في تاريخ المصريين . الفترة التي نسميها بالعصر القبطي ، الفترة التي خضعت فيها مصر لسيطرة الدولة الرومانية البيزنطية ...

* لم تحظ الدراسات البيزنطية وتاريخ مصر في العصر القبطي إلا بعدد من الدراسات المحدودة التي لم تلق كل الضوء على جميع جوانب التاريخ السياسي والحضاري لمصر . رغم أن هذه الفترة تمثل فترة من الفترات الهامة في تاريخ مصر . فهي الفترة التي إنتقلت فيها مصر من الوثنية إلى المسيحية ، والتي أدت إلى تغيير شامل في حياة البشر ومفاهيمهم الدينية والروحية ، وصبغت المسيحية حياة البشر بصبغة جديدة ، ولعبت الكنيسة المصرية دوراً إيجابياً تجاه الحكم البيزنطي والسيطرة السياسية والدينية لبيزنطة ، التي حاولت فرض مذهبها الديني المخالف على الشعب المصري القبطي أنذاك . وهنا إمتزجت القومية بالدين فخرج الشعب والكنيسة يواجه الدولة وقواتها وقراراتها .

+ الشعب المصري رغم ما عرف عنه من سماحة وكرم ، ولكنه في داخله يأبى الظلم ولا يخضع لمستعمر أو غاصب . الشعب وجد التعبير عن شخصيته

+ مقتطفات من الكلمة التي ألقتها سيادتها في مناقشة رسالة الدكتوراه المذكورة مساء الإثنين ٤/٨/ ١٩٩٧م .

* من تقديم تفضلت سيادتها بكتابته خصيصاً ، لنشر الرسالة .

وذاتيته فى دينه ، فارتبط الدين بالقومية . ولم تصبح المسيحية ديناً فقط إنما أصبحت قومية وتعبير عن ذات الشعب المصرى ... فالرسالة تبدأ بأول تعبير عن ذاتية الشعب المصرى ، حينما وقف أمام الامبراطور دقلديانوس ... فى حركة الاضطهاد المنظم ... ومن هنا كانت أهمية الرسالة ...

* والدراسة التى قام بها الباحث الدكتور/ ملاك إبراهيم ، تعد دراسة رائدة وهى تشمل الفترة من بداية المسيحية إلى الفتح الإسلامى . وفى هذه الرسالة تناول دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال فترة إمتدت ما يقرب من ثلاثة قرون ، حيث وقف آباؤها ضد الحكم البيزنطى ، وإختصوا أنفسهم بعقيدة الطبيعة الواحدة معارضين مجمع خلقيدنية ولم يعترفوا به . وهذا أدى إلى إنقطاع مصر والشام فكرياً ودينياً عن الدولة البيزنطية ، مما جعل الأخيرة تحاول فرض مذهبها بالقوة ، مما أدى إلى إزدياد القومية المصرية تعبيراً عن رفض الحكم البيزنطى .

+ لقد إحتفظ الشعب المصرى بعقيدته ... وبلغته القبطية ... وتكونت الشخصية القبطية ، وهى تنفرد عن الشخصية اليونانية عامة . شخصية لها ميزاتها وخصائصها ، وهؤلاء هم الذين وقفوا أمام الرومان أو البيزنطيين ... فارتبط الدين بالوطن ... وأثبت الشعب المصرى جدارته وانتصاره على الامبراطورية البيزنطية فى عدة مواقف ... إلى أن حدث مجمع خلقيدونية ... ووقف الشعب الأعزل تجاه امراطورية كاملة . ومع ذلك فإن الامبراطورية إضطرت أن تقدم له تنازلات فى مجموعة صيغ التوفيق التى تلت مجمع خلقيدونية ... فهنا كان موقف الكنيسة مستمراً ... فلم تخش فى أى فترة من الفترات أن تعبر عن ذاتيتها وعن قوميتها ... ومن هنا كانت أهمية الرسالة لأنها تربط بين الدين والوطن ...

* والباحث تناول فى دراسته ظهور المسيحية وانتقالها إلى مصر ثم دور الكنيسة المصرية وموقفها من الأباطرة ، ثم المجامع الدينية وما نشب من خلافات ، ورفض الكنيسة القبطية الخضوع لمذهب الإمبراطور وإصرارها على مذهبها وما تتبعه من موقف شعبى . ولم يدخر الباحث جهداً فى توثيق مادته والرجوع إلى مصادرها الأصلية . والدراسة تعد من الدراسات الجيدة التى تضيف بعداً جديداً إلى مكتبة تاريخ مصر وإلى الدراسات التى تتناول الجوانب الدينية والسياسية والحضارية .

+ و الباحث كما أقول ، بــذل كل ما يســتطيع من جهد . ولم يترك مخطوطة أو كتاب إلا ورجع إليه ، وأجاد فى عرض المادة العلمية عرضاً طيبـــاً ، وتناول كل عنصر بالتفصيل و التدقيق . وحقيقة أنا أشكره على جهده ، وأشــكر الدكتور زكى شنودة الذى أتاح له فرصة تسجيل هذا الموضوع القيم . وشكراً لمعهد الدراســات القبطية . وشكرا لقداسة البابا شنودة الثالث .

والله ولى التوفيق ،،،

أ.د. زبيدة محمد عطا

أستاذ التاريخ الوسيط
ورئيس قسم التاريخ
بكلية الآداب جامعة حلوان.

ثالثاً /

من كلمة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أحمد العدوى

أستاذ العصور الوسطى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة - نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً .

(+) يسعدني ...أن أقرر أن هذه الرسالة أول رسالة على إمتداد الرسالات الطويلة التى شاركت فى مناقشتها فى معظم جامعات جمهورية مصر العربية وغيرها من جامعات عربية وغير عربية . يسعدنى حقيقة ... أن أقرر أن لهذه الرسالة أثر عظيم فى نفسى وغبطة غامرة ، لأنها رسالة تناقش وتحيطها بركات القديس البابا شنودة الثالث . فقداسته له فى نفسى مكانة خاصة ، وهذه المكانة : كلما أطالع ...أو أقابل قداسته أشعر أننى أمام مصر ، وأمام صرح مصر ، وأمام الكنيسة القبطية ودورها الرائع فى مصر ، كما تتحدث عنها هذه الرسالة المباركة .

هذه الرسالة تؤكد أنه :... إذا كانت مصر الفرعونية هى فاتحة التاريخ ... فإن مصر المسيحية هى صانعة التاريخ ، بمعنى أنها قدمت للإنسانية ديانة المحبة التى بدونها لا يستطيع الإنسان أن يحقق ما تصبو إليه نفسه من معالم الحضارة ، وهو العيش الكريم مع حسن الزاد للآخرة ... فحضارة مصر المسيحية قدمت للإنسانية وإلى اليوم ما يهديها سواء السبيل وما يكفل لها حياة أمن وطمأنينة وأمان وتطلع لاستقرار وسعادة وهناء ، إلى الحياة الأخروية .

فكل من يقرأ هذه الرسالة من أول صفحة إلى آخرها إنما هو يقرأ عن شخصية مصر ، شخصية مصر بإمتدادها ... فمصر الفرعونية دخلت فى مصر المسيحية بمعنى أن الشخصية المصرية لم تنهار . وهذه حقيقة ، كل من يقرأ هذه الرسالة يعتز بمصريته اليوم وفى الوقت الحاضر ... إننا كمصريين يجب أن نعتز بمصريتنا

(+) وهى مقتطفات من الكلمة الرائعة ، والمناقشات العلمية البارعة ، والملاحظات القيمة ، التى قدمها سيادته فى مناقشة رسالة الدكتوراه المذكورة ، مساء الاثنين ٤/ ٨/ ١٩٩٧م ، وافق سيادته مشكوراً على نشرها .

ويجب أن نعتز بديانة المحبة وما قدمته للإنسانية أجمع ... المصرى القديم كان يتطلع إلى الوحدانية جاءت المسيحية وقدمت له الوحدانية . هذه النقطة من أروع النقاط التى تؤكد الشخصية المصرية ، وأول شيء يميز هذه الشخصية هو قوة التدين . قوة التدين عند المصرى القديم ، وجد ضالته فى المسيحية ومن ثم بدأت هذه الدراسة . وهى نقطة فى غاية الأهمية إستطعت أن أصل إليها من قراءتى لهذه الرسالة .

نقطة أخرى ... يقول الباحث بالنص :"صارت كنيسة الإسكندرية أولى كنائس العالم فى التعليم المسيحى وفهم الدين وشرح قواعده ". وأنا أريد أن أضيف جملة إعتراضية يكون لها جمالها ، إذا قلنا :"صارت كنيسة الإسكندرية – وما تزال – أولى كنائس العالم ...إلخ" . كل كلمة من هذه العبارات لها أهميتها ولكنيسة مصر دورها فيها ، وما تزال . الذى يريد أن يفهم قواعد الدين يأتى عندنا ، والذى يريد أن يفهم هذه التطورات يأتى عندنا – وما تزال . وهو دور مهم جداً ، وهى من النقاط التى أعجبتنى ، إلى جانب ما فى الرسالة عن النقطة الأولى وهى تدعيم شخصية مصر واستمرارها من مصر الفرعونية إلى مصر المسيحية ... القومية المصرية مستمرة والشخصية المصرية مستمرة والموقف فى خلقيدنية كان ينبع من الشخصية المصرية ...

ومن أهمية الكنيسة القبطية أنها بدورها ، وهو عنوان الرسالة ، حافظت على شخصيتنا من الضياع . أى أمة من الأمم الآن لا تضاهينا فى التاريخ عمراً ولا حضارة ولا رسالة ولا مدنية . السر فى الحفاظ على مصر ... نرى أن مصر حافظ على شخصيتها مصر المسيحية ويحافظ علينا فى الوقت الحاضر ديانة المحبة التى تدعو إليها المسيحية ... العالم القديم فى الوقت الذى ظهرت فيه المسيحية كان ينهار ... فى هذه المرحلة من تاريخ البشرية ... أنقذ العالم ظهور المسيحية التى جاءت للعالم بنور وإشعاع وتعاليم ومحبة أنقذته من أدران الوثنية وحافظت على ما وصلت إليه البشرية من تراث حضارى ، وقدمت حضارة المحبة التى هى وما تزال رابطة للإنسانية جميعاً .

وهنا أثنى على ما ذكرته الدكتورة المشرفة بأننا سعداء بأن نناقش فى معهدكم المبارك هذه الرسالة التى نتمنى أن تعيد إلى كنيستنا رسالتها بأن تكون الأولى فى التعليم المسيحى وفهم الدين وشرح قواعده إن شاء الله .

النقطة الثالثة التى أعجبتنى قول الباحث : **" كان الأقبـاط أول من بـدأوا بتلقـيب بطاركتهم بالباباوات "** ... كلمة " بابـا "... كلمة فى غاية الجمال وفى غاية الدلال ... فنحن أول من استخدم لقب بابا ، يجب أن نتمسك به فهذا يخصنا نحن . وهذه نقـطة فى رسالتك أنا أعتبرها نتيجة من نتائج بحثك ومن عمد الرسالة ، وهى دور الكنيسة القبطية . إن كلمة أو لفظ " **بابا** " هو لفظ قبطى ، وأنت شرحته شرحاً جميلاً جداً ...

وهنا أرى أن الذى يحافظ على هذا اللقب وعلى ما به من سـمات وقسـمات وملامح ...إذا كان أقباط مصر هم أول من لقبوا بطاركتهم بالبابـاوات ، **فإن قداسـة البابا شنودة الثالث ، بقسامته وملامحه ووسامته ، جدير بأن يحفظ هذا اللقـب المصرى الأول ، وما يزال بابا كنيسة الإسكندرية وبابا الكنيسة القبطية ....**

النقطة التى أعجبتنى بعدها هى الحديث عن مجمع خلقيدنية حقيقة كما تحـدث السيد المشرف ، وكما تحدثت الدكتورة المشرفة ، دراسـته عن مجمع خلقـيدونية دراسة لا تترك نقداً ولا عابرة...إنها أول دراسة علمية توضح لنا مجمع خلقيدونية . والحقيقة أننى قرأت كثيراً و ... كنت أحتار بين مجمع نيقية وموقف الإمبـراطور ، وعند الموقف من مجمع خلقيدونية . وفى الحقيقة دراستك لمجمع خلقـيدونية سـنة ٤٥١ م أوضحت لى موضوعاً أنا أهنئك عليه وأرجو فى المستقبل عندما تنشر هذه الرسالة ... أن تخص مجمع خلقيدونية بفصلة أو بدراسـة معينة وتضع لها عنواناً ...إنما أهنئك على هذا الفصل وإكتشفت سر نجاحك فيه ... أنك إعتمدت فى دراستك فيه على دراسات **البابا شنودة** لهذا المجمع وآرائه ، ومن هنا عرفت أنك ابن بـار ، وهذا يؤكد ما تحدثت عنه **أننا نناقش رسالة تدور فى بركات قداسة البابا شنودة اليوم .**

هناك نقطة أنا أيضاً متفق معك فيها ، تقول : **" صنعت الكنيسـة القبـطية لنفسـها تاريخاً حياً مجيداً متكاملاً "** . وهذه حقيقة . وأختتم ما أعجبنى بنقـطة مترتبـة على هذا ... وأنا مؤيدك تماماً فيها . تقول فى صفحة ٥٨١ :" **أصبحت الكنيسة القبـطية على مر العصور هى المعبـر عن آمال الشـعب القبـطى وطموحـاته**" . نريد أن نزيد أيضاً جملة إعتراضية ــ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ــ نريد أن نخرج من دائرة التاريـخ وندخل فى الدائرة الأوسع . " **أصبحت الكنيسة القبطية على مر العصور ــ وإلى أن ...إلخ** "

.

الجزء الآتى أعجبنى جداً جداً و أريدك أن تضع تحته عشرين خطاً وهو : "التى تتجه دائماً إلى السلام والمحبة والسعادة الروحية والصلاح والتقــوى تمهيداً للحــياة الأخروية الأبدية " . وهذه هى رسالتنا التى نقــدمها إلى العالم اليوم ونرجو أن يفيق إليها العالم وأن يأتى إلى هنا ليتتلمذ علينا مرة أخرى ويجد فى ديانة المحبة وفى دور الكنيسة ما يهديه سواء السبيل إن شاء الله . . .

إنني غيور على هذه الرسالة وإن شاء الله ... ستكون أنت مرجع من المراجع التى سأعود إليها فى توضيح كثير من الآراء خصوصاً عن مجمع خلقيدونية حقيقة . . .وأريد أن تخرج رسالتك من دائرة العلم بين العلماء إلى أن تكون للقــارئ ولكى يستفيد منها. . .(+)

أ . د . إبراهيم أحمد العدوى

أستاذ العصور الوسطى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ـ
نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً .

(+) وقد حققت جزء من رغبة سيادته ، بنشر هذين الجزئين ، كملخص مبسط للرسالة ، تحت عنوان "دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطى" ـــ المؤلف .

مقدمة للمؤلف

أشرت فى الجزء الأول إلى أهمية دراسة تاريخ وتراث الكنيسة القبطية ، خاصة خلال العصر القبطى ، إستكمالاً لدراسة تاريخ مصر القومى الطويل . وكذلك دورها البارز وعلاقاتها على كافة المستويات .

فالعصر القبطى الذى يمتد زمنيا لحوالى ستة قرون منذ بدايات المسيحية فى مصر وحتى الفتح العربى لها ٦٤١ م ، والذى يسميه البعض بالعصر الرومانى البيزنطى ، لا يمكن فهم ودراسة تاريخ مصر فيه إلا من خلال دراسة تاريخ الكنيسة القبطية وحضارتها وتراثها وجهادها ودورها وعلاقاتها .. كما أن التسمية بالعصر الرومانى البيزنطى بالنسبة لمصر فى هذه الفترة لا تنطبق إلا على الناحية السياسية والإدارية ممثلة للحكم والإدارة العسكرية والإستفادة الإقتصادية من منتجات وثروات مصر ، وإن كان هناك بعض التأثير الحضارى واللغوى . ولكنها لا تنطبق على الوطن المصرى ، رغم أنه كان بلداً محتلاً ، والشعب القبطى بحضارته وثقافته ولغته وعقيدته وإنجازاته وجهاده ووطنيته وقوميته إمتداداً للحضارة والتراث الفرعونى ولكن مصقولاً بالروح المسيحية وفى قالب مسيحى أرثوذكسى قويم .

وقد أبرزت فى الجزء الأول دور وعلاقات وتاريخ الكنيسة القبطية منذ نشأتها حتى مجمع أفسس الأول ٤٣١ م . وقام بمراجعته والتقديم له المرحوم المستشار الأستاذ الدكتور / زكى شنودة مدير معهد الدراسات القبطية ورئيس قسم التاريخ به سابقاً .

أما هذا الجزء فيدرس تاريخ ودور وعلاقات الكنيسة القبطية فى الفترة التالية لمجمع أفسس الأول ٤٣١ م وحتى ٥١٨ م . فيتعرض لمجمع أفسس الثانى ٤٤٩م ، ومجمع خلقيدونية ٤٥١ م ، وأهم الأحداث والعلاقات أثناء الفترات التى تقدمت أو أعقبت هذه المجامع . وما عانته الكنيسة القبطية خلال الحلقة الأولى من الاضطهاد الخلقيدونى ٤٥١م حتى ٤٧٥ م ، ثم فترة التوفيق والتى إنتهت ٥١٨ م حيث عاد الاضطهاد الخلقيدونى مرة أخرى .....

وبصدور الجزء الثانى من هذا الكتاب يكون قد تم نشر ملخص مبسط ومعدل لرسالة الدكتوراه ، التى قدمت لمعهد الدراسات القبطية ١٩٩٧ م ، وكان موضوعها "دور الكنيسة القبطية وعلاقتها بالدولة البيزنطية فى الفترة من ٢٨٤ م وحتى ٥١٨ م

(من دقلديانوس حتى أنسطاسيوس) " . لذلك إكتفيت – كما فى الجزء الأول – بكتابة المصادر والمراجع فى مؤخرة الكتاب . إلى أن يدبر الرب نشر الرسالة نفسها بكافة محتوياتها ومشتملاتها وهوامشها ، حيث أنه جارى الإعداد لذلك ، كدراسة أكاديمية لدور وعلاقات وتاريخ الكنيسة القبطية فى تلك الفترة ، نالت الإعجاب والتقدير . تحت رعاية حضرة صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية والرئيس الأعلى لمعهد الدراسات القبطية وكل معاهد الكنيسة القبطية ، ورائد حركة الإزدهار العلمى والثقافى والرعوى لكنيستنا القبطية العريقة وإحياء تراثها الطويل الخالد . وحضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا أرسانيوس أسقف المنيا وأبى قرقاص الذى شرف المناقشة بحضوره الطيب .

وكان قد اشترك فى الإشراف على هذه الرسالة ومناقشتها : المتنيح الأستاذ الدكتور المستشار زكى شنودة مدير معهد الدراسات القبطية ورئيس قسم التاريخ به، والأستاذة الدكتورة زبيدة محمد عطا أستاذ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة حلوان ، والأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد العدوى أستاذ العصور الوسطى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة – ونائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً . والأستاذ الدكتور إميل ماهر إسحق أستاذ اللاهوت بالكلية الإكليريكية (حالياً جناب الأب الورع القس/ شنودة ماهر ــ الذى تفضل مشكوراً بمراجعة هذا الجزء من الكتاب والتقديم له) لهم منى جميعاً كل شكر وتقدير وعرفان . كما أشكر الأرشيدياكون رمسيس نجيب والأستاذ الدكتور نبيل صبحى .

طالباً من إلهنا ومخلصنا الصالح الرب يسوع المسيح كل توفيق وإزدهار لمعهد الدراسات القبطية والكلية الإكليريكية وكل معاهد الكنيسة القبطية . ببركة شفاعات العذراء مريم والشهيد إسطفانوس وكل الشهداء والقديسين . وببركة صلوات حضرة صاحب القداسة والغبطة **البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث** ، ونيافة **الأنبا دوماديوس** مطران الجيزة ، ونيافة **الأنبا أرسانيوس** أسقف المنيا وأبى قرقاص ، وكل آباء الكنيسة .

ملاك إبراهيم يوسف

الثلاثاء ١٥/ ١٢/ ١٩٩٨م // ٦ كيهك ١٧١٥ ش .   (إكليريكى دياكون دكتور)

تذكار نياحة البابا أبرآم بن زرعة البطريرك ٦٢

الباب الأول

العلاقات فى الفترة من سنة ٤٣١م حتى سنة ٤٥١م

الفصل الأول : أوطاخى ومجمع القسطنطينية المحلى.

الفصل الثانى : مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م .

الفصل الثالث : تجدد النزاع بعد أفسس الثانى.

(٤٤٩ـ٤٥١م)

الفصل الأول

أوطاخى ومجمع القسطنطينية المحلى

أ- أوطاخى وبدعته :

إلتهب الجدال بين مساندى اللاهوت الاسكندرى ومساندى اللاهوت الأنطاكى ، بعد إدانة نسطوريوس في المجمع المسكونى الثالث في أفسس سنة ٤٣١م . مما أدى إلى إنشقاق مُر في الكنيسة فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م . وبقدر ما إزداد نشاط الحركة العلمية فى مصر بعد مجمع أفسس سنة ٤٣١م ، خاصة فى العلوم اللاهوتية ، للرد على النسطورية أو لحماية الناس من الهرطقة ، بقدر ما بدأت الشكوك تساور الكثيرين فى القسطنطينية من جهة العقيدة ، بسبب صدى تعاليم نسطوريوس وأتباعه .

كان دمنوس Domnus ، الذى خلف يوحنا الأنطاكى سنة ٤٤١م ضعيف الشخصية متذبذباً ، يأخذ قراراته الحساسة خلال إرشاد ثيؤدوريطس أسقف قورش . وفى سنة ٤٤٤ م توفى القديس كيرلس وخلفه رئيس شمامسته ، الذى كان قد صحبه فى مجمع أفسس سنة ٤٣١ م ، والذى إعتاد الخلقيدونيون أن يصفوه بصفات سيئة ، بينما يصفه غير الخلقيدونيين بالمبشر الرسولى والشهيد الحقيقى للمسيح . وهو البابا ديوسقوروس ذو الفضائل والميزات العديدة ، والحماس الدينى . وفى سنة٤٤٦ م توفى بروكلوس أسقف العاصمة وخلفه فلابيانوس الأقل موهبة ، ويبدو أنه كان يؤمن بالطبيعة الواحدة ، ولكن ثيؤدوريطس أسقف قورش غير ذهنه . وحتماً بعض الرجال الجدد سيسعون إلى مراجعة وإعادة النظر فى صيغة الاتحاد الذى تم سنة ٤٣٣ م لمصلحتهم هم . بينما لايزال هناك منتصرون ومغلوبون يعيشون من زمن مجمع أفسس سنة ٤٣١ م ، وكانوا عدداً كافياً لأن يزيدوا المشاكل إشتعالاً ، ومنهم أولاً يوسيبيوس أسقف دوريلايوم Dorylaeum المدعى الغيور للأرثوذكسية والذى كان قد استدعى نسطوريوس إلى المحاكمة وبعد ذلك بعشرين عاماً تقريباً كان مسئولاً عن اتهام أوطاخى بالهرطقة . وكان هناك يوبيناليوس أسقف أورشليم (٤٢٢ -٤٥٨م) .

وعلى الجانب الأنطاكى كان يقف المؤرخ والمجادل ثيؤدوريطس أسقف قورش ، الذى كان يعارض بمرارة لاهوت البابا كيرلس وحروماته الإثنى

عشر . أما فى روما فكان هناك لاون أسقفها الذى كتب خطاباً رقيقــاً معضداً للبابـــا ديوسقورس ، ولكن كما يكتب الإنسان إلى شخص محبوب أقل منه فى الرتبة .

أما أوطاخى الشيخ الناسك ، فكان بليغاً ولكنه لم يكن لاهوتياً حقيقياً . وقد لعب دوراً خطيراً في الانشقـــاق الكنســـي في القـــرن الخامس وكصديق للبابـــا كيرلس الاسكندرى تقبل منه صورة من قرارات مجمع أفسس ســـنة ٤٣١ م ، وكان يعززها على الدوام . لقد قبل صيغة اللاهوت الاسكندرى من جهة السيد المســـيح : طبـــيعة واحدة لله الكلمة المتجسد ، دون التمتع بأساس لاهوتى سليم . وفى الواقع لم يكن يمثل اللاهوت الاسكندرى أو الأنطاكى ، إنما غيرته الشديدة ضد النســـطورية ، ودفاعه عن الاسكندرية ، قادته إلى هرطقة أخرى . إذ زاغ بقوله إن ناســـوت المســـيح ليس مساوياً لنا ونادى بوجود طبيعتين قبل الاتحاد ، وطبيعة واحدة فقـــط بـــعده ، ولكن على أساس أن الطبيعة الإلهية قد إبتلعت الناسوتية ، وفقدت الأخيرة تماماً.

كان أوطاخى (٣٨٠-٤٥٤م) رئيســـاً (أرشـــمندريتاً) لأحـــــد أديرة القسطنطينية وتحت إدارته أكثر من ثلاثمائة راهب . وكراهب قسيس إتخذ الوحـــدة النسكية طريقة لحياته الروحية والعلمية ، وقد زاعت شـــهرته فى أوســـاط مثقـــفى العاصمة البيزنطية خاصة فى البلاط الملكى . ولكنه كان يخفى تحت صورة التقوى نفساً عميقة ودهاء منقطع النظير . قاوم أوطاخى نسطوريوس ومشـــايعيه ببســـالة وشكاه لمجمع أفسس حيث ذهب بنفسه ليشهد على ضلاله ، ولهذا كان أصدقاء البابـــا كيرلس يعتبرونه من المحامين عن الإيمان . كما أنه فى سنة ٤٣١ م تمكن من وضع بوليكاريا أخت ثيؤدوسيوس الثانى فى قـــائمة مؤيدى عقـــيدة البابـــا كيرلس . وكان أوطاخى الأب الروحى للخصى خريسافيوس Chrysaphius الذى منذ ســـنة ٤٤١ م كان كبـــير الأمناء عند ثيؤدوســـيوس الصغير . وبـــــهذا كان متصلاً بالبـــــلاط الامبراطورى ، ويتمتع بمكانة ونفوذ عظيمين .

لقد كان أوطاخى بيزنطياً ، وعليه لم تكن له أية علاقة بـــالكنائس المسيحـــية المنتشرة فى مصر أوسوريا أو مابين النهرين أو أرمينيا . لامن الوجهة القومية ولا من الناحـــية الثقـــافية أو اللاهوتية . ولذلك لم يكن بوســـعه إكتســـــاب عطف هذه المجموعات الهائلة من القوميات والثقافات المتباينة . أو أن يثير إعجابها بما حـــازه من صيت . وعلى هذه الأســـس لم يكن من المعقـــــول أن يميل مفكرو هذه الكنائس ولاهوتيوها إلى آرائه وتعاليمه ، خاصة وأن فكرته متطرفة وبـــعيدة كل البـــعد عن

تعاليم آباء هذه الكنائس المستقاة من المبــادئ الرســولية . فالقــول بــأن الكنائس الأرثوذكسية تأثرت بآراء أوطاخى واعتنقتها لاتسنده الطبيعة ذاتها فضلاً عن كونه مخالفاً لحقيقة مبادئها القويمة .

فأوطاخى قال بأن الناسوت قد تلاشى فى اللاهوت وتحــول إلى جوهره وكأنه نقطة من الخل إبتلعها البحر أو المحيط . ولذلك فهو ينكر أن يكون جسد السيد المسيح مطابعاً لأجسادنا أو من طبيعتها . وإذا كان قد ظهر للناس أن للسيد المســيح جســد إنسان لكنه لم يكن كذلك "وبعبارة أخرى إن الناسوت قد تأله " . ومن ثم غدا الســيد المسيح عند أوطاخى صاحب طبيعة واحدة فقط هى الطبيعة الإلهية . فهو لم يقل كما قال الإنجيل ، إن الكلمة تجسد ، وكما قــال الآبــاء من قبــل ، وكما قــال القــديس ديوسقورس "طبيعة واحدة متجسدة "بل قال "طبيعة واحدة ويصمت " . واعتقــاد أوطاخى هذا يعنى فى اليونانية Monophysites (موحدى الطبيعة) . وهذا الاسم من كلمة يونانيــة تعنى "طبيعة واحدة " . ويبدو أن هذا هو اللقب الذى أطلقه الغربيون ، والخلقيدونيون عموماً – بعد مجمع خلقــيدونية على الكنائس التى لم تأخذ بــرأيهم ، خاصة القبطية ، إمعاناً فى التحدى ومحاولة للقضاء عليها أدبــياً عندما فشــلوا فى القضاء عليها بالقوة .

فعبارة مونوفيزيت Monophysite عبارة حاقــدة وهى أكثر ملائمة للأوطاخية . وقد إخترعها الإغريق والرومان لإذلال الأقباط وحــلفائهم اليعاقبــة (الســريان) والأثيوبــيين والأرمن . وامتناع الأقبــاط عن مهاجمة هذه العبــارة راجع إلى أنها ميزتهم عن المؤمنين بالطبيعتين . ويمكن اليوم إعتبــار أنه قــد تم نهائياً التغلب على الاتهام الخاطئ للكنائس الشرقــية القــديمة غير الخلقــيدونية بــأنها تتبــــع فكرة Monophysite ذلك الاتهام الذى أساء إلى العلاقات بين الكنائس طوال قرون عديدة . ويرجع الفضل فى تحقيق هذا الكسب الكنسى التاريخى بالدرجة الأولى إلى قداســة البابا شنودة الثالث .

ب-فلابيانوس والنزاع مع أوطاخى ومجمع القسطنطينية المحلى سنة ٤٤٨ م :

توفى البابا كيرلس سنة ٤٤٤ م وحل البابا ديوسقوروس مكانه محتفظاً بــمكانة الإسكندرية – إلا أن القسطنطينية وروما قد قاومتا الإسكندرية الفائقة القــوة . وقــد عمل البابا ديوسقوروس منذ توليه على مواصلة مقاومة الفكر النسطورى وترسيــخ

عقيدة " الطبيعة الواحدة " كما إتضحت وانتشرت وتقـررت بـجهاد البابـا كيرلس ومجمع أفسس سنة ٤٣١ م .

أرسل القديس ديوسقورس رسائل الشركة لإخوته الأساقفة ، بعد سيامته ، حسب التقليد الكنسى ، فرد ثيؤدوريطس أسقف قـورش ، الذى كان يناضل ضد القـديس كيرلس لصالح نسطوريوس ، على البابا ديوسقورس بخطاب مملوء تملقاً ، يمتدحه فيه من أجل اتضاعه ورقته . لكنه بعد ذلك أعلن عداوته للقـديس ديوسقـورس لأن الأخير أرسل إلى دمنوس أسقف أنطاكية يلومه برقة وانفتاح على تشـجيعه للثنائية النسطورية من جهة شخص السيد المسيح ، وعلى إستهانته بمجمع أفسس ، وإعلانه أن نسطوريوس ليس هرطوقياً . وقد تقـاطر السـاخطون من بـطريركية دمنوس الشاسعة أفواجاً إلى الإسكندرية ليتخلصوا من ثقل الهرطقة النسطورية ومن سـوء معاملة الإكليروس لهم ، والتى كانت تسود هناك في ظل تعاون كل من ثيؤدوريطس أسقف قورش وإيريناؤس Irenaeus أسقف صور الذى تزوج مرتين ولم يوقـع على عقيدة الثيؤطوكوس ، ودمنوس الأنطاكى الذى شكا فى سبتمبـر سـنة ٤٤٧ م إلى فلابيانوس من تصرفات البابا ديوسقورس وتدخله فى شئون كرسى أنطاكية .

كان أول من تصدى لأوطاخى وقاوم تعاليمه ، ثيؤدوريطس أسقـف قـورش النسطورى ولم يكن له حق فى ذلك لأنه هو نفسه هرطوقـى ، ولأن هرطوقـى لا يستقيم حكمه ضد هرطوقى آخر ، قام البابا ديوسقورس ضده وكتب بحقه للبطريرك الأنطاكى دمنوس ، الذى هو نفسه كان يرى رأى ثيؤدوريطس ورضى عن تصنيفه كتاب يرد به على أوطاخى ، ظهر فى أواخر سنة ٤٤٧م ويعرف باسم إيرانسـتس Eranistes ثيؤدوريطس ، أى كتابه " الشحاذ " . وفيه هجوم مطول ضد القديس كيرلس وإنكار للقب ثيؤطوكوس ، ومقاومة لأوطاخى ، رغم عدم ذكر اسمه ورفض لإتحاد الطبيعتين . وفى مطلع سـنة٤٤٨م كتب دمنوس إلى الامبـراطور يلفت نظره إلى خروج أوطاخى وهرطقته .

وعلى الجانب الآخر ، وإذ لم تثمر كتابـات البابـا ديوسقـورس إلى دمنوس بـخصوص مقـاومة النسـطورية ، كتب الأنبـا ديوسقـورس ضد ثيودوريطس للامبراطور ، وأفاد أن الكنيسة الشرقية تكاد تعتنق مذهب نسـطوريوس. كما هاج رهبان القسطنطينية ضد ثيودوريطس القورشى لنسطوريته ، فمال ثيؤدوسـيوس الثانى لجهة البابا ديوسقورس لأنه رأى فيه مجاهداً ضد النسـطورية نظير الأنبـا

كيرلس ، وأصدر الامبـراطور أمره بـمنع ثيودوريطس عن الخروج من حـدود إيبارشيته أو الاشتراك فى الإدارة المجمعية .

قام يوسيبيوس أسقف دوريلايوم "Eusebius of Dorylaeum" ، من مدن فرجيا فى آسيا الصغرى ، وكان من أنصار نسطوريوس ، كما كان صديقاً لأوطاخى ، قام يحاجج أوطاخى وإذ لم يستطع إقناعه شكاه لفلابيانوس Flavian أسقف القسطنطينية ، الذى نصحه بالذهاب إلى أوطاخى بالدير ومخاطبته بما يليق و بما يناسب الصلح لئلا يحدث السجس والاضطراب ، ولكن يوسيبيوس رفض محتجاً بأنه ذهب إليه كثيراً ، وطلب إستدعائه أمام المجمع ، و كان مجتمعاً عند فلابـيانوس حـينئذ زهاء ثلاثين أسقفاً وثمانية عشر أرشـمندريتاً ، فقبـل المجتمعون طلب يوسيبـيوس وأرسـلوا يستدعون أوطاخى الذى بعد أن رفض مرتين ، قبل أخيراً وحـضر إلى المجمع يوم ٢٢ نوفمبر سنة ٤٤٨ م بصحبة موظفين من القصر وجمهرة من الرهبـان وقـوة يرأسها القائد فلورنتيوس . كما حضر معه خريسافيوس – الخصى السـند الذى كان يحرك أوطاخى ، والذى كان (أى خريسافيوس) يحقد على فلابيانوس .

إن هناك غموض عالق فى جو إندلاع الجدال ، وإن القـوة التى أخذ بـها فلابيانوس الموضوع غريبة . فقد كان فلابـيانوس على صلات سيئة بالقـصر الامبراطورى وعلى الأخص بخريسافيوس القـوى جداً ، والذى كان أوطاخى معه فى مقام عال ومكانة محترمة . ويحتمل أن يكون الأسقف فلابيانوس قد شـعر أنه تعرقل من الأرشـمندريت وأراد أن يتخلص منه . وهذا ما يتضح من الآتى : أولاً : أن جلسـات المجمع الســت السابقـة على حـضور أوطاخى تظهر مدى إصرار يوسيبـيوس على حـضور أوطاخى للمجمع . فأوطاخى كان يعتذر ، وفى الدعوة الثالثة أرسل أوطاخى عنه مندوبين ، وحتى لما عرض الداعون أمانة أوطاخى أصر يوسيبيوس وفلابيانوس على حضور أوطاخى والحكم عليه . ثانياً : أن دراسة أعمال المجمع تظهر إصرار يوسيبيوس المشتكى والآباء المجتمعين ، على حمل أوطاخى على الاعتراف بطبيعتين بعد التجسد مما اعتبره هو ميلاً للنسـطورية . فالمجمع لم يكن يهتم بتحرى البدعة لاستئصالها بل لتثبيت الإثنينية . ورغم ذلك فأوطاخى الذى تميز بدهائه قدم صورة إيمانية مكتوبـة لم يقبـلها المجمع – وانتزعت منه بـعض الأجوبة المقتضبة . كما يلاحظ أن الحكم على أوطاخى جاء باسم فلابيانوس لا باسم المجمع .

عقد المجمع فى الفترة من ٨ إلى ٢٢ نوفمبر سنة ٤٤٨م ، وكان حضور أوطاخى فى الجلسة السابعة يوم ٢٢ نوفمبر . ومن المناقشات يتضح أن يوسيبيوس الأسقف لم يكن يرد كسب أوطاخى Eutyches للحق إنما كان يدفعه لقبول الثنائية النسطورية لشخص السيد المسيح دون نقاش . كما أن أوطاخى لم يكن واضحاً فى إجاباته وذلك ليخفى وجهة نظره الرئيسية ، ومع ذلك فقد قال بعض المؤرخين والباحثين إن أوطاخى لم يكن هرطوقياً أكيداً ، وإن الصورة التقليدية له أخذت خلال إقتناص بعض عباراته والتضييق عليها حسب نتائجهم المنطقية وليس حسب منطقه هو . وإن إدانته بواسطة المجمع كان تصرفاً متسرعاً . وقد قبل أوطاخى "طبيعة واحدة" فقط بعد إتحاد اللاهوت والناسوت . وبعد محاولات وفشل جهود لها اعتبارها قام بها فلورينتيوس ورجال الإكليروس المجتمعون ليجعلوا أوطاخى يقبل صيغة الطبيعتين ، أدين أوطاخى بالعزل و فقدان درجة الكهنوت .

جـ- تطور النزاع بعد مجمع القسطنطينية المحلى وضرورة عقد مجمع مسكونى:

لم يقبل أوطاخى حكم مجمع فلابيانوس (القسطنطينية سنة ٤٤٨م) ضده واستغل عطف الامبراطور عليه ، وبتأثيره كتب الامبراطور رسالة إلى فلابيانوس الذى رد عليه برسالة مسهبة فى ربيع سنة ٤٤٩ م أظهر فيها خطأ بدعة أوطاخى . ويبدو أن الامبراطور ثيؤدوسيوس الثانى قد حاول خنق هذه الشرارة قبل إندلاعها ، إلا أن فلابيانوس باندفاعه ضدها لاعتناقه الإثنينية المتطرفة أعطاها أهمية كبرى أدت إلى تنشيطها واندلاعها بعنف وقوة ، ويظهر ذلك من رسالة الامبراطور إلى مجمع أفسس الثانى . وقد عمل الامبراطور على التحقيق فى مجمع فلابيانوس السابق فانعقد مجمع آخر فى القسطنطينية سنة ٤٤٩م أيد قرار المجمع السابق . ولأن النزاع لم ينحسم فى هذا الاجتماع ولاحظ أوطاخى أن أقوال فلابيانوس قد قوبلت بالامتعاض بل بالرفض لمخالفتها لأقوال الآباء القديسين ، إذ نادى بالطبيعتين ، إنتهز هذه الفرصة وتظاهر متباكياً أنه حُرم لأنه يحامى عن أمانة القديسين . وشاع إقرار فلابيانوس بالطبيعتين بعد الاتحاد بين الجمهور فأنكره واستغل أوطاخى هذا الانكار فقدم شكواه إلى الامبراطور الذى أصدر أوامره باجتماع مجمع فى مدينة أفسس لحسم هذا الخلاف . وكتب بذلك خطاباً إلى البابا ديوسقورس بتاريخ ٣٠ آذار (مارس) سنة ٤٤٩م . ويقال إن البابا ديوسقورس هو الذى أقنع الامبراطور بالدعوة لعقد هذا المجمع . كما يذكر البعض أن الأنبا ديوسقورس وقف بجانب أوطاخى . إلا أن المصادر الأرثوذكسية تذكر أنه لم يؤيد أوطاخى إلا بعد أن أعلن

هذا الأخير تخليه عن آرائه ، و الالتحام بآراء القديس كيرلس الاسكندرى . غير أن لاون أسقف روما أيد أوطاخى فى البداية ، فكتب إليه رسالة ضافية يثنى فيها على غيرته و إيمانه ويؤكد إقتناعه بأن فلابيانوس وصحبه يعتنقون المبادئ النسطورية ويدافعون عنها كما كتب رسالة أخرى إلى فلابيانوس يطلب فيها العطف على أوطاخى .

كما كتب لاون إلى الامبراطور يفيد أن فلابيانوس لم يكتب إليه بشئ مما جرى و أنه بناء على ما أفاد به أوطاخى نفسه لايرى ما يستعاب به للبت فى الأمر . إلا أن فلابيانوس راسل لاون كما إنتدب ثيؤدوريطس أسقف قورش لمقابلته ليوضح له ما جرى فى المجمع الفلابيانى . وقد بلغ من نجاح ثيؤدوريطس . أن تمكن من إستمالة لاون إلى بدعة نسطوريوس . وفى إحدى رسائله إلى فلابيانوس أثبت لاون إعتراضه على آراء أوطاخى، ووعد بأن يكتب رسالة مطولة فى الموضوع . وقد بر بوعده فعلاً و أرسل فى ١٣ يونية سنة ٤٤٩ م رسالته العقائدية المشهورة " بطومس لاون " أظهر فيها عداءً سافراً لتعليم الطبيعة الواحدة وقال إن للسيد المسيح طبيعتين متميزتين من بعد الاتحاد . ولهذا السبب عُد طومس لاون الحجر الأساسي لإنشقاق الكنيسة .

لقد غير لاون رأيه ربما عندما سمع أن الإمبراطور كتب إلى البابا ديوسقورس الإسكندرى يدعوه لعقد مجمع لمناقشة الأمر . وقد أرسل لاون الذى لم تكن لديه معرفة صادقة لطبيعة الصراع بين لاهوت الاسكندرية و لاهوت أنطاكية – أرسل طومسه إلى القسطنطينية لا من أجل مصالحة الطرفين و إنما بغية تشويه اللاهوتيين الاسكندريين . وهذه الرسالة – حسب تعليق مؤرخ غربى – دائماً ينظر إليها كمستند عقيدى ذات قيمة ولكنها على سبيل الحصر تدعى تأملاً وبالكاد تجد للاهوت موضعاً فيها. فهو لم يناقش و لا قدم براهين و إنما حكم وبت فى المصاعب .

كان لاون مهتماً بالزعامة أكثر من عقيدة الكنيسة كلها فى العالم ، إذ كتب للامبراطور يقول له إنه لاحاجة لعقد مجمع وإنه قد عين يوليوس أسقف Puteoli و الكاهن ريناتيوس و الشماس هيلارى كمندوبين عنه يقومون بتقديم ما يحتاجه الامبراطور معلناً أن طومسه فيه الكفاية للإرشاد فى الأمر .

هكذا إكفهر الجو الكنسى العام و احتاجت الكنيسة تأييد ما حددته المجامع السابقة

وإعادة بعض الأساقفة إلى صوابهم. وأخذ الجميع يرذلون تعاليم أوطاخى ويرفضون ما سار إليه فلابيانوس لإعادة البدعة النسطورية ، ومخالفته العقيدة وأقـوال الآبـاء السالفين – وإن يكن هناك المشايعون له .

من أجل كل هذه الأمور وجد الامبراطور ثيؤدسيوس الثانى أن الموقف يحتم الدعوة لعقد مجمع بمدينة أفسس ، لمعالجة هذه الحالة ووضع الأمور فى نصابها .

الفصل الثانى

مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م

١- **الدعوة للمجمع :**

قرر الامبراطور عقد مجمع مسكونى فى أفسس ليس لدراسة قضية أوطاخى فحسب ، بل لتنقية الجو الكنسى من كافة المشكلات التى نتجت عن إصطدام مبدأ أوطاخى بمبدأ الإثنينية الذى كان يعتنقه فلابيانوس و أعضاء مجمعه وغيرهم من رجال الكنيسة الكبار فى كراسى أسقفية أخرى . وإن كانت قضية أوطاخى السبب الأول للمجمع - إلا أن المرسوم الامبراطورى ، إلى جانب التوصية بدراسة قضية أوطاخى قد حدد سببين مهمين هما القضاء على الضلال وتأييد الإيمان الذى قررته المجامع المسكونية السابقة، وخاصة مجمعا نيقية وأفسس . وعلى هذا الأساس أصدر ثيؤدوسيوس الثانى ، بالاتفاق مع والنتينوس إمبراطور الغرب ، مرسوماً إمبراطورياً بدعوة أساقفة العالم إلى عقد المجمع فى أفسس كإمتداد لأفسس الأول الملتئم سنة ٤٣١م . وكانت الدعوة موجهة إلى عدد مختار من الإكليروس ، أما ثيؤدوريطس أسقف قورش فقد أرسل له الملك بأن حضوره المجمع غير مرغوب فيه .

ولم يكن لاون أسقف روما أو فلابيانوس أسقف القسطنطينية يرغبان فى عقد هذا المجمع ، ومع ذلك كان لاون يؤمل أنه سيكون فى إمكانه على الأقل أن يوجه قرارات المجمع وذلك عن طريق طومسه المشهور الذى أرسله لفلابيانوس . وقد أرسل الامبراطور الدعوة والرسائل الخاصة بالمجمع إلى لاون ، أما إلى الأنبا ديوسقورس بطريرك الإسكندرية فقد أرسل ثلاث رسائل يطلب منه فى الأولى أن يحضر معه عشرة مطارنة وعشرة أساقفة ، ويبادر إلى أفسس ويمنع قبول ثيؤدوريطس أسقف قورش ، وفى الثانية يطلب إليه قبول الأرشمندريت برسوم ضمن آباء المجمع بصفته نائباً عن جميع الأرشمندريتين الشرقيين .

وفى المرسوم الثالث قال له " إعلم أننا قد أمرنا سابقاً أن ثيؤدوريطس أسقف قورش لا يحضر فيالمجمع المقدس ... لكونه تجاسر وتكلم فى الأمانة بخلاف ما كتب كيرلس الصالح ذكره . وإننا نظن بأن بعض تباع نسطوريوس مجتهدون وقصدهم أن المذكور يحضر من كل بد فى المجمع المقدس... نوهب قدسك سلطاناً ونجعلك متقدماً ليس فقط فيما يخص ثيؤدوريطس بل وما يخص كل المجمع المقدس

..." . وعلى ذلك ففى المرسوم الثالث خول الامبراطور البابا ديوسقورس حق رئاسة المجمع . وكذلك وجه الدعوة للأساقفة ، كما أرسل مرسوماً ملكياً إلى ألبيديوس معتمده .

وقد أثار تكليف الإمبراطور للبابا ديوسقورس برئاسة المجمع ، أثار حسد لاون أسقف روما فاحتدمت نار الغيرة والغيظ نحوه ونحو الكرسى الإسكندرى بسبب إستمرار توليته رئاسة المجامع المسكونية ، فانضم إلى النساطرة ضده ، كما أنه لم يحضر بنفسه إلى أفسس بل أرسل نواباً عنه هم الأسقف يوليوس والقس ريناديوس والشماس إيلاريوس ، وكاتب يدعى دولشيسيوس وأعطاهم مكتوباً إلى الامبراطور ورسالة إلى فلابيانوس ، وكان يجب إرسالها إلى المجمع . وهذا يُظهر تصميم لاون على إعتبار المجمع غير قانونى حتى قبل إنعقاده ، وعزمه على مقاومته . وعند وصول نواب هذا الأسقف تلقاهم فلابيانوس بمزيد من الاحترام واستضافهم عنده بكرم زائد . وقد أظهرت الرسائل أن البابا ديوسقورس لم يكن له أى تأثير فى إلتئام المجمع ، وإنما وردت إليه الدعوة كسائر الأساقفة ، ولذلك لم تكن له أغراض خاصة ضد أى جهة كنسية . وأن الدعوة جاءت من قبل ثيؤدوسيوس وهو صاحب الحق الشرعى فى ذلك طبقاً للعادة ، والذى إضطر للدعوة للمجمع .

٢-آباء المجمع ورئاسته :

بعد أن دعا ثيؤدوسيوس الثانى إلى إنعقاد المجمع ، وجه رسالة خاصة إلى البابا ديوسقورس فى ٦أغسطس٤٤٩ م يسند إليه الرئاسة الأولى والمسئولية العليا فى المجمع ويعين معه يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم وتلاسيوس رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك ، كرئيسين مشاركين ومعاونين له . وكان على البابا ديوسقورس الإسكندرى أن يتصرف وفقاً لذلك ، ليس فقط فى موضوع ثيؤدوريطس ولكن فى جميع الأمور الأخرى التى تهم المجمع المقدس . وأن يؤيد ذكرى وأعمال البابا كيرلس ضد الهجمات الأخيرة من ثيؤدوريطس وغيره ، وأن يؤكد إرساء عقيدة نيقية وأفسس دون توسيع أوتضييق . ووفقاً لرسالة الامبراطور الخاصة إلى البابا ديوسقورس والتى تجاهلت فلابيانوس القسطنطينى ودمنوس الأنطاكى ولاون ومندوبيه وطومسه ، كان على المجمع أن لايسمح بحرية الكلام للآراء المضادة .

وقد جلس الآباء فى المجمع بالترتيب التالى : أولهم البابا ديوسقورس الإسكندرى وبعده نواب روما ثم يوبيناليوس أسقف أورشليم ثم دمنوس أسقف

أنطاكية ، ثم فلابيانوس أسقف العاصمة ثم إسطفانوس الأفسسى ثم تلاسيوس أسقف قيصرية كبادوكية... وقد بـلغ أعضاء المجمع ١٣٠ أسقفاً . وانعقـد فى كنيسـة الثيؤطوكوس فى أفسس يوم ٨ أغسطس ٤٤٩ م . وقد عين الامبراطور ثيؤدوسيوس الصغير مندوبين ليحضرا المجمع نيابة عنه ويحـافظا على النظام ، وهما : الكونت ألبيديوس ، وأولوجيوس كاتب الحرس الامبراطورى . كما أمر بروكلس حاكم آسيا الصغرى باستعمال سلطته لمعاونة مندوبيه فى المحافظة على المجمع من مؤامرات النسطوريين وبـخاصة من ثيؤدوريطس أسقـف قـورش كما حـمل المندوبـان الامبراطوريان خطاباً إلى المجمع طالب فيه ثيؤدوسيوس الصغير آباءه بأن يقضوا على النسطورية قضاءً مبرماً بعد أن أصدر المجمع المسكونى الثالث حكمه بحـرم نسطوريوس وتجريده من كل رتبة كهنوتية .

٣- أعمال المجمع وقراراته :

كان الهدف الأساسى من المجمع حسبما إتضح من المراسيم الامبراطورية – هو إزهاق الضلال وتأييد الحق المحدد من المجامع المسكونية الثلاثة السابقة ، لذلك فقد كان إمتداداً لما سبق ، وإستئنافاً لما جرى بالقسطنطينية . ولم تكن له أية بحـوث إيمانية تتعدى النقطتين السابقتين بأى حال من الأحوال . فقد بحث المجمع تسع قضايا لاتمت بأية صلة إلى تقرير جديد للإيمان ، بل بثمانية أساقفة ورئيس دير واحد . وقد قدمت ضد الأساقفة الثمانية شكاوى تطعن فى إيمانهم إذ إعتنقوا مبادئ شجبها مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م . وشكى رئيس الدير بأنه أعلن تعليماً جديداً يتنافى والمبادئ اللاهوتية . وكانت أهم هذه القضايا قضيتا فلابيانوس رئيس أساقـفة القسـطنطينية وأوطاخى رئيس الدير .

أفتتحت الجلسة الأولى للمجمع فى اليوم الثامن من شهر أغسطس سنة ٤٤٩ م فى مدينة أفسس بقراءة خطاب الامبراطور المتضمن الدعوة إلى عقـد المجمع . ثم أعلن نواب أسقف روما أنهم يحـملون منه رسـالة ، قبـلها رئيس المجمع البابـا ديوسقورس ثم قرأت باقى الرسائل الامبراطورية .

بعد ذلك وافق المجتمعون على استعراض ما جاء بالمجمع الفلابيانى وطالبوا بحضور أوطاخى بنفسه . الذى مثل أمام المجمع ودافع عن نفسـه وأعلن تمسـكه بإيمان الكنيسة الجامعة وتبعيته للآباء أمثال أثناسـيوس وكيرلس ، وجاهر بـتأييده

وحرم المبتدعين من سيمون الساحر إلى نسطوريوس . وقد قدم بذلك إعترافاً مطولاً بالإيمان مكتوباً بخط يده ، وموقعاً عليه بإمضائه . واستتبع ذلك بالشكاية ضد يوسيبيوس أسقف دوريلايوم وفلابيانوس أسقف القسطنطينية . ثم قال أوطاخى شفاهاً : " إنى أؤمن طبقاً لما كتبت فوقعت بخط يدى هذه الوثيقة وسلمتها " . ثم أكد أن محاضر المجمع الفلابيانى مزورة ، وبعد أخذ ورد تم قراءة أعمال المجمع الفلابيانى . وقدم كل من فلابيانوس وأوطاخى تقريراً فى ذلك . وبعدها وقف الأسقف القسطنطينى يبرر نفسه فى ما أصدر من حكم على المبتدع . وللمرة الثانية إنزلق فى البدعة النسطورية لأن طومس لاون قد شوش تفكيره . وإفتخر فلابيانوس بثباته على قوله هذا مع أن بعض الذين كانوا معه فى مجمعه وقالوا بقوله قد رجعوا عنه ؛ حيث عادوا إلى الصواب فنفوا الإثنينية من بعد الاتحاد. وبعد التداول أجمع الأعضاء على تبرئة أوطاخى . وثبت البابا ديوسقورس هذا الحكم ، ثم تمت قراءة أعمال مجمع أفسس المسكونى ، وتُلى قانون المجمع النيقاوى وتعاليم الآباء . ثم رفع بعض رهبان أوطاخى عريضة إلى المجمع يشكون فيها فلابيانوس أنه منعهم من التناول لمجرد محبتهم لأوطاخى فحلهم المجمع .

أما عن فلابيانوس فقد سأله الآباء عما إذا كان يوافق على عقيدة المجمع ويرى رأيه . فقال إنه متمسك بعقيدته التى أعلنها فى مجمعه المكانى ، وأصر على القول بطبيعتين فى السيد المسيح بعد الاتحاد . وبعد محاولات طويلة لإقناعه دون جدوى لم يجد المجمع بداً من حرمه وستة أساقفة معه ، بقيوا مصرين على تمسكهم بأقوال الهراطقة والمبتدعين .

أما القضية الباقية وهى قضية دمنوس أسقف أنطاكية فقد درست بإسهاب وقرئت رسالاته المتعددة التى أثبتت نسطوريته . كما أنه كان مشايعاً ومحامياً لثيؤدوريطس أسقف قورش النسطورى ، الذى حُرم ضمن الستة أساقفة . وكان البابا ديوسقورس آخر من نطق بالحرم على دمنوس . ولما كان الاتهام الرئيسى ضد هؤلاء هو اتجاهاتهم النسطورية التى إنتشرت فى هذه المنطقة . لذلك قال أحد المؤرخين " قام المجمع بعزل القيادات النسطورية " .

وبعد أن إنتهى الأساقفة من جدول أعمال المجمع وأصدروا أحكامهم وقراراتهم ووقع الجميع عليها ، بعثوا بها إلى الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى الذى وافق عليها واعتمدها وأصدر أمراً بنفى فلابيانوس وزملائه . وطلب إلى البابا

ديوسقورس أن يقوم برسامة أسقف على القسطنطينية خلفاً لفلابيانوس فرسم أناطوليوس ، كذلك رسم مكسيموس أسقفاً على كرسى أنطاكية بدلاً من دمنوس . وفى نهاية الإجراءات أرسل ثيؤدوسيوس الثانى للبابا ديوسقورس يشكره ويأمره أن يبلغ جميع المطارنة بمنشور باباوى بالنتائج وهكذا أثبتت الإسكندرية حقها أن تكون " مدينة الأورثوذكس " .

الفصل الثالث

تجدد النزاع بعد مجمع أفسس الثانى

(الفترة من سنة ٤٤٩ إلى سنة ٤٥١ م)

مقدمة:

رأست الاسكندرية مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م ، حيث أنها كانت أكثر الكنائس التى قاومت الهرطقة النسطورية من قبل ، تماماً مثلما كانت قد قاومت الأريوسية. وقد نجح مجمع أفسس الثانى ، كمكمل لمجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م ، فى تأكيد الإعتراف بالإيمان المؤيد فى نيقية وأفسس ، وعزل من أصروا على انحرافهم من النسطوريين واستقرت الأمور فى البداية .

على أن بعض المراجع الأجنبية تنظر إلى الفترة ما بين ٤٤٩م ، ٤٥١م على أنها فترة " أزمة ضخمة أحتوت الكنيسة " وانقسام للكنيسة الشرقية بين مؤيد ومعارض للبابا ديوسقورس الاسكندرى ، وأن البابا ديوسقورس الذى كان لا يزال يتعامل مع لاون أسقف روما ، بدا هو المنتصر ولمدة عامين حتى جاء سقوط خريسافيوس والوفاة الفجائية لثيؤدوسيوس الثانى سنة ٤٥٠ م .

ولكن فى حقيقة الأمر أن " الأزمة الضخمة والانقسام " هى أمور قد افتعلها لاون ومشايعوه النسطوريين ، بمساندته إياهم ، وبتدخله ورغبته فى نقض مجمع أفسس الثانى . فالأمور ظلت طوال بقية عهد الامبراطور ثيؤدوسيوس الثانى الذى كان ، علاوة على ثقته الكبيرة فى نزاهة مجمع أفسس الثانى ، على دراية بكل الأمور منذ أفسس الأول ، كما أنه أدرك أهداف لاون ومساعيه . وقد سنحت الفرصة ، فبوفاة ثيؤدوسيوس الثانى ، وجد لاون آذاناً صاغية لدى كل من بوليكاريا وزوجها النسطورى مركيان ، وانفصمت عرى وحدة الكنيسة .

١- النزاع حتى وفاة ثيؤدوسيوس الثانى سنة ٤٥٠ م :-

أ- فلابيانوس ومشايعوه والإلتجاء إلى لاون :

قبل وفاة فلابيانوس أرسل إلى لاون مع الشماس إيلاريوس أحد نواب أسقف روما يحدثه عما جرى فى مجمع أفسس الثانى . فبعد صدور الحكم على فلابيانوس

أدرك أن الاستئناف إلى الأساقفة الشرقيين سيكون عبثاً . ولكنه مع ذلك عزم على إرسال خطاب دورى إلى جميع أساقفة الشرق والغرب ، وبخاصة إلى لاون أسقف روما . وعندئذ أرسل لاون خطاباً إلى الامبراطور ثيؤدوسيوس الصغير للعمل على إعادة النظر فى الحكم الصادر ضد فلابيانوس ، مهاجماً مجمع أفسس الثانى ومستعطفاً الامبراطور لعقد مجمع آخر فى مكان ما بايطاليا . ولم يكن رفض لاون لمجمع أفسس الثانى واستغاثة فلابيانوس به هو الدافع الأساسى لطلبه عقد مجمع آخر ، بل لأن طومسه لم ينل فى المجمع المذكور ولم ينزل منزلة الوحى ولم يتّخذ كقانون للايمان مع مخالفته ، واتفاقه فى نقاط جوهرية مع النسطورية كقوله " ... حقاً يأتى المسيح الإثنان الإله والإنسان وإن الأول كان يبهر بالمعجزات والآخر ملقى للإهانات " .

ومع نضوج فكرة الرئاسة فى داخله ، وتفوق باباوات الإسكندرية عليه وعلى أسلافه حول هذه المزية ، ولأن البابا ديوسقورس خلع فلابيانوس ، ورفض رسالة لاون أو نسيها أو تناساها لاشتمالها على لهجات غير أرثوذكسية ، أو لأنها غير مرسلة باسم المجمع بل كانت مرسلة لفلابيانوس شخصياً ، كل هذا جعله يحتدم غيظاً وينهض للحرب والمقاومة خاصة بعد أن إحتج إليه الأساقفة المقطوعون . فقد توجه إليه جماعة من الأساقفة المقطوعون وشكوا له حالهم وأنهم مظلومون ونسبوا ظلمهم كله إلىالأنبا ديوسقورس بطريرك الاسكندرية وقالوا " إنه عمل مجمعاً ولم يجعل لك موضعاً ولم يرسل يخبرك بما يعمله وقطع بطريرك القسطنطينية ، وبعض أساقفة معه برأيه وحده .. وكيف يجوز لديسقورس أن يفعل هذا وأنت موجود ؟! " . فإمتلأ قلب لاون غيظاً وغضباً على ديوسقورس .

كما بعث يوسيبيوس بخطاب إلى لاون ، وجاء بعد قليل ليقدم إلتماسه شخصياً... والخطاب الثالث أرسله ثيؤدرويطس مما أوجد نوعاً من التحالف مع روما ضد الاسكندرية . وهكذا جمع لاون تحت رئاسته النساطرة الذين تأيد حرمهم فى مجمع أفسس الثانى ، ومعهم ثيؤدوريطس ، فتكتلوا جميعاً للسعى فى إستئناف قرارات أفسس الثانى أمام مجمع آخر . وحين خرج نواب أسقف روما من المجمع بخيبة الأمل من نجاة فلابيانوس وحزبه تجمهروا معاً عصبة واحدة وانطلقوا إلى روما يشكون لأسقفهم مما حل بهم من العار . وإذ كان لاون يؤمل أن رسالته إلى فلابيوس يقبلها المجمع قانوناً للايمان كما فعل مجمع خلقيدونية بعد ذلك وخاب رجاؤه من ذلك ، أضمر سوءاً لكل آباء المجمع سيما الأنبا ديوسقورس . فعمل على

تكوين عصبة من أساقفة الشرق الذين أحـــرزوا شـــرف العضوية فى ذلك المجمع الأفسسى ليكونوا لما سيزعمه نوابه فى مجمع خلقــيدونية من المؤيدين . وإلى ذلك الوقت كانت الأمور اللاهوتية تشغل أساقفة الشــرق بــصورة جوهرية ، لدرجة أن المجامع المسكونية كان يدعو إليها أباطرة الشرق دون تجاهل لأباطرة الغرب ، وإذ كانت روما لا تتبع ثيؤدوسيوس امبراطور الشرق مباشرة من الناحــية السياســية ، وجد لاون حريته فى التحرك ملقباً مجمع أفسس – الذى يمتدحــه ثيؤدوســيوس – بالمجمع اللصوصى .

ب– <u>محاولات لاون لعقد مجمع جديد ورفض ثيؤدوسيوس الثانى ذلك :</u>

كان لاون الكبير (٤٤٠ ــ ٤٦١ م) أسقف روما يؤكد سيادة الكنيسة الرومانية كما لم يحدث من قبل . و قد لعبت كنيسته دوراً بارزاً فى الصراعات العقائدية خلال القرن الخامس . فقد قال فى إحدى مواعظه إنه على الرغم من أن كل راع مســئول عن رعيته ، فإن أسقف روما بوصفه الراعى الأكبر يشرف على هؤلاء الرعاة "فهذا من صميم إختصاصنا فى كل أنحاء المسكونة إنطلاقاً من المسئولية والصلاحــيات التى فوضها المسيح لبطرس أمير الرسل " . وكان لاون فى الواقع هو أول أساقــفة روما الذين أصروا على التحلى بلقب "نائب القديس بطرس وخليفته " ، واعتبر نفسه بذلك الحكم الأول والأخير فى شئون الكنيسة العالمية وصاحب حق الحل والربط .

ولد لاون أواخر القرن الرابع ، وأنتخب أسقفاً لروما سنة ٤٤٠م ، وكان ينتمى لعائلة أرستقراطية رومانية عريقة ، لذلك لم يقتنع بنهاية الامبراطورية فى الغرب ، الوشيك الحدوث . وقــد عمل على جعل الأسقــفية الرومانية خليفة للامبــراطورية الرومانية فى الغرب . وتزكية المزاعم بــتفوق كنيســة روما على باقــى الكنائس المسيحية ، وهو ما يعرف بالمذهب البطرسى الذى نادى به لاون ، والذى يقول بأن بطرس كان رئيســاً على التلاميذ وعليه يكون خليفته رئيســاً على كل المسيحــية . ويوضح كل ما سبق الأسس والدوافع التى إنطلق منها لاون فى سلوكياته ودوره فى تزكية روح الصراع فى الكنيسة والذى ترتب عليه إنقسامها فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م .

عاد مندوبو روما إلى أسقفهم يعلنون فشلهم فى حماية فلابــيانوس وجماعته ، ولكن لاون لم يرض عن إهانته فى شخص مبعوثيه ، فجمع مجمعاً من أساقــفته فى

روما حكم فيه على كل ما قرره مجمع أفسس الثانى ، وطلب من فالنتيان الثالث عقد مجمع فى إيطاليا ودعا ثيؤدوسيوس للموافقة على ذلك ، و لكن الأخير لم يلب الطلب وذكر له أن الكنيسة فى سـلام . وحـتى عندما كتب إليه كل من فالنتيان الثالث وأمه بلاسيديا وزوجته أفذوكسيا الذين توسل إليهم لاون فى ذلك ، أجاب ثيؤدوسيوس بأن ما جرى كان كافياً وأنه لاحاجة إلى عقد مجمع آخر .

ورسائل لاون (رقم ٤٣ – ٧٢) التى كتبها بين أفسس الثانى وخلقـيدونية ، تفضح حـيرته ، كما تثبـت أنه كان فى وضع صعب جداً . ومحـاولاته المتكررة لتحريك ثيؤدوسيوس أن يستدعى مجمع جديد ، فشلت ، ووقف ثيؤدوسيوس ثابـتاً ، رغم حدوث تغيرات فى القصر . فقد أبعدت أفذوكسيا من القسطنطينية إلى أورشليم ، بحجة الزيارة ، ونفى خريسافيوس . وارتفع شأن بوليكاريا وحزبـها ، التى كانت تحـترم فلابـيانوس دائماً فعملت على إعادة كرامته ، ونقـلت رفاته باحـتفال إلى القسطنطينية . وقبل ١٧مارس سنة ٤٥٠ م بوقت قليل ، أفصحت بوليكاريا إلى لاون عن عدم موافقتها على مجمع أفسس الثانى . وفى نفس الوقت بدأ البـطريرك الجديد أناطوليوس يؤكد استقلاله عن البابـا ديوسقـورس . ومن غير المؤكد تماماً إذا كان يعمل متفقاً مع بوليكاريا ولكن يبدو أنه قرر فى بحـر أوائل الصيف أن يسـعى إلى الاعتراف به من لاون . ونجحـت أولى خطواته فى هذا الاتجاه ، لأنه فى١٥يوليو أخبر لاون بوليكاريا أن أناطوليوس يمكن قبوله لو قبـل وتوافق مع خطاب كيرلس الثانى إلى نسطوريوس والطومس. وكتب إلى ثيؤدوسـيوس بـهذا المعنى . وكان المندوبـون فى طريقـهم إلى الشـرق عندما تدخلت وفاة ثيؤدوسـيوس المفاجئة فى٢٨يوليو سنة ٤٥٠م .

وفى الحقيقة أن لاون عزم على مقـاومة البابـا ديوسقـورس خصمه العنيد وتخفيض شأنه . ولم يترك باباً لذلك إلا وطرقه . فبدأ ذلك برسالته إلى الامبـراطور ثيؤدوسيوس يهول من الموقف ويصور له أن الديانة المسيحية تكاد تضمحل ما لم يلغ حكم ديوسقـورس فى مجمـع أفسس والإبقاء على ماكان عليه أولاً ، والتصريح له (للاون) بعقد مجمع فى روما للنظر فى ذلك . وكان ذلك الخطاب بتاريخ١١ تشرين الأول (أكتوبر) سنة٤٤٩ م ، وكتب بنفس المعنى وفى نفس التاريخ تقريباً رسـالة إلى بوليكاريا شقيقة الامبراطور التى كانت ساخطة على حرمان فلابيانوس . والتى كانت بمفردها منحازة إلى جانب المندوبين الرومانيين فى مجمع أفسس الثانى . وفى نفس الوقت كتب إلى فلابـيانوس وإلى إكليروس كنيسـة القسـطنطينية وشعبـها

وأرشمندريتيها محرضاً إياهم على نبذ قرارات مجمع أفسس وعدم الأخذ بها .

ولما لم يجبه الامبراطور إلى طلبه حـرض فالنتيان إمبـراطور الغرب لكى يكتب له بنفس الغرض ، فرد عليه ثيؤدوسيوس برسالة وافية يوضح له فيها ما حدث وأن المجمع لم يحكم بشئ البتة ضد إعتقاد الإيمان وقوانين العدل وأن فلابيانوس قد نال ما إستحقه . ولم يهدأ لاون ، بل أخذ يتوسـل إلى كل من والدة فالنتيان وزوجته ، فكتبتا بدورهما إلى ثيؤدوسيوس الذى رد عليهما بردود مماثلة . ومع هذا الإلحاح لم يسع الامبراطور ثيؤدوسيوس إلا أن يكتب رسالة إلى لاون يقول فيها " ... إن مجمع أفسس قد فحص كل شئ بمقتضى رسوم العدل والإيمان ، فأقصى غير المستحقـين ... وأعيد المستحقون " . كما امتدح الامبراطور القديس ديوسقورس ومجمع أفسس الثانى . بل لقد قال فى إحدى رسائله " إن مجمع أفسس تصرف بمخافة الله المطلقـة وبالإيمان القويم ولم يمس بأذى قوانين الآباء كما علمت كل شئ بالتأكيد . لذلك فإنكم لحسناً تفعلون إذا كنتم لاتتدخلون فى الأمر " . ولكن لاون الذى ذهبت كل مسـاعيه أدراج الرياح ، قد سكت على مضض ، حتى وفاة ثيؤدوسيوس الثانى .

<u>٢ – تغير الموقف فى عهد مركيان :</u>

أدى موت الامبراطـور ثيؤدوسـيوس الثانـى وخلافة مركـيان Marcian (٤٥١ــ٤٥٧م) وزوجته بوليكاريا Policheria الراهبة السابقة وأخت الامبـراطور المتوفى ، أدى إلى تغيير السياسة الكنسية للامبراطورية . مما أدى إلى تحقيق رغبة لاون وعقد مجمع خلقـيدونية . ذلك أن الحـاكمين الجديدين كانا متحزبـين للاون وخصمين للبابا ديوسقورس ... ولا سيما مركيان الذى كان صديقاً حميماً ومشـايعاً لنسطوريوس .

وقد وقفت بوليكاريا وزوجها مركيان فى صف أسقف روما وعقيدة الطبيعتين Dyophysite إذ لم تكن بوليكاريا موالية لسياسة شقيقها فى تعضيد باباوات الاسكندرية والأخذ بناصرهم والإيمان بعقائد كنائسهم . ذلك أنها رأت الحد الذى وصل إليه بابـا الاسكندرية من القوة ومنعة الجانب وأن إتساع سلطته هذه قد تضر بمملكتها ضرراً لا يحق السـكوت عليه إذ لا يبـعد أن تضيع مصر من يدها وهى أخصب أراضى مملكتها وأوفرها ثروة وأعظمها غنى وأكثرها رضوخاً . فلذلك سلكت بوليكاريا مع زوجها مسلك دهاة السياسة .

أ- موقف الكنيسة من زواج بوليكاريا :

كان الإمبراطور ثيؤدوسيوس قد تقدم فى الأيام ولم يعقب نسلاً ، ولم يكن له من وريث للمُلك إلا أخته بوليكاريا ، وهذه لايجوز لها التملك إذ لم يكن يسمح للنساء فى ذلك الوقت بـــاعتلاء العرش الملكى كما وأنها لغيرتها الشـديدة على عرش والدها فرضت نذر الرهبنة على نفسها وعلى أختيها الإثنتين خوفاً من أن يغتصب أى زوج السلطة التى سيتركها أخوها الذى كان أثناء حياته يراقبها حتى لا يتصل بـــها أحـــد ويتفق معها على إغتصاب الملك . وكانت بوليكاريا قد أشارت على أخيها بـــأن يتخذ له زوجة ثانية ، ولكنه لم يتمم هذا الأمر إذ لم يوافق عليه رهبان وقديسو برية شيهيت المصرية بعد أن أرسل مرتين يطلب مشورتهم نظراً لإلحاحها عليه . وبـــعد ما طرد الامبراطور زوجته أفدوكسيا إلى أورشليم عادت شقيقـــته الراهبـــة بـــوليكاريا إلى القصر وعند موته إستقلت هى بإدارة المملكة . وأصدرت مرســـوماً إمبـــراطورياً بإعتلائها العرش . ثم تزوجت قائد الجيش مركيان ، وتوجته إمبراطوراً وأصبحـــت إمرأته ، مضحية فى ذلك ببتوليتها .

فبينما رفض جميع الأساقـــفة أن يمنحـــوا البـــركة لزواج بـــوليكاريا أخت ثيؤدوسيوس - الراهبة - من مركيان ، أعطاها لاون الحـــل فوراً . وكان اعتلاؤها العرش فرصة طالما ترقبها الأسقف الرومانى لأنها هى أيضاً كانت تشـــعر بـــغيرة عنيفة من النفوذ الواسع الذى يتمتع به بابا الاسكندرية . وكانت لها رغبة شـــديدة فى العرش . وقد صار لاون صديقاً لها ولزوجها . هذا وقد كان زواجها من مركيان فى ٢٥ أغسطس سنة ٤٥٠ م (أى بـــعد أقـــل من شـــهر من وفاة أخيها) وأن أسقـــف القسطنطينية أناطوليوس قد اشترك فى حفلة التتويج إن لم يكن قـــد توج فعلاً مركيان كإمبراطور . ولما تزوجت بوليكاريا بهذا القائد مركيان نادت بـــه ملكاً فى الحـــال وأسلمت إليه تدبير المملكة ، وقد توفيت بوليكاريا فى شهر تموز ســـنة ٤٥٣ م ، أما مركيان فاستمر يدير الملك بـــعدها كما كان يديره معها . أما عن صفات بـــوليكاريا فإنها كانت متغطرســـــــة ذات دهاء وميل وافر إلى التعاظم ، وورثت ذلك عن أمها أفدوكسيا زوجة أركاديوس التى اضطهدت القديس يوحنا ذهبى الفم لأنه لم يســـكت عن مظالمها وتكبرها فنفته حيث تنيح فى نفيه .

ب - مركيان وأسباب ميله للاون :

ولد مركيان بالقسطنطينية سنة ٣٩١ م وقد ترقى فى المناصب حتى صار قـــائداً

مشهوراً وعضواً فى السناتو . وقد ترك ثيؤدوسيوس عند وفاته للسناتو وللأوغسطا بوليكاريا أمر إختيار خليفة له ، فأيدت هى إختيار مركيان وتزوجته زواجاً رسمياً واشترك البطريرك مع الأوغسطا فى تتويجه حيث حكم الامبراطورية لمدة سبع سنوات . وتؤكد الكثير من المصادر القديمة والمراجع المختلفة أنه كان نسطورياً وصديقاً لنسطوريوس . وأن الامبراطور ثيؤدوسيوس كان قد نفى مركيان إذ وجده متوافقاً مع أصحاب نسطوريوس المقطوعين . ولما مات ثيؤدوسيوس عاد مركيان من منفاه باستدعاء بوليكاريا .

وقد أحدث زواج بوليكاريا منه وتتويجه قلقاً واضطراباً فى القصر والمدينة . وعندما علم أصحاب نسطوريوس بتتويجه أسرعوا إلى القصر هاتفين ، فأحسن استقبالهم وشكر لهم مساندتهم وطلب صلواتهم ووعدهم بحسن الصنيع . وقد أسرع مركيان بإستعادة المنفيين من النساطرة . وتعدد المراجع الغربية والخلقيدونية من مناقب مركيان وصفاته الشخصية وكفاءته الإدارية . وأنه عند موته سنة ٤٥٧ م أسف عليه لاون أسقف روما صديقه وأوجب أن يكرم تكريم قديس هو وبوليكاريا . التى كانت تمقت حكم أخيها وتعادى صنائعه .

لقد كان مركيان الامبراطور الجديد جندياً فظاً لا يدرى من أمر اللاهوت إلا مظهر الصراع فيه ، فالشرق الآن يقف وراء الاسكندرية والغرب يعضد روما ، والقسطنطينية ترقب الجولة القادمة عن كثب ، وإزدادت المشكلة تعقيداً . لقد كان لزوجة مركيان تأثير فى خطواته ، كما كان محوطاً بإعتبارات سياسية غاية فى الأهمية . فهو غريب عن الأسرة الثيؤدوسية ومن ثم إنتسب إليها بزواجه من أخت الامبراطور الراحل ، وهو يتلهف شوقاً ليحظى بموافقة زميله امبراطور الغرب – ابن عم ثيؤدوسيوس الثانى والوريث له – على اختياره . ولأن مركيان أراد تأمين عرشه، سعى إلى أن ينال رضى أسقف روما صاحب النفوذ فى بلاط الغرب . " على هذه الصورة من التشابك والتعقيد بدت المشكلة " .

لهذا أصبحت الفرصة مواتية أمام لاون الذى أخذ يراسل مركيان وزوجته بوليكاريا مباشرة ودون اللجوء إلى امبراطور الغرب فى هذه المرة . وقد حدث التوافق السريع بين هؤلاء الثلاثة – بوليكاريا ومركيان ولاون – فمن الناحية العقيدية تأثروا جميعاً بالنسطورية ومالوا لعقيدة الطبيعتين . ومن ناحية السياسة الكنسية صاروا فى موقف العداء من الاسكندرية وباباها الأنبا ديوسقورس وتوحد هدفهم فى ضرورة التخلص منه .

جـ ـ التجاء لاون إلى مركيان وبوليكاريا لعقد المجمع :

أحدث تملك بوليكاريا ومركيان فرحاً وسروراً بالغين للاون وأشياعه من أتباع نسطوريوس وأتباع فلابيانوس . أما مركيان فقد وجه خطاباً فى الحال إلى لاون يعلن له استعداده أن يعقد المجمع الذى رغب فيه ، فرد لاون على هذه الرسالة معرباً عن فرحه العظيم وشكره ، ويخبره بأنه سيرسل له رسالة أخرى . كما أرسلت بوليكاريا أيضاً رسالة إلى لاون . تعلن فيها تغييراً فى الرأى من ناحية أسقف القسطنطينية ، إذ أنه قبل رسالة لاون العقيدية إلى فلابيانوس(الطومس) ، وأنه أدان عقيدة أوطاخى ، وتخبره أيضاً بأن الامبراطور أمر بـــإرجاع الأساقــفة الذين كان قــد عزلهم مجمع أفسس الثانى . لقد تطلب تغير الحكام من لاون أن يعدل فى إستراتيجيته وتحـــركاته التكتيكية .

رد لاون على رسائل كل من مركيان وبوليكاريا مستحســناً عملهما وتعددت بينهم المكاتبات . بل إنه أرسل ثيؤدوريطس أسقف قــورش وهيبـــا أسقــف الرها وغيرهما من زعماء الحـــزب النســطورى المقــطوعين من مجمع أفســس الثانى الاستئنافى والذين ضمهم هو إلى شركته ، أرســلهم بإحــدى رســائله إلى مركيان وزوجته يتلمسون السماح بعقد مجمع تفحص فيه أعمال مجمع أفسس الثانى . وقــد وقع طلب الأسقف الرومانى لدى مركيان موقع القبول وأنزل سفارته على الرحــب والسعة .

وقد تقابلت سفارة لاون مع بوليكاريا الذين أخذوا يستعطفونها ويحــرضونها قائلين : " إن ديوسقــورس ... قــد أرجع أوطاخى إلى درجته وحــرم فلابــيانوس ويوسيبيوس ومن معهما بغير وجه حق . وها إن ديوسقورس قـــد ذهب إلى أفســس بغير أمر المرحوم أخيك وأصدر حكمه فى هذا المجمع متجاهلاً رسالة لاون الحبــر العظيم . وسيدنا لاون يأمل منك أن تريحى المسكونة من كبرياء بطاركة الاسكندرية " . فاستجابت بوليكاريا ، وأوعزت إلى زوجها أن يكتب لأسقف روما بأنه لا حــاجة بأن يعقد المجمع فى روما وأنه مستعد لعمل المجمع فى القسطنطينية وإذا كانت مشقة السفر تحول دون حضوره فإنه يرأس المجمع كنائب عنه . وقد أجاب لاون على ذلك بأنه يوافق على عقد هذا المجمع فى الشرق على أن يرسل مندوبيه لحضوره بالنيابة عنه ، وأنه يرى أن الموضوع الذى يعرض على هذا المجمع هو إقــرار الشــروط اللازمة للعفو عن الأساقفة الذين حرموا فى المجمع الأخير .

لقد أصبح مركيان يميل وبقوة إلى جانب زوجته و لاون ، يثبت ذلك أنه :

أولاً : أرجع جميع الأساقفة المنفيين والذين كان قدعزلهم مجمع أفسس .

ثانياً : كتب بإيعاز من زوجته إلى أسقف روما يقول " إنى مستعد لعقد المجمع فى القسطنطينية ، وإذا كانت مشقة السفر تحول دون حضورك فأنا أقوم مقامك برئاسة المجمع " .

ثالثاً : بدأ مركيان عهده بالتخلص من خريسافيوس Chrysaphius.

رابعاً : أعيدت جثة فلابيانوس إلى القسطنطينية ، وأعيد إسمه إلىسجل القديسين حيث يقرأ إسمه أثناء القداس وذلك فيأكتوبر سنة ٤٥٠ م .

خامساً : أن الامبراطور والامبراطورة ألزما أناطوليوس أسقف القسطنطينية بقبول طومس لاون وحرم كلاً من نسطوريوس وأوطاخى فيمجمع رسمى ، حيث أنه كان مستعداً أن يفعل أى شئ يرغب القصر الملكى فيه .

سادساً : أرسل أوطاخى إلىالنفى فى شمال سوريا ، وصارت بوليكاريا تساند روما ضد الاسكندرية فجمعت هى ومركيان توقيعات على طومس لاون ليكون مستنداً رئيسياً فى مجمع خلقيدونية ضد اللاهوتيين الاسكندرانيين . وفى نفس الوقت تقرر أن يعقد المجمع فى الشرق حتى لاتكون لروما السلطة العليا .

٣ ـ موقف البابا ديوسقورس من كل من مركيان ولاون :

بينما أسرع لاون برفض قرارات مجمع أفسس الثانى ، نطق البابا ديوسقورس بالحكم على لاون بالحرمان . ذلك أن البابا ديوسقورس بطريرك الاسكندرية عندما سمع وهو فى مقر كرسيه ، بما يبذله أسقف روما من محاولات لعقد مجمع ورفضه لقوانين وقرارات مجمع أفسس الثانى ، وقبوله المبتدعين من أتباع نسطوريوس المجردين من المجامع المسكونية ، علاوة على أن لاون أعلن تمسكه بأقواله التى دونها فى رسائله إلى فلابيانوس ، والتى تدل فى جلاء لاغموض فيه على ترديه فيما تردى فيه فلابيانوس وحُرم من أجله ، وهو القول بالطبيعتين بعد الاتحاد . لهذا كله لم ير الأنبا ديوسقورس بدأ من أن يعقد مجمعاً من أساقفته فى الاسكندرية إنتهى إلى إصدار قراره بحرم لاون ، بعدما تأكد من ثبوت الأسباب السابقة مجتمعة . وانتصرت الاسكندرية وبطريركها ، وعبثاً إحتج لاون والامبراطورية الغربية لدى ثيؤدوسيوس الثانى الذى أيد البابا ديوسقورس فى حكمه على لاون . وبهذا عرف

الجميع أن كرسى الاسكندرية هو الحصن المنيع للعقيدة المسيحية الأرثوذكسية . إلا أن الأمور قد تغيرت فى نفس العام وذلك بوفاة الامبراطور ثيؤدوسيوس . وعادت العاصفة الهوجاء أيام مركيان وبوليكاريا أخت ثيؤدوسيوس الثانى .

ولقد كان الامبراطور مركيان – على ما يبدو – على استعداد للاتفاق مع البابا ديوسقورس ، إلا أنه أصر على أن يذعن الأخير ، فيخضع للنظام ويعيد المحرومين والمنفيين إلى مراكزهم ويوافق على قرار الامبراطور بإرجاعهم ، ولكن البابا ديوسقورس رفض ذلك ، حفاظاً على الإيمان حتى ولو كلفه الرفض حياته .

ويروى مخطوط قبطى أن لاون كتب إلى مركيان رسالة وكانت أقواله فيها شبيهة بطومسه وبينما يقرأها قارئ له يدعى أتروفوسوس ، وعندما أتى إلى الموضع الذى فيه ذكر الطبيعتين رما المسطور وقال " إن هؤلاء الذئاب الخاطفة يريدون إفساد أمانة الآباء ، فأين البابا ديوسقورس الآن ليأخذ هذا الكتاب ويحرمه ويطرحه فى النار " . فغضب الملك على أترفوسوس الذى هرب إلى الاسكندرية وأعلم البابا ديوسقورس بكل شئ . وشعر البابا ديوسقورس من ذلك بالخطر فكتب رسالة إلى مركيان يوضح له الإيمان السليم .

فلما وصلت الرسالة إلى الامبراطور قرأها وتعجب من حكمة القديس ديوسقورس . ولكنه قال " إن ديوسقورس يريد أن يخدعنى بكتبه . هل مرقس أفضل من بطرس أو هل يقبل من الكرسى الصغير ويترك الكبير . الآن أنا أمر أن تجمع جميع الأساقفة من كل كورة ويحضروا إلى هاهنا يعرفونى كيف هى الأمانة المستقيمة " ، وعند ذلك كتب إلى البابا ديوسقورس قائلاً : " ساعة يأتى إليك أرساكيوس بهذه الرسالة أسرع وأجمع جميع أساقفة كرسيك وتحضروا إلى هاهنا ليثبتوا الأمانة " .

الباب الثانى

مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م وتأثيره

الفصل الأول : تبرأة البابا ديوسـقورس ،

والأسباب الحقيقية لمجمع خلقيدونية .

الفصل الثانى : مقدمات مجمع خلقيدونية .

الفصل الثالث : أعمال المجمع وجلسـاته وقراراته .

الفصل الرابع : لماذا نرفض خلقـيدونية ؟

الفصل الأول

تبرئة البابا ديوسقورس
والأسباب الحقيقية لمجمع خلقيدونية

قاد آباء الكنيسة القبطية الثلاثة المجامع المسكونية الأولى ، وفى المجمع الرابع بأفسس كان من اللازم أن يترأسه عنصر قبطى ، وكان الغضب الناتج من الغرب على مجمع أفسس الثانى ، قد ظهر فى الوصف المندفع له " كمجمع لصى " ، مع أنه لم يحدث من قبل فى أى مجمع أن يحرز بطريرك مثل هذا النصر . كما ضمن فى المجمع إنتصار إعتراف الإيمان القديم المؤيد فى نيقية وأفسس الأول . واتفق المجتمعون واعترفوا بأن عقيدة البابا كيرلس" طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد " هى الحقيقية . أما الذين عارضوها فبعضهم عزل وبعضهم خضع ، وكانت قد إتخذت الترتيبات للحصول على خلفاء مناسبين لأولئك الذين كانوا قد عُزلوا ، وعين كاهن اسكندرى ، هو أناطوليوس للقسطنطينية . وخضعت كنيسة الشرق للبابا الاسكندرى ، الذى كان قد أنجز كل شئ بموافقة ومعاونة الامبراطور . وهنا نتوقف قليلاً مع البابا ديوسقورس الاسكندرى ليتضح لنا عدم صدق التهم التى ألصقها به الخلقيدونيون .

١- لماذا لم يقرأ طومس لاون فى مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ م ؟ :

إعتبر الأسقف الرومانى أن حذف طومسه وعدم قراءته فى مجمع أفسس الثانى سنة٤٤٩م بمثابة إستخفاف بالسلطة البطرسية ، لذا وصف المجمع "باللصوصى " . ورغم أن البابا ديوسقورس كان قد حصل على سلطة من الامبراطور ، إلا أنه قد وضع خطاب لاون وسط جدول الأعمال . فلماذا يلام إذاً البابا ديوسقورس فى عدم قراءة رسالة لاون حيث أنه أمر بذلك مرة ومرتين ، وحتى ولو لم يأمر بقراءتها فما عليه لوم فى ذلك ، لأن الرسالة لم ترسل إلى المجمع رأساً بل إلى فلابيانوس . كما أن نواب روما قد نزلوا أولاً عند فلابيانوس . وقد أدى ذلك إلى فقدان أوطاخى الثقة فيهم لحلولهم عند خصمه فلابيانوس الذى أكرمهم وإستضافهم ، لذلك قاوم أوطاخى قراءة الطومس فى المجمع وقال : إعلموا أيها الآباء إننى متشكك بالرجال المرسلين من طرف لاون أسقف روما ، لأنهم لما وصلوا إلى هذه المدينة نزلوا فى منزل فلابيانوس وهو أكرمهم إلى الغاية ومنحهم عطايا ، فلذلك أنا أتضرع إلى قدس أبويتكم أن تنظروا إلىّ لئلا يقضوا على بغير الصواب ويأتى لى ضرر . فقال الأنبا

ديوسقورس المكرم ينبغي أن تقرأ بقية الأعمال كأمر المجمع المقدس وبعد ذلك تقرأ رسالة قدس لاون " .

وقد كان ليوبيناليوس أسقف أورشليم دور فى عدم قراءة طومس لاون ، يقول فرند Frend : قُرأت خطابات الامبراطور الناقدة بشدة لعقيدة الطبيعتين ولم تقرأ رسالة لاون ، لأنه مع أن الأنبا ديوسقورس لم يرفض قراءتها فإن يوبيناليوس تولى أمر إنزالها إلى أسفل جدول الأعمال حتى ضاعت رؤيتها وسط زحام اللحظات التى تلت ذلك . كما أن ألبيديوس ممثل الامبراطور له دور فى ذلك ، يقول أسد رستم إن أوطاخى عندما وقف أمام المجمع ليعترف بإيمانه ، محتجاً على قطعه طالباً إنصافه أشار فلابيانوس بوجوب إستماع يوسيبيوس أسقف دورلايوم ولكن ألبيديوس رفض ذلك ، ولم يسمح أيضاً بقراءة رسائل أسقف روما .

جدير بالملاحظة أنه علاوة على أن الطومس لم يكتب كمستند للمجمع ، فإن ممثلى روما فى المجمع كانوا قادرين على تقديم وجهة نظرهم . كما أن الطومس كان قد إنتشر بشكل واسع فى الشرق منذ منتصف يونية ٤٤٩م ، وكانت محتوياته معروفة للمندوبين فى المجمع سنة ٤٤٩م حتى قبل أن يجتمعوا . لقد عرفوا فى الحقيقة أنه يدافع عن عقيدة وجود " الطبيعتين بعد الاتحاد " ، لذلك فإن القول بأن البابا ديوسقورس منع قراءته فى المجمع فى غطرسة أو عنف أمر غير صادق ، إذ لا توجد أية شهادة على ذلك . بل إن الطومس لم يُقرأ ، كنوع من الاحترام لكرسى روما ، فبسبب إتجاهه النسطورى لم يقرأه الأساقفة تحاشياً للدخول فى صراع مع روما ، خاصة وأن نسطوريوس أعلن أنه يستطيع أن يموت فى سلام " وقال نسطوريوس فى كتابه هيراكليدس المترجم إلى الفرنسية "...عندما وجدت وقرأت تلك الكتابات (التى تشير إلى طومس لاون) فقد شكرت الله لأن كنيسة روما كان لها إعتراف مستقيم وبلا لوم للإيمان ..". وقد ساد الاعتقاد بأن لاون قد قال ما قاله نسطوريوس بنفسه ، وفى ذلك إثبات لنسطورية لاون وطومسه ومجمع خلقيدونية أيضاً .

٢ - المجمع ليس لصياً :

لم يحضر لاون مجمع أفسس الثانى ، بل حضره مندوبون عنه ، كما أنه بعث إلى المجمع بعدة رسائل يؤيد فيها فلابيانوس ، وقد إرتاع لاون من التقرير الذى أرسله إليه مندوبوه فأطلق على هذا المجلس اسم " مجمع اللصوص " ، وأبى أن يوافق على قراراته .

ولكن هل بعد كل ما سبق يستحق مجمع أفسس الثانى أن يوصم بأنه " عصابة من اللصوص والقتلة " ؟! لقد أثارت رئاسة البابا ديوسقورس لمجمع أفسس الثانى لاون أسقف روما الذى رأى فى هذه الرئاسة هدماً لدعواه فى الرئاسة التى كان قد أظهرها فى كتابه إلى البابا ديوسقورس ، فطعن فى قانونية هذا المجمع وأطلق عليه مجمع اللصوص رغم أنه عقد بدعوة من الامبراطور وحضره جميع الأساقفة ومنهم ممثلو لاون نفسه . فمجمع أكثر من أى مجمع آخر قد التزم بالتقليد الدينى بإعتباره ذو أهمية حيوية ، لا يستحق اسم " المجمع اللصى " . والادعاء بأن هذا المجمع إنعقد وأنفض فى يوم ، بعيد عن الحقيقة لكثرة الأعمال والمسائل التى ناقشها المجمع ، ولأن المجمع إستمر من ٨ حتى ٢٢أغسطس سنة ٤٤٩م . وكيف يقبل الغربيون مجمع أفسس الأول ويرفضون الثانى مع أن الإثنين قاوما النسطورية ؟ هل تغير قلبهم نحو النسطورية أم نحو بابا الاسكندرية ؟ وهل تُرك المعتقد القديم مقاومة للاسكندرية ؟ !

وقد شهد الامبراطور ثيؤدوسيوس الثانى بنزاهة مجمع أفسس الثانى ، فعندما سأل لاون أسقف روما امبراطور الغرب فالنتينوس وأمه وبوليكاريا للتوسط لدى ثيؤدوسيوس الثانى ليعقد مجمعاً آخر ، بعد أفسس الثانى ، أرسل الأخير رسالة يمتدح فيها المجمع بأن خوف الله كان يحكمه ، وأن أعضاءه تمسكوا بالإيمان الحق وقوانين الآباء ، وأنه قد فحص الأمر بنفسه وهو راض .

فمجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ م ليس لصياً كما إدعى الغرب ، وإنما هو مجمع قانونى . إذ إجتمعت له كل الشروط : الدعوة ، العمومية ، الهرطقة . إلا الشرط الرابع وهو أن هذا المجمع لم يقرر شيئاً جديداً ، فلم يقرر غير ما قررته المجامع السابقة ، ولأنه كان بمثابة محكمة إستئنافية لفحص قرارات المجمع الفلابيانى . فلهذا كله لايعد مجمعاً مسكونياً ، رغم أن أساقفته كانوا من مختلف أقاصى المسكونة .

والأدلة على عدم صحة الاتهام بأن أفسس الثانى كان مجمعاً لصياً وأن البابا ديوسقورس كان مسيطراً عليه ويملى على الأعضاء إرادته ، كثيرة منها :-

١ – إنعقاد المجمع بطلب من الامبراطور .

٢ – تمثيل جميع الكراسى المشهورة فيه وهى أورشليم وأنطاكية والاسكندرية وروما والقسطنطينية .

٣ – ترك الحرية للأعضاء ليبدى كل واحد رأيه .

٤- نظر في الأمور بتأن مع أخذ الأصوات قبل الحكم على أحد .

٥- جلســـاته المتعددة للنظر في رســـائل الملك وفي محـــاضر جلســـــات مجمع القسطنطينية المكاني ضد أوطاخي وفي مقارنة عقيدة أوطاخي بعقيدة الآباء السابقين والنظر في قضايا النساطرة .

٣-إعتراضات على البابا ديوسقورس :

والاعتراضات على البابا ديوسقـورس لاتثبـت ، فهو لم يكن له أي تدخل في الدعوة للمجمع كما لم يكن رئيساً بمفرده . يوضح ذلك ما يأتي :- ١- لم يعقد المجمع بناء على طلب البابا ديوسقورس ، ولم توجد بينه وبين الأباطرة رسائل مسبقـة في هذا الشأن . هذا يعني أن القديس ديوسقورس لم يبغ نفعاً شخصياً خطط له .

٢- لم يصف الخطاب الامبراطوري القديس ديوسقـورس بألقـاب تكريم أكثر من غيره . هذا يعني عدم وجود اتفاقات مسبقة بين الامبراطور و القديس ديوسقورس .

٣ ــ تكشف الرسائل الملوكية عن وجود اضطرابات لاهوتية متزايدة في إيبارشـية القسطنطينية . وكان طلب الامبراطور من القديس ديوسقورس هو الإسراع لوضع حد للمتاعب اللاهوتية ، هذا ومما يجب مراعاته أن البابا ديوسقـورس لم يعلن عن صيغة إيمان جديدة بل كان يسعى للمحافظة على الصيغة التقليدية للإيمان الكنسي .

٤- أخذت القرارات بالتصويت ، ولم نسمع أن أسقـفاً من الحـاضرين إحـتج أو إنسحب من المجمع غير فلابيانوس ويوسيبيوس عند إصدار الحكم .

٥- في الكلمة الإفتتاحية التي ألقاها يوبيناليوس الأورشليمي ، وصف لاون أسقـف روما بـ "القديس" ، "محب الله" ، وأعطى لدمنوس أسقف أنطاكية لقب "محـب الله" .... هذه الألقاب تكشف عن روح المجمع .

٦- في الرســالة الملوكية في إفتتاح المجمع أعلن الامبـراطور منعه ثيؤدوريطس أسقف قورش من الحضور بسبـب الآلام التي يعانيها المؤمنون - حـتى الذين في القرى - من النساطرة . ففي الواقع لم يكن الأنبا ديوسقورس عنيفاً بل النساطرة كما شهد الامبراطور نفسه بذلك .

٧- في الواقع ، لم ينطق القديس ديوسقورس حتى اللحظة الأخيرة من انعقاد المجمع بكلمة ضد روما ، بينما لاون في رسائله يشير إلى بابا الاسكندرية بـأنه " السـفاح المصري " و" معلم أخطاء الشيطان " ، " والباذل بقـوة جهده لبـث التجاديف المرة وسط إخوته " . وسنرى كيف أن أناطوليوس أسقف القسطنطينية وغيره قـد رفضوا - فيما بعد - نسب الهرطقة للبابا الاسكندري .

٨- يتهم الخلقيدونيون عادة القديس ديوسقورس بالعنف ، ومن الطبيعي أن ينسب النساطرة العنف للبابا الاسكندرى ليخفوا سلوكهم العنيف في مجمع القسطنطينية المكاني كما شهد الامبراطور ثيئودوسيوس الثاني . وأيضاً سلوكهم القاسي مع أوطاخي وأعوانه . وقد كتب أوطاخي في إلتماسه للأساقفة أنه " أكد أثناء محاكمته رغبته في إتباعه ما قد صمموا عليه ، ولكن فلابيانوس رفض الإلتماس ، كما إعترض على العنف الذى استخدم ضده في المجمع وما بعد المجمع بواسطة العامة ". ومن المعروف أن فلابيانوس قد حرم كثيراً من قادة الرهبان لأنهم ساندوا أوطاخي ضد الثنائية النسطورية .

٩- إعتاد بعض الدارسين أن ينسبوا العنف إلى لاهوتيي الاسكندرية وآبائها ، حتى بالنسبة للقديسين أثناسيوس وكيرلس ، ولكن يلاحظ الآتي :

أ- يجب التمييز بين التمسك بالإيمان الأرثوذكسي دون إنحراف وبين إستخدام العنف ، فآباء الكنيسة القبطية غالباً ما إحتملوا الآلام من أجل الإيمان ، ولم يضطهدوا أحداً .

ب- إنها عطية الله لكنيسة الاسكندرية أنها لم تتمتع قط بسلطة زمنية مثل روما ، والقسطنطينية .

جـ - عندما أدانت المجامع المسكونية هراطقة ونفتهم حتى إن كان رئيس المجمع إسكندرياً ، فإن القرار لايصدر عن الرئيس الذى يقود المجمع وإنما يلزم الرجوع إلى الامبراطور الذى لم يكن مصرياً قط وإنما كان رومانياً أو بيزنطياً .

د- تشهد أعمال المجمع أن البابا ديوسقورس لم يكن عنيفاً لكنه كان حازماً في التخلص من الاتجاهات النسطورية .

أ- قبوله لأوطاخي :

أما قبوله لأوطاخي فلأنه قدم إعترافاً سليماً - كما رأينا - فقبل المجمع توبته ورده إلى رتبته ، ولو أن أوطاخي عاد بعد فض المجمع يراوغ من جديد ويتملص من تعهداته التي قطعها أمام مجمع أفسس الثاني ، ويعاود سيرته الأولى مما أثار ثائرة أساقفة روما وبيزنطة ضد المجمع وقراراته وضد البابا ديوسقورس . فأوطاخي الماكر كان يظهر غير ما يبطن فخدع نفسه وخدع الكنيسة فترة من الزمن بتلونه . والحق أن أوطاخي كان مبتدعاً ، ولكن وقد قدم توبته فالمجمع أصبح مضطراً لإثبات براءته ولو أن المجمع حكم عليه بعكس ما حكم ، لاعتبرنا حكمه قسوة وظلماً ...

و لأخذنا عليه عدم قبوله ، بعدما عاد إلى التمسك بالعقيدة السليمة . و البابا ديوسقورس ما حله إلا بعد أن حله المجمع كله . وهل كان الغرب سيرحم الأنبا ديوسقورس لو حكم بغير ما حكم ؟ وهل كان المجتمعون سيوافقون ...؟

فمن ناحية الحكم ببراءة أوطاخى فإنه بعد أن قال البابا ديوسقورس " الآن بعد أن فهم كل شئ ليقل كل من الأساقفة المجتمعين هنا ماذا فهم عن إيمان أوطاخى رئيس الدير وماذا يحكم بشأنه ، كان أول من نطق به وبرأ أوطاخى من الحكم الصادر ضده من مجمع فلابيانوس كان يوبيناليوس رئيس أساقفة أورشليم و الرئيس الثانى للمجمع حيث قال : " بما أنه (أوطاخى) صرح مرات كثيرة أنه أرثوذكسى طبقاً لما قدمه من الإقرار ، فإنى أحكم و أطلب استمراره فى ديره وفى درجته " . قال المجمع : " .. إن هذا الحكم عادل . ثم تبعه دمنوس أسقف أنطاكية ثم باقى الآباء وجميع الأساقفة القديسين إلى برسوم رئيس الدير ، وأخيراً ختم البابا ديوسقورس هذه المناقشة بقوله : " فى الوقت الذى أصادق على آراء آباء هذا المجمع المسكونى المقدس ، الصادر بحق الفاضل رئيس الدير أوطاخى أضم رأيى على آرائكم أن يستمر هذا فى رتبة قسيس ورئيس دير كما كان سابقاً " .

ويقول أسد رستم وهو من معتنقى عقيدة الطبيعتين : " ثم طرح ديوسقورس قضية أوطاخى للتصويت فقال باستقامة رأيه مئة وأربعة عشر أسقفاً أولهم دمنوس أسقف أنطاكية ويوبيناليوس أسقف أورشليم وآخرهم ديوسقورس ! فشهر أوطاخىأرثوذكسياً وأعيد إلى مقامه ورئاسة ديره " . أما الخورى عيسى أسعد فيقول : " فبرأ أوطاخى بعد أن أدى إعترافاً ظاهره مستقيم وموعداه بدعة " .

أما المصادر القبطية القديمة فتذكر أن أوطاخى إعترف بخطأه واستغفر عنه وكتب خطه بأمانة الآباء ، وطلب الحل من حرمه ، حارماً نفسه إن خالفها ، وكان ذلك مكراً منه ، فقبله الآباء .

ويذكر القمص تادرس يعقوب فى كتابه " الكنيسة القبطية كنيسة علم ولاهوت " تحت عنوان " إعادة إعتبار أوطاخى " ما نصه : " لم يكن خطأ ديوسقورس أن المجمع أعاد إعتبار أوطاخى ، وذلك للأسباب الآتية :

أ- كتب لاون أسقف روما إلى بوليكاريا قائلاً بأن أوطاخى إنزلق فى الهرطقة عن جهل منه ، إن تاب فليعامل حسناً . ونفس الفكرة أوردها لاون فى خطابه إلى يوليوس أسقف كايوس (٤٤٨ – ٤٥٨م) وأيضاً إلى فلابيانوس .

ب – أعلن أوطاخى عبارات أرثوذكسية ... وأنه متمسك بـــإيمان نيقـــية وأفســـس وبعبارات كيرلس ... وإذ جاء إلى نهاية الإجراءات سأل ديوسقورس كل أسقف أن يعطى رأيه بخصوص أرثوذكسية أوطاخى ، مبـــتدئاً بيوبـــيناليوس ودمنوس ومئة وأحد عشر أسقفاً من بينهم باسيليوس وسليكوس مع الأب برســـوماً فقبـــلوا إعتراف إيمانه ووافقوا أنه يجب رد إعتباره " .

ولما كان الحكم على أوطاخى الذى أصدره فلابيانوس من قبـــل مبـــنياً على ما يتوافق مع طومس لاون الذى ترجمته اليونانية إلى البدعة النسطورية أقـــرب منها إلىالعقيدة الأرثوذكسية ، كانت براءة أوطاخى مكفولة وإدانة فلابيانوس مقبولة . إذ كانت نتيجة الحكم ببراءة أوطاخى هى عزل فلابـــيانوس ومؤيديه ، فأوطاخى قـــد أحضر إعترافا بإيمانه مكتوباً بخطه وموقعاً بـــإمضائه . وقـــد وجد المجمع أن هذا الاعتراف مطابقاً تماماً لقانون الإيمان الذى وضعه آبـــاء نيقـــية وأكده آبـــاء مجمع القسطنطينية ومجمع أفسس وقد برأ الأساقفة المجتمعون بـــأجمعهم أوطاخى ، ولأن الحرم هو سلاح ذو حدين – يرجع على ذلك الذى أعلنه بدون حق – فإن فلابيانوس ومن إجتمع معه مع لاون أسقف روما قد أصدر المجمع حرمان ضدهم . وقد صدق الامبراطور ثيؤدوســـيوس على قـــرارات المجمع وعاقـــب فلابـــيانوس ومعاونيه الشرقيين .

ب- الحكم على فلابيانوس :

وبالنسبة لفلابيانوس الذى كان قبلاً قد قبل الصيغة الإيمانية "طبيعة واحـــدة لله الكلمة المتجسد " ، فإنه تحت تأثير يوسيبيوس أسقف دوريلايوم قبل صيغة الطبيعتين وبعد إدانة أوطاخى فى المجمع المحلى بالقسطنطينية سنة ٤٤٨ م سبب متاعب كثيرة لحساب النساطرة .. بعد ذلك لم يسترح الامبراطور ثيؤدوسيوس الثانى للاتجاهات التى تبناها فلابيانوس ، وعندما دين فى مجمع أفسس ســـنة٤٤٩ م ترك المجمع مع يوسيبيوس عوض دفاعه عن نفسه أو إعلان توبته .

فبخصوص الحكم على فلابيانوس فىالمجمع نلاحظ أن : البابا ديوسقـــورس عمل على أن لا يخرج المجمع بعيداً عن القرارات المتخذة فى نيقية وأفسس . وكان لديه مقتطفات من الدورة السادسة لمجمع أفسس السابق تنص على منع التعليم بـــأى عقـــيدة أخرى غير عقـــيدة نيقـــية وإلا كانت العقوبـــة العزل . ولكن يوسيبـــيوس وفلابيانوس بنصوصهما فيما يختص بالطبيعتين كانا قد نقضا هذا القـــانون . وأكثر

من ذلك كانا قد سببا إزعاجاً واضطراباً فيما بين الكنائس المقدسة الأرثوذكسية ويستحقان العزل . ويقول مخطوط سيرة أنبا مقار " ثم جرى فى المجمع ذكر نسطور وذكر الطبيعتين . فأظهر فلابيانوس بطريرك القسطنطينية إعتقاده فى الطبيعتين وبعض من الأساقفة فحرمهم الآباء المجتمعون فى المجمع " .

ففلابيانوس لم يُظلم بل حكم عليه لتمسكه وإصراره على الإثنينية ، وأما عن إستعمال القوة فى المجمع أو إعتداء البابا ديوسقورس عليه بالضرب أو إجبار الأعضاء على التوقيع – حسبما تذكر بعض المراجع الغربية والخلقيدونية – فهذه أمور بعيدة أو غير حقيقية . فالسكون كان مستتباً فى المجمع ، وكل واحد من الأعضاء إستعمل حريته التامة ، وقد وقع على قرارات المجمع بلا إكراه . وإن الأنبا ديوسقورس كان كغيره يستعمل حريته لا نفوذه . وكان خلال المجمع يحرص على الهدوء والنظام . كما أن نواب الامبراطور لم يتدخلوا فى المناقشات ولم يجبروا أحداً بالقوة على غير إرادته بل وجدوا من أجل حفظ النظام فى المجمع حسب أمر الامبراطور لهم .

إن هذه الأمور تتنافى طبعاً مع أبسط الأخلاق الإنسانية ويستحيل أن يقبلها العقل السليم ، ناهيك عن أن المراجع التاريخية لا تسعفها بتأكيد واحد :

<u>أولاً</u> : لأن فلابيانوس كان مجالساً الآباء مكرماً ما عدا حرمانه من الامبراطور حق القضاء هو ومجمعه الخاص .

<u>وثانياً</u> : لأن الأنبا ديوسقورس ما حكم وحده على فلابيانوس بل هو والمجمع كله والحكم ثبته القيصر ونفذه . والقول بأن الأساقفة أجبروا على التوقيع على قرطاس أبيض ليس بصحيح : أولاً : لأنه كان ناشئاً عن خوف تولد من مشاهدتهم قساوة معاملة نواب روما للبابا ديوسقورس فى إفتتاح مجمع خلقيدونية ، ومن حضور ثيؤدوريطس المحروم فيه . ثانياً : لأنه يعتبر تلوناً إذ أنهم هم أنكروا إمضاءاتهم طوعاً (فى مجمع خلقيدونية) وهم أنفسهم قالوا : إننا أخطانا ونطلب الغفران .

<u>وثالثاً</u> : لأن البابا ديوسقورس وحده ما كان ممكناً أن يجبر أكثر من مائة وعشرين أسقفاً ذوى إيبارشيات على ما لا رضى لهم به وفى حضرة مندوبى الامبراطور .

<u>ورابعاً</u> : لأنهم بعد حل المجمع ما رفعوا دعوى إلى القيصر بأنهم أمضوا جبراً ولا لغوا ما قرروه ضد ضمائرهم .

وأما بخصوص موت فلابيانوس فتقول بعض المصادر الغربية والخلقيدونية إنه قد حكم عليه وأهين فى المجمع وديس ، مما سبب له الموت بعد ثلاثة أيام . ونجد الرد على ذلك عند مؤرخين غربيين أيضاً . فهارناك Harnack يقول : وكون فلابيانوس وطأته الأقدام وترك نصف ميت – هذا غير مؤكد حدوثه . ويورد جمس ستفنسون James Stevenson نص رسالة أرسلها فلابيانوس إلى لاون بعد المجمع يستنجد به ويشرح له ما حدث بالمجمع ، ولكن من وجهة نظر خاصة إذ يظهر نفسه كمظلوم – ويعقب المؤلف على هذه الرسالة بقوله : أما نهاية فلابيانوس فهى غير مؤكدة ، ففى مجمع خلقيدونية تقرر أنه قتل فى أفسس لكن وجود هذا الخطاب يبين أنه عاش فترة أطول بعد المجمع الأفسسى لكى يرسل طلبه إلى لاون .

كما أن هناك قول لفرند Frend يثبت أن فلابيانوس كان على قيد الحياة حتى منتصف أكتوبر سنة ٤٤٩ م حيث يقول : وفى منتصف أكتوبر سنة ٤٤٩ م كتب لاون – مدفوعاً بقوة آراء مجمع إقليمه هو الإيطالى – مجموعة خطابات إلى قصر الحكم ، وإلى الأرشمندريتين المضادين للأوطاخية فى العاصمة وإلى الكهنة وشعب القسطنطينية يحفزهم إلى عدم قبول أى أسقف آخر غير فلابيانوس .

ويفند القمص تادرس يعقوب موضوع موت فلابيانوس فيقول : إن موت فلابيانوس الذى يحتمل أن يكون قد حدث بعد إدانته بمدة ليست طويلة ، قد وجد فيه لاون فرصة للتعاون معه (بعد موته) ، خاصة فى القسطنطينية . فقد فسرت هذه الوفاة فيما بعد من مقاومى مجمع أفسس الثانى بأنها تمت بسبب أتعاب جسدية لحقت به فى المجمع . ويليق بنا أن ندرك أن هذا الاتهام ضد المجمع باطل لأسباب كثيرة :

<u>أولاً :</u> كيف مات فى أغسطس سنة ٤٤٩ م أو بعد ذلك بقليل ، بينما بعث لاون برسالة إليه فى ١٣ أكتوبر سنة ٤٤٩م ؟ هناك بعض المؤرخين الغربيين يؤكدون أنه قد مات فى فبراير سنة ٤٥٠ م .

<u>ثانياً :</u> لم تكن هناك حاجة إلى العنف معه إذ أدين ، فليس مطلوباً من المدان أن يوقع على القرار (حتى يستخدم معه العنف) ، لكنه فى الواقع ترك المجمع هو ويوسيبيوس ، وأرسل قرار الإدانة إلى الامبراطور . وعلى العكس نجد أن فلابيانوس ورفقاءه قد استخدموا العنف مع الرهبان الذين كانوا يسندون أوطاخى فى مجمع القسطنطينية المحلى ، وكذلك فى مجمع خلقيدونية عومل البابا ديوسقورس

معاملة سيئة وقد أرسل أسنانه وشعر لحيته إلى الاسكندرية علامة إحـــتماله وجهاده من أجل الايمان الأرثوذكسى .

ثالثاً : فى مجمع خلقيدونية ســـنة ٤٥١ م كان أحـــد الاتهامات الموجهة ضد البابـــا ديويسقورس أنه دان فلابيانوس ظلماً ، لكننا لانجد فى أعمال هذا المجمع (خلقدونية) إتهاماً ضده بأن فلابيانوس مات على أثر معاملته القاسية فى المجمع .

جـــ ــ هل عــقيدة البابا ديسقورس هى عقيدة أوطاخى ؟ :

لقد ثبتت براءة البابا ديسقورس من التهم الجانبـــية ـــ كما سبـــق ـــ التى تتعلق بالنظام الكنسى والتى كانت السبب الأساسى فى الحكم عليه فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م ، وإمعاناً فى التجنى عليه وصفوه بـــأنه أوطاخى المذهب . ومازال "يخطئ" الكثير من المؤرخين غير الأرثوذ كســـيين عندما يمزجون بـــين هرطقـــة أوطاخى المبتدع وبين عقيدة البابا ديوسقورس الاسكندرى ، وهى نقطة سوداء وسط مؤلفاتهم. فالقول بأن البابا ديسقورس كان أوطاخياً لأنه رضى بحل أوطاخى ، إدعاء بـــاطل، فهو لم ينزل بـــالمجمع للأفكار الأوطاخية بـــل إن أوطاخى هو الذى أنكر أقـــواله . والحقيقة أن البابا ديوسقورس كان ضد مذهب أوطاخى على خط مستقيم . ويجمع كل اللاهوتيين فى العالم على أن إيمان ديوسقـــورس كان إيماناً ســـليماً صحيحـــاً ، وأن الاتهام الذى اتهموه بـــــه كان اتهاماً ظالماً مدفوعاً بالحقـــــد عليه نظراً لعناده ضد الامبراطور البيزنطى والممالئين له .

وينفى الإيغومانوس فيلوثاوس (فيما أورده جراسيموس اللاذقى – من المؤمنين بالطبعتين – فى كتابه " تاريخ الانشقاق ") ، قول الناسبين إلى البابـــا ديوسقـــورس الأوطاخية لسبب إعتقاده بطبيعة واحدة بإيضاح الفرق بين القولين وهو :

أولاً : إن أوطاخى يقول بطبيعة واحدة ويصمت ، والبابا ديوسقورس يقول بطبـــيعة واحدة متجسدة – كما قال البابا كيرلس .

ثانياً : إن أوطاخى عزى إليه التعليم بتألم اللاهوت ، والبابـــا ديوسقـــورس يخالفه بنزاهة اللاهوت .

ثالثاً : إن أوطاخى يعتقد بأن الجسد كان بلا نفس ناطقة (كاعتقـــاد أبـــوليناريوس) ، والبابا ديوسقورس يعترف بطبيعة الناسوت كاملة .

رابعاً : إن أوطاخى يعلم بالاختلاط وزوال الخواص ، والبابا ديوسقورس يخالفه أيضاً بأنها سالمة .

ويعلق جراسيموس نفسه بقوله :"بالإجمال يثبت أن اعترافات ديوسقورس والكنيسة القبطية إجمالاً منزهة عن الوصمة الأوطاخية التى ترذلها وتحرمها أيضاً " . وهناك الكثير من أقوال المؤرخين شرقيين وغربيين قدامى ومحدثين تثبت الفروق الواضحة بين هرطقة أوطاخى وعقيدة البابا ديوسقورس .

ويجدر بنا ملاحظة النقاط التالية فى إظهار براءة البابا ديوسقورس :

أولاً : إنه فى المجمع الخلقيدونى ما دافع عن أوطاخى ، وظهر الفرق واضحاً بين آراء أوطاخى واعترافات وأقوال البابا ديوسقورس التى صرح بها فى المجمع منكراً فيها الامتزاج والاختلاط والاستحالة بكل صراحة . ورفض أوطاخى ما دام حائداً عن إستقامة الإيمان العام . إذ قال " إذا كان أوطاخى قد أنكر العقيدة الصحيحة ، وذهب خلاف مذهب البيعة فهو لايستحق العقاب فقط بل هو جدير بأن يحرق بالنار أيضاً ... أما أنا فلا أتزعزع قيد أنملة عن إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية ...." .

ثانياً : إن البابا ديوسقورس أرسل وهو فى المنفى رسالة إلى شخص يدعى أبريطن قال فيها "... يجب أن نقلع ونخرج عنا كل من يقول إن الله الكلمة تألم أو مات بلاهوته ". ثم ختم كلامه بإثبات الطبيعة الواحدة مستشهداً بالأنبا أثناسيوس والأنبا كيرلس وغيرهما .

ثالثاً : من جلسات مجمع خلقيدونية الأخيرة – كما سيتضح – يُعلم أن معظم أعضائه لم يرضوا بعزل البابا ديوسقورس واجتهدوا كثيراً فى إلغاء قرار الحكم ضده ورده إلى كرسيه ، لولا أصوات وضوضاء الأساقفة الذين أكثر منهم الحزب النسطورى ليقوى المتشيعين له ويزيد عددهم ، ولكن أوطاخى لم يذكره أحد الأساقفة بخير . وهذا أعظم برهان على اختلاف الرأى بينهما .

رابعاً : شهادة أناطوليوس أسقف القسطنطينية ببراءة البابا ديوسقورس ، إذ أنه صرح فى الجلسة الخامسة من جلسات المجمع الخلقيدونى المنعقدة فى ٢٢ أكتوبر سنة ٤٥١ م – كما سيأتى شرحه – بأن البابا ديوسقورس لم يعزل بسبب إيمانه الأرثوذكسى ولكنه عزل لحرمه لاون ، كما أن القرار المجمعى الذى صدر ضد البابا ديوسقورس لم يذكر شيئاً عن ابتداعه ، وأن الحكم الذى وقع عليه نواب الأسقف الرومانى لم يرد به شئ عن ذلك الابتداع .

خامساً : إن آباء الكنيسة الذين نسجوا على منوال البابا ديوسقورس ولم يقروا مجمع خلقيدونية ، وفى مقدمتهم ثيؤدوسيوس الاسكندرى وساويرس الأنطاكى قد طعنوا نسطوريوس وأوطاخى بالحرم رسمياً .

سادساً : إن إقرار البابا ديوسقورس والكنيسة الأرثوذكسية بالطبيعة الواحدة هو نتيجة الإقرار بالاتحاد الطبيعى فقط ، وهذا هو تعليم الكنيسة القويمة الرأى ، وأما إقرار أوطاخى بالطبيعة الواحدة فهو نتيجة إقراره بالامتزاج والاستحالة والاختلاط ،والفرق عظيم بين الإقرارين . وهذا بشهادة أحد مؤرخى الغرب الذى قال بأن عبارة "طبيعة واحدة إلهية " وهى إعتقاد أوطاخى ، مع إسم أوطاخى نفسه قد تركهما ورفضهما مقاومو المجمع الخلقيدونى ، ولهذا يسمون ذوى طبيعة واحدة لا أوطاخيين ، كما أن مؤرخى الكنيسة الغربية أنفسهم قد دونوا فى كتبهم ما يثبت أن البابا ديوسقورس عاش ومات أرثوذكسياً .

سابعاً : إن البابا ديوسقورس أرسل رسائل وهو فى المنفى أوضح فيها العقيدة مناهضاً الإثنينية ، وهو لا يذكر الذين تجنوا عليه مما يظهر روحه السمحاء ، ورسالته إلى ساقونديناً بها نقض صريح لتعليم أوطاخى فيقول : " لا يقولن أحد إن الجسد المقدس هو غريب عنا... إذن فلنرفض الذين يقولون بذلك ، فقد صار مثلنا ليس خيالاً أوظناً... بل ولد حقيقة..." ومن هذه الرسالة يتضح أن الجهة التى كتبت إليها كانت موبؤة بآراء أوطاخى ، فأراد إستئصال ذلك من أفكار سكانها .

من كل ما سبق يتضح أن قبول البابا ديوسقورس لأوطاخى فى مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م لايؤخذ كدليل على اشتراكه معه فى الهرطقة . كما تتضح سلامة عقيدة البابا ديوسقورس ، ومن هنا سلامة عقيدة وإيمان الكنيسة القبطية وأخواتها الأرثوذكسيات . وهذا كان من دوافع تحمل هؤلاء للآلام والاضطهاد فى سبيل العقيدة . وليس حقيقة ما يذهب إليه البعض من أن المسائل القومية والوطنية كانت هى السبب الأوحد لتحمل الاضطهاد ، بل اجتمع معها الإيمان .

لقد لفقت التهم للبابا ديوسقورس وحكم عليه غيابياً فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م وعزل ونفى . وأخيراً بعد ذلك ، وعلى مدى الخمسة عشر قرناً التى تلت مجمع خلقيدونية ، وبعد أن شبع الغربيون مما كتبوا عن كنيسة الاسكندرية من اتهام بالأوطاخية ، وصب اللعنات على البابا القديس الأنبا ديوسقورس العظيم ، بدأ بعض كبار اللاهوتين تحت تأثير ما كتبه آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من شروح

الإيمان الأرثوذكسى ، ودفاع عن أرثوذكسية البابا ديوسقورس ، ونقد لمجمع خلقيدونية وطومس لاون نقداً موضوعياً ، ووضع قراراته وتحديداته على ميزان البحث والتمحيص ، بدأوا ينتبهون إلى حقيقة موقف البابا ديوسقورس ، وسلامة تعاليمه ، وأدركوا كيف شوه المغرضون موقفه ونسبوا إليه ظلماً مالم يقل به ، وتبينوا قداسة سيرته ، ودقة تعبيراته اللاهوتية ، والتزامه بتعليم أبويه السابقين الأنبا أثناسيوس والأنبا كيرلس ، ودفاعه المجيد كحارس أمين للإيمان . وقد كان يصرخ فى وسط المجمع بأعلى صوته ويقول : " إنى أحافظ ولا أجدد .. إنى أحمى ولا أزيد ولا أنقص على ما قال به أبى كيرلس ، ومن قبله أبى أثناسيوس " .

وجعل هؤلاء الباحثون يدركون مدى ما وقع على الرجل القديس من ظلم . فشرعوا ينصفونه وينصفون كنيسة الاسكندرية ، ويلقون على المشكلة أضواء جديدة تدل على تفهم لموقف الكنيسة الأرثوذكسية أكثر من أى وقت أخر مضى .. وأخذ عدد منهم يكتبون فى إنصاف البابا ديوسقورس ويقولون إن تعليمه لا غبار عليه . ولما تبينوا أن مجمع خلقيدونية قد حكم عليه ظلماً ، شرعوا يبررون ما فعله المجمع بأنه حكم على ديوسقورس حكماً تأديبياً لا يدينه إيمانياً وعقائدياً ، ولكنه يدينه كنسياً من حيث أنه لم يخضع للقائمين على رئاسة المجمع مدنياً ودينياً .

وتحت تأثير هذا الاتجاه الجديد فى النظر إلى خلقيدونية والبابا ديوسقورس، ظهرت مؤلفات من علماء غربيين فيها نقد لمجمع خلقيدونية وفيها أيضاً عطف وتقدير لموقف البابا ديوسقورس . وازدادت هذه النغمة وضوحاً خصوصاً فى هذا القرن ، ومع إمتداد الحركة المسكونية ، والرغبة فى الوحدة الإيمانية والعمل على الجمع بدلاً من التفرق والتمزق .

وبعد ، فإذا كان البابا ديوسقورس الاسكندرى – الذى كان الهدف الأول لمجمع خلقيدونية ، حسبما سيتضح – قد ظهرت براءته من كل ما نسب إليه من تهم ،

فما هو الداعى إذن لعقد مجمع خلقيدونية وما هى ضرورته ؟

٤ ــ الأسباب الحقيقية لمجمع خلقيدونية : ــ

أ ــ مكانة كنيسة الاسكندرية :

هل كان انتصار البابا ديوسقورس فى مجمع أفسس الثانى هو آخر إنتصار حققته كنيسة الاسكندرية للمسيحية ؟ وهل استمر هذا الانتصار ؟ لقد قدر لكنيسة الاسكندرية أن تنال الزعامة الكنسية.. ولو إلى حين. فبعد موت ثيئودوسيوس الثانى سنة ٤٥٠ م عادت القضية تطرح من جديد ، وتؤجج بين الكنائس حرباً قاسمة طويلة . لقد كانت القسطنطينية دائماً تعوض حداثة ماضيها بسلطانها السياسى ، وروما يأكل الحقد قلبها وهى ترى نجم الثغر المصرى هو الصاعد بإستمرار.. حقاً لقد وقفت بجانبها فى زمن البابا كيرلس لتذل كبرياء سميتها الجديدة . أما وقد تحقق لها هذا فلتقف الآن فى وجه هذا السمو السكندرى . وزاد من غضبها أن طومس لاون لم يقرأ فى المجمع (أفسس الثانى سنة٤٤٩م) فرفضت الاعتراف بالمجمع وأطلقت عليه اسم " مجمع اللصوص " .

لقد رأس البابا ديوسقورس مجمع أفسس الثانى وحكم على فلابيوس حسب ما تبين له من الأقوال المقدمة من كلا الطرفين . عند ذلك عيل صبر أساقفة القسطنطينية وأتباعهم ، ووجدوا أن هذا الاحتجاج (بروما الجديدة) لم يغير شيئاً من الحقيقة القائمة وهى أن الاسكندرية هى فى واقع الأمر عاصمة العالم المسيحى ، وأدرك ذلك أيضاً أسقف (روما القديمة) ، الذى لم تتجه إليه أنظار العالم فى أى نضال عقائدى . فأخذ لاون يسعى إلى عقد مجمع جديد فى إيطاليا ليؤكد وجوده ويثبت مركزه بأزاء الاسكندرية ، ولكى يلغى ما صنعه مجمع أفسس الثانى ويمحوه نهائياً ، ولكنه لم ينجح فى ذلك . ولم يتمكن من عقد مجمع إلا بعد وفاة ثيئودوسيوس الثانى وتولى مركيان وزوجته بوليكاريا . فانعقد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م . وكان جل أعضائه من النسطوريين والغربيين وانحرف دفعة ثانية وعاد ينادى بالطبيعتين فى السيد المسيح بعد الاتحاد .

لقد عقد مجمع خلقيدونية لأجل الثأر من كرسى الاسكندرية عام ٤٥١ م ، وتفاهم أسقفا العاصمتين الرومانيتين على أن يوقفا البابا ديوسقورس أمامهما موقف المتهم تشفياً وانتقاماً من كرسى الاسكندرية الذى علمهم جوهر السيد المسيح وطبيعته بواسطة القديسين أثناسيوس وكيرلس ، فلفقوا له التهم ، وحكموا بعزله غيابياً وقبضوا عليه ونفوه فى جزيرة جنجرا أو غنغرا ببحر مرمرة .

ب- من ناحية مركيان وبوليكاريا ولاون :

أضحى للاسكندرية ، بعد مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م ، مكانة عظيمة وصارت تسيطر على الكنيسة الشرقية بموافقة الامبراطور ثيؤدوسيوس الثانى . وفزعت روما من البابا ديوسقورس وأدرك لاون أن الخطر الذى يواجهه إنما أصبح بمصر . أما مركيان فصمم هو وزوجته بوليكاريا على تدعيم سلطة العرش . واستقر رأى البلاط الملكى فى عهدهما، أن يخلص نفسه والحكومة مما اعتبره إستبداداً إسكندرياً . وهذا مالا يمكن عمله بدون عون روما . لقد اتخذ كل من مركيان وبوليكاريا معاً موقفاً موحداً بالنسبة لرؤساء الكنائس الثلاثة فى روما والاسكندرية والقسطنطينية فى سبيل المحافظة على مركزهما إزاءهم . فاتفقا بالنسبة لأسقف روما على عدم السماح له بحق التداخل فى شئون الامبراطورية الشرقية . وبالنسبة لبابا الاسكندرية فقد كان من رأيهما أن فى تصعيد مركزه خطر مباشر على هذه الامبراطورية قد يصل إلى حد تهديدهما بفقد مركزهما . وأما بالنسبة إلى أناطوليوس فقد ألزماه بقبول طومس لاون وحرم كل من نسطوريوس وأوطاخى فى مجمع رسمى .

وبوليكاريا كانت الروح المحركة للإدارة الحكومية ، وقد وضعت خطة للتعاون مع لاون لوضع نهاية للنزاع اللاهوتى ، فى مجمع خلقسيدونية ، ولكن فى الحقيقة لكى تسترد التوازن الكنسى فى الشرق وتقلل من أهمية الاسكندرية . لقد كان لديها غيرة جنونية من حسن سياسة وسلطة بابا الاسكندرية . وكل هذه العناصر النفسية والسياسية والشخصية قادت الامبراطور مركيان لكى يدعو للمجمع . لقد رغبت بوليكاريا فى التحلل تماماً من سلطة كنيسة الاسكندرية التى زعمت بأنها كانت طاغية على أخيها ثيؤدوسيوس الثانى . وزاد هذا الزعم من مخاوفها أن تتحول سلطة الكنيسة إلى سلطة مدنية تتسبب فى ضياع مصر من الامبراطورية البيزنطية ، وهى أخصب أراضيها وأوفرها ثروة . واتخذت بوليكاريا من الخلافات المذهبية وسيلة لفرض سيطرتها ، ولكسر قوة بابا الاسكندرية . ورأت أن أقوى سلاح توجهه ضد البابا ديوسقورس ويقوض أركان سلطته هو إتهامه بالهرطقة . كما كان من أهداف تدخلها فى شئون الكنيسة رفع كرسى القسطنطينية ومساندة روما ضد الاسكندرية . فجمعت هى ورجلها توقيعات على طومس لاون ليكون مستنداً رئيسياً فى مجمع خلقيدونية ضد اللاهوتيين الاسكندريين .

أما زوجها فقد إنتهز فرصة العداء الموجود بين كنيسة الاسكندرية وكنيسة روما التى حاولت تزعم الكنائس ، وكتب إلى لاون يدعوه لحضور مجمع فى خلقيدونية .

ولأول مرة فى تاريخ المجامع تتخذ النزاعات السياسية مكاناً واضحاً لها وراء الجدل الدينى . فالانتصار الدائم لمجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م ، كان سيعنى إنتصار مصر فى الكنيسة الجامعة ، ويحتمل فى الامبراطورية أيضاً . لأن الامبراطورية والامبراطور وصلوا إلى مرحلة الارتباط الكامل بالكنيسة ، التى تجمعت فى الكرسى الاسكندرى ورهبانه . وعندئذ كان لأسقف روما والامبراطور هدفاً مشتركاً ، وخلال عامى ٤٥٠، ٤٥١م كان لهما عدو مشترك وأدركوا إتحاد مصالحهم . وقد تصرف الامبراطور فى الموضوع بطريقة ماهرة جداً ، فبينما يستفيد من أسقف روما ، طالما يجده مفيداً أوضرورياً لتنفيذ هدفه الذى هو تحرير الامبراطورية والكنيسة من سلطة الاسكندرية المبنية على العقيدة ، فهو فى نفس الوقت يحرمه من سلطة الامتداد بنفوذه فى الشرق ، برفع بطريرك بلاطه هو إلى مركز ذى رتبة وأهمية مساوية له . وفى نفس الوقت الذى فيه سقوط زميله الاسكندرى كان على لاون أن يوجه عنايته مرة أخرى إلى زميله القسطنطينى الذى لم يكن يقف خلفه إلا الامبراطور نفسه . ولم تكن الحكومة لسوء حظها تملك سلطة التغاضى عن التعليم العقيدى لخصمها بينما تحقرمن الخصم نفسه .

ولم يكن أسقف روما أقل ميلاً من الأباطرة إلى هدم نفوذ بابا الاسكندرية الذى مثل الخطر المهدد لروما . فالبابا ديوسقورس كان يرى أنه لا داعى لعقد مجمع جديد ، لأن الكنيسة كانت فى سلام من جهة الإيمان . ولكن لاون أسقف روما أراد فى هذا المجمع الجديد أن يدبر مكيدة للتخلص من البابا ديوسقورس . وهذا هو السبب الأساسى لعقد المجمع . فإذا جرد هذا المجمع مما يتعلق بالبابا ديوسقورس فهل يبقى هناك شئ آخر ؟؟ إنه إجتمع لا ليناقش الوحدة أو الثنائية فى طبيعة السيد المسيح ولكن ليحاكم البابا ديوسقورس ، بالرغم من شرعية المنهج الأفسسى وموالاة الأقباط لعقيدة القديس كيرلس . وقد لعبت السياسة دوراً كبيراً تجاه إمتداد التأثير الاسكندرى العقيدى .

ففى خلقيدونية كانت سياسة الدولة تقضى سرعة التخلص من البابا ديوسقورس ، ليحل محله من أسلس قياداً منه . ولم تكن الامبراطورة أقل حقداً من

الامبراطور على الأنبا ديوسقورس . وجاء حكم المجمع الامبراطورى الخلقيدونى طبقاً لما تقتضيه سياسة الدولة حيال بابا الاسكندرية للقضاء عليه . ففى القضاء عليه قضاء على القومية المصرية . إذن فالأهواء السياسية هى التى كانت تحرك المجمع . وكان لاون والامبراطور والامبراطورة والرؤساء الدينيون فى روما والقسطنطينية وأنطاكية وغيرها ثائرون ضد البابا ديوسقورس ، والشر قد أعد عليه من كل ناحية .

هكذا بينما كانت المجامع المسكونية تنعقد من أجل الإيمان ، نجد أن مجمع خلقيدونية قدإنساق وراء أضاليل روما ، رغبة فى ممالأة الملك والملكة ولو على حساب الإيمان ، فانعقد وانفض دون أن يورث الكنيسة شيئاً ، سوى الانقسام والأحزان .

وإن إدعى الغربيون أن المجمع إنعقد بسبب الإيمان وبدعة أوطاخى ، فنقول إن لاون نفسه أشار فى إحدى رسائله إلى الامبراطور مركيان فى أبريل ٤٥١ م بوجوب الترفق بأوطاخى ، إذ يقول : "فإنه لا يليق ولايوافق أن نرجع إلى المناقشات العالمية وأن نبحث عن أقوال الجهلاء لئلا نضل عن الحق الثابت كأنه لا يزال هناك شك فيه . فليس من واجبنا أن نشك فى أوطاخى إن كان قد ضل بسبب معتقده الخاطئ أو لم يضل ، وليس لنا أن نشتبه فى عدالة الحكم الصادر من ديوسقورس ، ضد فلابيانوس... كما أن بوليكاريا نفسها فىإحدى رسائلها إلى لاون تجاهر باعتقادها بنفس معتقده ومعتقد فلابيانوس ، مما دفع الأساقفة الشرقيين إلى الاستياء من ذلك وبدا لهم أنها إنزلقت فى البدعة من غير أن تدرى كما إنزلق فلابيانوس ولاون الذى " عدوه نسطورياً " . ويقول القمص تادرس يعقوب إنه : بالرغم من الاعتقاد بأن مجمع خلقيدونية عقد لإدانة أوطاخى ، فقد كان فىالواقع موجهاً ضد البابا ديوسقورس الاسكندرى وليس ضد الراهب الشيخ ، إذ كان أوطاخى غير حاضر فى المجمع ، وكان قد نفى فى شمال سوريا قبل عقد المجمع .

لقد خالف مركيان سياسة سلفه ثيؤدوسيوس بتأثير بوليكاريا ضد البابا ديوسقورس على طول الخط ، وسلم فى الوقت نفسه بتداخل أسقف روما فى هذه الشئون ، مخالفاً فى ذلك ماسبق له الاتفاق فيه مع زوجته بوليكاريا من عدم السماح للاون بالتداخل فى شئون امبراطريتهما . ويبدو أن همه الأول كان منصباً على شن حرب باردة على البابا الاسكندرى ، الذى ساوره الوهم بأنه قد يصل به الأمر إلى

العمل على إنزاله عن كرسيه ، أسوةً بما كان من حرم وإبعاد لفلابيانوس عن كرسى القسطنطينية ، فما كان منه إلا أن يتواطأ مع لاون على ما فيه إضعاف مركز البابا ديوسقورس أو إبعاده منه إن أمكن .

وعلى ذلك تم الاتفاق بين الامبراطور ولاون على عقد مجمع آخر . وطالبت السلطة الامبراطورية ، علاوة على أسقفية روما ، بنقض ما عمل فى أفسس سنة٤٤٩ م . وكل ذلك يوضح الجهود غير العادية التى بذلت من الامبراطورية والكنيسة الغربية لكى تجمع جيشاً عظيماً جداً من الأساقفة يقارب الستمائة أسقف ، لنقض أفسس الثانى وإعادة تأكيد التفوق الدينى لكرسى العاصمة على ما اعتبروه عصياناً إقليمياً . هكذا تم الوفاق بين بوليكاريا ومركيان ولاون على عقد المجمع الخلقيدونى سنة ٤٥١م .

<u>جـ ــ تردد لاون يوضح أنه لم يكن هناك ضرورة للمجمع دينياً :</u>

لقد حث لاون على استدعاء مجمع جديد يعقد فى إيطاليا ، ولكنه بعد ذلك نصح بالتأجيل بسبب الشغب وعدم الاستقرار المتسبب فى الغرب من تخريب ونهب أتيلا Attilla ، ولكن من المحتمل أنه كان على أمل الوصول إلى نتيجة مرضية حتى بدون مجمع ، ذلك بدفع الأساقفة على التوقيع بالموافقة على رسائله العقائدية . وإذ لم يكن هناك من ضرورة لعقد المجمع فإن الدعوة لعقده لم تكن مرغوبة من وجهة نظر روما . واعتبر لاون أن لاحاجة لعقد مجمع مرة أخرى لأنه ، طبقاً لرأيه هو ، أن الذين تحت الحرم وخصوصاً ثيؤدوريطس كانوا يرغبون فى الاعتراف بسلطة روما ، ومن ثم عليه هو أن يراجع حالاتهم بناء على طلبهم . أما بالنسبة للإيمان فإن طومسه قد أعد لعمل تسوية ، وعلى ذلك كتب لاون لمركيان ضد مشروع عقد المجمع . ومن الطبيعى فإن مركيان وبوليكاريا قد أخذا رأياً مخالفاً بعض الشئ ، فيجب أن يدعو الامبراطور مجمعاً ويرأسه لاون أو وفده ويمكن أن يقوم طومسه كأساس للإعتراف بالإيمان . لكن المجمع يجب أن يعقد فى الشرق ، ليس كما طالب لاون ، دون جدوى ، بعقده فى الغرب . ويجب أن تؤدى الإجراءات فيه إلى تأمين هيبة الكرسى البيزنطى ضد كرسى الاسكندرية وكرسى روما ، وإن كانت هذه السياسة لم تعلن بأكملها فى الحال .

لقد كف لاون عن المطالبة بوجوب عقد مجمع لعدة أسباب ، لكنه لم يرفض قرار قبول الامبراطور . إنه حسب الظروف التى تغيرت تماماً لم يكن لدى لاون أى

رغبة فى عقد مجمع ، لربما يكون فيه خطر عليه ، فاعتبر أن رسالته (طومسه) كانت كافية ، وأنه بقبول الأساقفة للطومس والعقيدة المقدمة فيه ، وبمحو أسماء ديوسقورس ويوبيناليوس وغيرهما من الذبتيخا Diptychs (القائمة التى تذكر فى القداس) ، فإن مجمع أفسس الثانى لن تكون له قوة التأثير .

وقد رغب لاون بغضه النظر عن عقد مجمع أن يلعب دور القاضى بين أساقفة المسكونة . وكان على أسقف القسطنطينية أن يتصرف معه فى المهمة كوكيله المفوض .

لقد كان لاون ساذجاً فى تخيله أن حل مشكلة العقيدة موجود فى طومسه ، رغم أنه لم يكن لديه فكرة عن الصيغة الدقيقة للعقيدة .

لكل ما سبق كتب لاون رسائله (٨٢- ٨٦) وفيها يسعى بكل طاقته ومهما كلفه الأمر أن يمنع إستدعاء مجمع علىأنه غير ضرورى ووقته غير مناسب . لكن مركيان Marcian الذى يحتاج المجمع لنفسه ، لم يكن له رغبة فى أن يستسلم لأسقف روما بينما يطلب مساعدته . فأصدر مرسوماً يأمر بانعقاد المجمع فى نيقية فى سبتمبر ٤٥١م . واضطر لاون أن يذعن للأمر ، مع أنه على كره منه جداً كما توضح ذلك الرسالة ٨٩ .

وإذ وجد لاون أن أباطرة الشرق قد صمموا على عقد المجمع فى الشرق بعث برسالة يعلن فيها أنه يود إرسال مندوبين عنه للمجمع . ولأول مرة وصف لاون أوطاخى بأنه مخادع وشرير مثل نسطوريوس . فقبل ذلك كتب إلى الامبراطور يخبره أنه يجب ألا نشك فى أوطاخى حتى إن كان قد أخطأ... ولا نناقش إيمان الأساقفة إنما نقبل توبتهم . لكن هذا التغيير المفاجئ لايعنى إلا أن مؤامرة كانت تحاك ضد القديس ديوسقورس .

الفصل الثانى

مقدمات مجمع خلقيدونية

١ – الدعوة للمجمع :

إستجاب مركيان لنداء لاون ودعا إلى عقد مجمع ، ولكنه لم يحقق الرغبة الكاملة للاون الذى قد أشار بعقد هذا المجمع فى إيطاليا ففوت عليه الامبراطور الفرصة إذ أمر بأن يعقد المجمع فى نيقية ولكنه مالبث أن أمر بنقله إلى مدينة خلقيدونية الواقعة على البوسفور قبالة القسطنطينية لكى يتسنى له الحضور إليه بنفسه .

وقد وجهت الدعوة بتاريخ ٢٣ مايو سنة ٤٥١م باسم مركيان إمبراطور الشرق وفالنتيان إمبراطور الغرب . حيث وجه مرسوم الدعوة إلى أساقفة الكراسى الرسولية ومعهم مطارنتهم وأساقفتهم ، وكان خطاب الامبراطور قد عين أول سبتمبر سنة ٤٥١م فى نيقية كزمان ومكان الاجتماع ، ولكن المجمع تم عقده فى خلقيدونية فى شهرى أكتوبر ونوفمبر .

وجه الامبراطور خطاب الدعوة إلى البابا ديوسقورس قائلاً : "ساعة يأتى إليك أرساكيوس بهذه الرسالة أسرع واجمع أساقفة كرسيك وتحضروا إلى ها هنا ليثبتوا الأمانة ". وعندئذ طلب البابا ديوسقورس من بطرس وتاوبسطس تلميذيه أن يهيئا كتبه وملابسه للذهاب .

على أن البابا ديوسقورس قد دهش لهذا الأمر المفاجئ حيث لم يجد فى الإيمان ما يستدعى ذلك ، ومع ذلك فقد لبى الأمر الملكى وأعد عدته للسفر فدعى بعضاً من الأساقفة العلماء ، ودعى القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين . ولكنه إعتذر لشيخوخته والمرض الذى أقعده عن السير وكتب إليه متمنياً له التوفيق فى رحلته وأن يصان الإيمان على يديه وتتلاشى البدع والهرطقات . وقدأدركت الاسكندرية خطر هذا المجمع مسبقاً ، ومن الدليل على ذلك ما قاله أصدقاء البابا ديوسقورس حينما جاءه خطاب الامبراطور يدعوه فيه لحضور المجمع "يا رجل الله ، إن الموت ليكمن فى هذه الرسالة " .

٢-مكان المجمع :-

أ) القسطنطينية : بالرغم من أن خطاب الامبراطور بالدعوة إلى المجمع كان قد حدد مدينة نيقية كمكان للمجمع – كما سبق – إلا أن الكثير من المصادر تؤكد أن الأساقفة تجمعوا فى القسطنطينية أولاً ، ليقوموا منها إلى نيقية فى الموعد المعين .

ب) نيقية : صدر أمر الملك بعقد المجمع فى مدينة نيقية التى عقد بها المجمع الأول ، وبعث برسائل الدعوة إلى كل الأساقفة ، وحدد نيقية بالذات لكى ما يمكنه من ناحية أن يتحكم فيه بصورة أفضل ، ومن ناحية أخرى أن يقوى سلطة المجمع بذكريات المجمع المسكونى الأول ، كذلك أراد الامبراطور باختياره لمدينة نيقية ، التشبه بقسطنطين الكبير ، كما يبدو أن إزدياد عدد أساقفة هذا المجمع عن المجامع السابقة راجع إلى اختيار نيقية التى أكسبها المجمع االمسكونى الأول شهرة خاصة .

ج) خلقيدونية أخيراً : صدر الأمر إلى أكثر من خمسمائة أسقف الذين وفدوا على مدينة نيقية بالرحيل إلى خلقيدونية ليعقد بها المجمع . وقد كان ذلك ، وافتتحت الجلسات فى اليوم الثامن من شهر أكتوبر سنة ٤٥١ م فى كنيسة خلقيدونية .

أما عن نقل مكان المجمع من نيقية إلى خلقيدونية ، فهناك من يقول إنه بسبب الظروف الصحية وإن الأساقفة مرض بعضهم وكانوا محتاجين إلى المعالجة ، وهناك من يقول إنه بسبب حدوث زلزال عنيف فى نيقية ، أو إن هناك سبباً هاماً هو أن قبائل الهون كانت تهدد حدود الامبراطورية ، وأن الامبراطور كان لا يمكنه مغادرة عاصمته .

فعندما وصل الأساقفة إلى نيقية وبلغهم ذلك ، رفض مندوبو لاون رفضاً باتاً حضور المجمع ما لم يحضره الامبراطور بنفسه . (على ما يدل ذلك ؟ هل لاعتمادهم على الامبراطور أو لأن هناك إتفاقاً مسبقاً معه ؟ أم لخوفهم من شخصية البابا ديوسقورس واحترام الأساقفة له ؟!) فبعثوا إليه يستحلفونه بأن يحضر ، ووافقتهم بوليكاريا على رأيهم وألحت هى بدورها على زوجها ليحضر المجمع بنفسه ، واقترحت عليه أن يعقد المجمع فى خلقيدونية لقربها من القسطنطينية ، ونتيجة لإلحاح مندوبى لاون ، وتحت تأثير بوليكاريا إنتقل المجتمعون إلى خلقيدونية .

إن نقل المجمع إلى خلقيدونية المقابلة للقسطنطينية ، جاء لكى تتمكن اللجنة

المكونة من وزراء الامبراطور وبعض أعضاء السناتو البارزين من الإشراف على المجمع ، علاوة على حضور الامبراطور والامبراطورة وملاحــظة ما يجرى فيه من أعمال . لذلك كان المجمع فى أيدى موظفى مركيان من البــداية حــتى النهاية . وكون المجمع قد عقد فى خلقيدونية على الساحل الآسيوى لبحر مارمرا ، وكونه فى مدى البصر من القصر الامبراطورى فى القسطنطينية ، فقــد قــوى ذلك من تأثير الملك .

وفى خلقيدونية كان الامبراطور والامبراطورة قــادرين أن يحــثا الأساقــفة الشرقيين على قبول القانون الخلقيدونى المعارض بالتهديد بنقل المجمع إلى الغرب ، فالغالبية العظمى فى الكنيسة اليونانية كانت تنظر إلى مكان إجتماع غربــى على أنه غير مناسب لانعقاد مجمع .

كان للخلاف الذى نشأ فى المجمع تأثيره ، إذ جعل الامبــراطور يفضل نقــله ليشرف بنفسه على سير الأحداث وبسبب سلوك الأساقفة المتهيج ، وحــتى يمكن ـــ بقدر الإمكان – كبح الانفجارات العنيفة للتعصب الدينى للطرفين ، نُقــل المجمع إلى خلقيدونية .

فالسبب الأساسى فى نقــل المجمع إلى خلقــيدونية – والذى تتجاهله المصادر الخلقيدونية والغربية – هو أن البابا ديوسقورس – هدف المجمع – تمكن من إقــناع الأساقفة المجتمعين فى نيقية بالإيمان السليم مما جعل الامبراطور يرفع الجلســة ثم تباحث مع الامبراطورة والأساقفة المقطوعين وإستقر رأيهم على نقــل المجمع إلى خلقيدونية ، وأن لا يناقشوا البابا ديوسقورس فى الإيمان إذ ثبت لهم أنه قوى الحــجة بل يقتصرون على البحث فى أمر الأساقفة المقطوعين ورسالة لاون . وكما سيتضح من أعمال المجمع ومناقشاته ومحاكمته للبابا ديوسقورس أنه لم يقدم له سؤالاً لاهوتياً واحداً يخص العقيدة . إن البابا ديوسقورس قد أقنع الأساقفة على الرأى المستقــيم ، واستقروا على الإيمان الأرثوذكسى فى تلك الجلسة ، وعند ختام الجلسة ألقى مقــالة روحــــية وفيها دعا للملك ولوزرائه ولجميع مملكته وانفض المجمع ذاك النهار . فاختلى المقطوعون ونواب الأسقــف الرومانى بــالملك وقــالوا له فضلاً عن كون ديوسقورس لايريد انتشار اســمك ودوامه إلى الأجيال التالية ، فقــد أرســل لاون الأسقـــف المطوب رســــائل وفيها ينهى المجمع ألا يكون جلوس فى المجمع لديوسقورس البتة . فنســأل جلالتك أن تدع الأساقــفة أن يتصرفوا فى المجمع كما

يشاؤون ، فرسم الملك لهم أن المجمع يكون بخلقيدونية ، وحضر هو وزوجته .

وقد أرسل الامبراطور رسالة إلى المجتمعين فى نيقية كى ينتقلوا إلى مدينة خلقيدونية وهذا نصها :" من الملكان بالنتينيانوس (من الملكين فالنتيانوس) ومركيان إعلموا أيها الآباء أن حيث أنى كنت مستعجل (مستعجلاً) بالحضور إلى المجمع فحينئذ حدث لى أمر ضرورى لأجل تدبير الملك وشغلنى ولذلك ليس أستطيع أحضر (لا أستطيع الحضور) إلى عندكم كما ينبغى ثم أننا عرفنا من رسايلكم أن كثيرين منكم سقيمين بأمراض جسدانية ومهمين (مهتمين) بأمور أخرى مختلفة ثم أيضاً قد بلغوا إلى عندنا الأساقفة والقسوس المكرمين المرسلين من جناب لاون المكرم مطران مدينة رومية السعيدة وأخبرونا أن ليس يستطيعوا يكونوا عندكم فى المجمع لو لم نكن نحن حاضر فيه وألزمونا فى ذلك فمن أجل هذا إذا كان أمور الملك الضرورية قد شغلتنا فى هذا البلاد فلكن قصدنا أن نفضل كلما ينبغى للإيمان الحقيقى الأرتدكسى فوق جميع الأمور العامية (العالمية) فلهذا من أجل طلابات قدسكم نستعجل بالحضور عندكم لتصنعوا سريعاً المجمع فأما إن كان يعجبكم فاتفضلوا واحضروا إلى مدينة خلقيدونية ونحن نبقى جميع الأمور الضرورية لأجل جلالة الإيمان الأرتدوكسى وصلح المؤمنين وتدبير الكنايس المقدسة ونحضر معكم لأننا ليس نريب أن ذلك يعجب لقدسكم كيلا المجمع ليس يتوخر من مغيبه حضرة حلمتنا • وأنتم ليس تهتمون من ضيقة المدينة ففيما بعد أتوسل إليكم أن تصلوا لأجل ملكنا لكى يطيعونا وتصطلح أمور الملك الرومانى ويثبت الصلح فى العالم كافة ونحن نتضرع إلى قدسكم أنكم تعملوا كما أخبرتكم به والله يحفظكم " .(+)

وخلقيدونية تقع علىالجانب الآسيوى من البوسفور تجاه القسطنطينية .

<u>٣- آباء المجمع :</u>

أ) **<u>عددهم</u>**: إختلف المؤرخون حول عدد أساقفة مجمع خلقيدونية فمنهم من نزل به إلى ثلاثمائة وستين ، ومنهم من صعد به إلى ستمائة وثلاثين . وفى الواقع فإن مابين ٣٥٠ أو ٣٦٠ أسقفاً يبدو أنهم حضروا .

(+) نص الرسالة منقول بلغته الركيكة عن كتاب " مضمون المجمع الخلقيدونى " لفرنسيس ماريا . ص٧٩ . الذى ألفه باللاتينية وترجمه أيضاً إلى العربية .

أما عن أسباب كثرة عدد آبــاء هذا المجمع فيذكر الأنبــا ســاويرس أن الأساقــفة المقطوعين لما لجأوا إلى مركيان وسألوه فى نسطوريوس ورده من النفى... ســألوا الملك أيضاً فى عمل مجمع يكون فيه من الآباء أكثر من الثلاثمائة وثمانية عشــر . لأن الناس كانوا مفتخرين به معظمين له ، وأنه لم يجتمع قــط مجمع أكثر منه (من نيقــية) فوعدهم أنه يجمع مجمعاً يكون الأعضاء فيه ضعف عدد الذين أجتمعوا فى نيقية ، فجمع ستمائة ستة وثلاثين أسقفاً. ولهذا الهدف بعثوا بــالضغوط التقــليدية ، وهكذا حدث أن خلقيدونية كان به مشتركون أكثر من أى مجمع آخر للكنيسة القديمة .

ولكن هذا العدد الكبير يدل على مدى إهتمام صاحب الجلالة بأمر تحطيم البابا ديوسقورس.. الذى أقحم الحاضرين وأسكتهم من ناحية الطبيعة الواحدة... فوجهوا إليه تهمة تبرئة أوطاخى .

ب) أشهرهم: ومن الآباء المشهورين الذين حضروا هذا المجمع الأنبا ديوسقورس (ولكنه لم يحضر كل الجلسات) وبعض أساقفته ، ويوبيناليوس أسقــف أورشــليم ومكسيموس أسقف أنطاكية وأناطوليوس أسقف القســطنطينية ، وقــد شــمل الوفد القبطى البابا ديوسقورس ومعه١٦ أو ١٧ أسقفاً مصرياً .

وكان من أبرز أعضاء الوفد القبطى الذى رافق البابا ديوسقورس: الأنبا مقار أسقف " قاو" الذى إتصف بالشجاعة وكثرة النسك ، وكان لا يعرف اليونانية، وقد نفى بعد المجمع مع البابا ديوسقورس إلى جزيرة غاغرا ولكنه عاد إلى الاسكندرية حيث استشهد على يد بــروتيريوس الدخيل والخلقــيدونيين ، أما الأنبــا شــنودة رئيس المتوحدين فلم يتمكن من الذهاب بصحبة الوفد إلى المجمع لمرضه .

وقد حــضر المجمع الكثير من الأساقــفة النســطوريين المقــطوعين مثل ثيؤدوريطس أسقف قورش ويوسيبيوس أسقف دوربلايوم ودمنوس الأنطاكى الذى أرجعه مركيان من المنفى بل إن نسطوريوس نفسه قد دُعى من قبــل الامبــراطور مركيان لحضور المجمع لكنه توفى .

أما عن لاون أسقف روما فقد خاب أمله فى مشروعه الذى كان يعتز به ، وهو أن يكون المجلس لاتينياً . فازدرى أن يرأس المجمع اليونانى الذى إنعقــد على عجل بمدينة نيقية فى بيثينية ، واكتفى بارســال نواب عنه هم الأسقــفان باسكاســينوس ولوشنتيوس والقسان بونيفاتيوس وباسيليوس وانضم إليهم يوليانوس أسقف كوس

للمرة الثانية ، وعلى الرغم من كثرة عدد من حضروا هذا المجمع فإنه بجانب المبعوثين الرومانيين الأربعة ، جاء أسقفان فقط من الغرب وهما أسقفان أفريقيان تمكنا من مغادرة بلادهما قبل أن تغزوها قبائل البربر فاستطاعا أن يحضرا المجمع .

وقد حرص الامبراطور مركيان وزوجته على حضور المجمع ومعهما رهط من أفراد حاشيتهما وكثير من الضباط والجنود بملابسهم الرسمية ، كما حضر تسعة عشر قاضياً أختيروا لإدارة جلسات المجمع ، والإشراف عليها وحفظ النظام ، فكانوا بمنزلة مجلس وزراء .

ج) ترتيب جلوسهم :

إصطف المجتمعون هكذا : جلس الامبراطور والامبراطورة وعن يمينهما البابا ديوسقورس ، ثم يوبيناليوس أسقف أورشليم فهيراكلاس أسقف كورنثية فأساقفة مصر وايلليريا وفلسطين بينما جلس عن اليسار أناطوليوس أسقف القسطنطينية فمندوبو أسقف روما ، وأسقف أنطاكية ثم أساقفة قيسارية وأفسس وبنطس وآخائية وترقيا ، وعلى الرغم من أن المكانة الأولى كانت لروما والثانية للقسطنطينية لأنهما عاصمتا الامبراطوريتين ، فإن القديس ديوسقورس قد جلس عن يمين الامبراطور للمكانة الروحية والعلمية التى امتازت بها الاسكندرية ولمركزها اللاهوتى .

٤ـ رئاسة المجمع :

أما عن رئاسة المجمع فمن الثابت تاريخياً أن الامبراطور لم يقم أياً من الأساقفة ليكون رئيساً للمجمع "حسب العادة" ، أما الغربيون فيقولون بأن نواب الأسقف الرومانى هم الذين رأسوا المجمع حسب طلبه . ولكن الراجح أن القضاة التسعة عشر هم الذين رأسوا المجمع باسم الامبراطور . أما النائبون عن لاون فإنهم إكتفوا بالرئاسة فى أنهم جلسوا على منصات أعلى من التى جلس عليها زملاؤهم .

ويبدو أن الامبراطور كان يود أن يحتفظ لنفسه برئاسة المجمع فى حالة عدم حضور أسقف روما شخصياً ، وذلك من قوله "... فأنا أقوم مقامك لرئاسة المجمع" ، ولكنه انتخب تسعة عشر عضواً من كبار المملكة ليترأسوا المجمع نيابة عنه وكانوا من القضاة وأعضاء مجلس الشيوخ ولأول مرة فى تاريخ المجامع المسكونية يدير أعضاء السناتو دفة مناقشات مجمع دينى كبير ، كأنهم رؤساء روحانيون ، وهناك

من يقول بأن أربعة من الأساقفة الخمسة الذين أطلق عليهم لقب بطاركة قد رأسوا الجلسات بالتناوب – مع القضاة المدنيين ، أى باستبعاد الأنبا ديوسقورس .

وباستعراض الآراء السابقة ومناقشات وجلسات المجمع نستنتج أن الامبراطور قد رأس المجمع وقام نوابه بإدارة الجلسات ، وإحتفظ نواب روما ببرنامجهم المحدد من قبل لاون . لذلك يقول فيليب شاف Phlip Shaff : إن المندوبين الامبراطوريين الذين قادوا المسار الخارجى للإجراءات ، باسم الامبراطور ، مع الأعضاء الشيوخ الحاضرون ، جلسوا فى وسط الكنيسة ، أمام الهيكل ، وعلى اليسار جلس المندوبون الرومان الذين ، لأول مرة فى مجمع مسكونى قادوا الإجراءات الداخلية كرؤساء روحيين .

أى أن رئاسة المجمع كانت فى يد السلطة المدنية .

الفصل الثالث

أعمال المجمع وجلساته وقراراتـــــــه

يعد مجمع خلقيدونية ذا أهمية بالغة لأن فيه بدت حدة الخلاف واضحـة بـين القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين ، كذلك إنشقت بعده الكنيســة الجامعة إلى خلقيدونية ولاخلقيدونية ، وفيه أيضاً يظهر تدخل الامبراطور البيزنطى لمساندة أسقف روما والقائلين بالطبيعتين ، ولقمع بابا الاسكندرية والقائلين بالطبيعة الواحدة . وفى التفاصيل التى يرويها المؤرخون عن هذا المجمع ما يبين أساليب العنف التى استخدمها مندوبو الامبراطور ورجال البلاط فى كبت حرية الرأى المعارض لإتجاه الامبراطور والامبرطورة والقائلين بالطبيعتين . وفى هذا المجمع إجتهد الأساقــفة المقطوعون فى إعادة تعاليم نسطوريوس . كما تمخض عنه نفى البابا ديوسقورس .

أولاً : أحداث المجمع قبل الانتقال إلى خلقيدونية

١- فى القسطنطينية :

تجمع المشاركون فى المجمع فى القسطنطينية ، حيث جرت بعض المفاوضات والمداولات حضرها الامبراطور وقد وصل البابا ديوسقورس والأنبا مقار أسقـف قاو إلى القسطنطينية ودخلا قصر الامبراطور صحبة تلميذيهما وعقـد مجمع أولى فى القسطنطينية قبل الانتقال بالمجمع .

٢- فى نيقيـــــة :

إجتمع المجمع أولاً فى نيقية ، وكان به عدد كبير من الأساقــفة النســطوريين الصادر ضدهم قرار حرمان ، مما أثار دهشة البابا ديوسقورس ، كما أنه دهش كثيراً من كثرة عدد المجتمعين بوجه عام فتساءل عن الداعى لعقــد هذا المجمع الهائل ، إذ أن الإيمان لا ينقصه شئ ، فقيل له إن الامبراطور يهدف إلى توضيح الإيمان ، قــال فى جرأته المعهودة " إن الإيمان لفى غاية الكمال لا يعوزه شـــئ من الإيضاح ، وهو مقرر ومثبت من الآباء أمثال الأنبا أثناسيوس والأنبا كيرلـــس وغيرهما " ، فقيل له : " لقد مضى الأولون وأصبح كل شئ جديداً " ، فرد قائلاً : " وأنا لا أنســخ ما وضعه الأولون " .

وأراد الامبراطور أن يختصر الطريق فأشار بقراءة طومس لاون ، وحاول البعض إستمالة البابا ديوسقورس للموافقة على هذه الرسالة ، ولكنه رفض بكل قوة ، مما أذهل المجتمعين ، ولكن ثيؤدوريطس أسقف قورش النسطورى المحروم صاح قائلاً : إن أمانتنا هى أمانة لاون الذى قال : " إن المسيح من بعد الاتحاد طبيعتان الواحدة تعمل المعجزات والأخرى تقبل الآلام " . وهنا اعترض البابا ديوسقورس على حضور ثيؤدوريطس وغيره من المحرومين وقال : "لقد ظهر لنا أنكم تدبرون مؤامرة ضد الإيمان المستقيم " ، وإذ أخذ على رسالة لاون إنحرافها نحو القول بالطبيعتين فى السيد المسيح ، وقف يدحض هذا التعليم ، ويشرح عقيدة الطبيعة الواحدة كما قررتها أقوال الآباء – فى قوة وإقناع ، وبعد ما إنتهى من خطابه صاح الغالبية : " نحن على إيمان ديوسقورس ، أمانة ديوسقورس هى المستقيمة " .

وقد أثار هذا التأييد غضب الامبراطور مركيان الذى لم يجد بداً من أن يرفع الجلسة إلى موعد آخر ، يحدد فيما بعد ، وذلك نزولاً على رغبة النسطوريين واللاونيين الذين عجزوا عن الثبات أمام البابا ديوسقورس ومقارنة حجته بمثلها . وبعد ذلك إجتمع الأساقفة المحرومون ونواب أسقف روما بالامبراطور وأوعزوا إليه أن يأخذ الأنبا ديوسقورس باللين ، وأن يظهر له من التبجيل ما يجعله يستجيب لإرادته ويقبل رسالة لاون ، ويعفو عن من صدر ضدهم قرار حرمان .

<u>٣ـ فى قصر الامبراطور :</u>

عقد الامبراطور إجتماعاً فى القصر دعا إليه الأنبا ديوسقورس بطريرك الاسكندرية ، وأناطوليوس القسطنطينى ، ومكسيموس الأنطاكى ، ويوبيناليوس أسقف أورشليم ، ومرقس أسقف أفسس ، وثلاثة من الأساقفة الصادر ضدهم قرار حرمان ، وقد حاول المجتمعون – خاصة الأساقفة المحرومون – التأثير على البابا ديوسقورس وإقناعه بالإستجابة لرأى الامبراطور ، ورفع قرار الحرمان عن الأساقفة وقبول رسالة لاون ، ولكنه رفض كل ذلك . فأخذت الامبراطورة بوليكاريا تذكره بما حدث ليوحنا ذهبى الفم على يد والدتها ، وأنه سيكون مثله ، فرد عليها البابا ديوسقورس رداً حاسماً ، فحنقت عليه وصفعته على وجهه فانقلع له ضرسان وتناولته أيدى الرجال الذين أوسعوه ضرباً موجعاً ، وأمعنوا فى السخرية منه والهزء به ، حتى أنهم نتفوا شعر لحيته ، فأخذ ضرسيه وشعره وأرسلهما لأبنائه فى مصر قائلاً " هذا ثمر جهادى " ، وأوصاهم بالصمود فى وجه الهرطقة .

وأمام هذا الموقف الثابت للبابا ديوسقورس ، إنزعج الأساقفة المحرومون واللاونيون وأوضحوا للامبراطور رغبة لاون فى الحط من البابا ديوسقورس وأن تستقر الكلمة للامبراطور . وأن ترك الحرية للأنبا ديوسقورس لا يمكنهم من تحقيق أغراضهم ، فطلبوا من الامبراطور أن يمنحهم الحرية فى أعمالهم ليخرجوا البابا ديوسقورس من المجمع ، واقترحوا عليه عقد المجمع فى مكان آخر على أن لا يناقشوا البابا ديوسقورس فى أمور العقيدة .

وهكذا صدرت الأوامر الامبراطورية بعقد المجمع فى مدينة خلقيدونية .

ثانياً : جلسات المجمع

عقد المجمع فى خلقيدونية فى الفترة ما بين ٨ أكتوبر وأول نوفمبر سنة ٤٥١ م ، وقد بلغ عدد جلساته حوالى ست عشرة جلسة أهمها الجلسات الخمس الأولى ، حيث تم فى الجلستين الأولى والثالثة بحث ما يتعلق بالبابا ديوسقورس والحكم عليه ، وفى الثانية والرابعة والخامسة تم – على حسب ما يقال من وجهة النظر الخلقيدونية – بحث مسألة الإيمان ، أما الجلسات الأخرى فقد خصصت للأمور الشخصية والتى تقل أهمية عن الأمور السابقة ، وكان البابا ديوسقورس فى المجمع ، منذ البداية ، فى موضع المحاكمة .

لما تأكد الأساقفة المحرومون من ضعفهم ووهنهم أمام حجة البابا ديوسقورس أشاروا على الامبراطور أن يصدر أمره لمندوبيه ألا يسمحوا بمناقشته فى أمر العقيدة ، وأن يقتصر البحث على أمر إعادة المحرومين وقبول رسالة لاون ، وصدر المرسوم الملكى بنقل المجمع إلى مدينة خلقيدونية فقصدها الأساقفة .

١-الجلسة الأولى (٨ أكتوبر سنة ٤٥١م) :

حضر إلى المجمع صاحبا الجلالة الامبراطور والامبراطورة ، فدخلاه بأبهة عظيمة يحف بهما رجال البلاط وسط الهتاف " أنت حياة العالم " . وما أن استقر الآباء فى أماكنهم حتى نهض مركيان وتلا عليهم خطاب العرش ، مقلداً قسطنطين الكبير حينما إفتتح مجمع نيقية وقال مركيان ما فحواه : إن غايته من الحضور فى المجمع هى لحفظ النظام . وطلب إليهم أن يزيلوا الظلم ويقضوا على الضلال ، مراعين فى ذلك تعليم الرسل وقرارات الآباء القديسين ، وما أثبته لاون أسقف روما

فى رسالته إلى فلابيانوس أسقف القسطنطينية . وبعد الخطاب هتف الحاضرون للملك والملكة .

وقد بدا واضحاً للوهلة الأولى أن الهدف الأساسى لا يكمن فى البحث عن صيغة مستقرة بقدر كونه إذلال لكنيسة الاسكندرية . وقد ظهر ذلك واضحاً فى الكلمة التى ألقاها رئيس وفد روما عندما طالب بنبذ البابا ديوسقورس ووقوفه أمام المجمع موقف المتهم . فقد وقف باسكاسينوس مع زملائه ، فى الوسط وقال : إننا نحمل الأوامر من الجزيل الطوبى أسقف كنيسة روما الرسولى ، التى هى رأس كل الكنائس ! بأنه لا يجوز لديوسقورس بأن يجلس فى المجمع وإذا حاول ذلك فليخرج ويجب أن نقوم بما أمُرنا به فإذا أمرتم قداستكم فليطرد وإلا فنخرج نحن . وحدثت محاورة صورية بين وفد روما وبين الرؤساء والقضاة المدنيين مما يستشف منه أن الأمر كان مبيتاً ومتفقاً عليه ، لضعف تلك المحاورة وعدم استنادها إلى أصول تاريخية أو كنسية رسولية . ولكى يحتفظ البابا ديوسقورس بالهدوء ويتفادى الشغب ، قام من مكانه عن يمين الامبراطور وجلس فى وسط الكنيسة .

ومع أن الإجراءات منذ البداية كانت صاخبة جداً والتعصب اللاهوتى يندلع من آن لآخر ، حتى إن العلمانيين الحاضرين كانوا يضطرون إلى تذكير الأساقفة بوقارهم وكرامتهم الكهنوتية ، إلا أن البابا ديوسقورس كان هادئاً شجاعاً غير مهتز وسط هذه الضيقة ، وكان واضح التمسك برأيه وفسر تفسيراً عقيدياً قاطعاً وملخصاً حول عزل فلابيانوس : " يمكننى أن أثبت من أثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس أنه بعد الاتحاد يجب أن نتحدث عن طبيعة واحدة للكلمة المتجسد سوف أرفض مع الآباء ولكننى أدافع عن العقيدة ، عقيدة الآباء ولا أتنازل عن نقطة واحدة " .

كانت التهمة التى قدمها مندوبو روما ضد البابا ديوسقورس خلال المناقشة المبدئية والتى ترتب عليها جلوسه فى وسط المجمع – هى " أنه عقد مجمعاً مسكونياً دون تخويل من رئيس أساقفة روما " . ولكن هذه الدعوى لم تثبت (أنظر مجمع أفسس الثانى فيما سبق) . إذ فهم القصد منها وهو إدعاء الغربيين بأن المجامع المسكونية كانت تعقد بأمر ورئاسة أسقف روما ، كما أن هذا القول لا يتفق مع الواقع ، وقد أوجد للمفسرين صعوبة كلية . فالبابا ديوسقورس ترأس المجمع بدون إذن لاون ولكن لاون سمح لنوابه بحضوره فكأنه إعترف بالمجمع !. وقد رد البابا ديوسقورس على هذا الاتهام بغاية الرصانة والتعقل قائلاً إنه لم يكن فى حاجة

لاستئذان " كرسى روما " فى عقد المجامع ما دام قد صدر أمر من الامبراطور يقضى بتشكيلها " .

وبعدما جلس البابا ديوسقورس فى وسط المجمع كمدان وساد الصمت برهة ، نهض يوسيبيوس أسقف دوريلايوم مقدماً الشكوى عليه ، وسأل أن تتلى العريضة التى رفعها إلى الملك ضد البابا ديوسقورس ، وكان الملك قد سلمها للمجمع فأمر القضاة بتلاوتها و أجلسوا يوسيبيوس فى الوسط مجلس المدعى . وقد إتهم يوسيبيوس فى عريضته البابا ديوسقورس بالأوطاخية وأنه رفيق أوطاخى ، وأنه ثبت بدعته ، وأنه معتزل عن الأمانة الجامعة ، وأنه أسقطنا (يقصد يوسيبيوس وفلابيانوس وغيرهما ممن حكم عليهم مجمع أفسس الثانى) جوراً . وقد أتفق على قراءة أعمال مجمع أفسس – ولكن قبل أن تُقرأ طلب البابا ديوسقورس أن يبحث المجمع فى الإيمان أولاً ، فرفض طلبه ولم يعبأ القضاة بسؤاله .

قوطعت قراءة أعمال مجمع أفسس بدخول ثيؤدوريطس أسقف قورش المقطوع إلى المجمع بأمر القضاة المدنيين ، بدعوى أن لاون – بالسلطان الممنوح له من " أمير الرسل " – قد حله من الحرم ومن كل عقوبة وقعها عليه مجمع أفسس الأول برئاسة البابا كيرلس الكبير !!! وأن الملك مركيان الحليم أمر أن يحضر فى المجمع .

وقد أحدث دخول ثيؤدوريطس ضجة هائلة من أساقفة مصر وايلليريا وفلسطين الذين هتفوا قائلين " إرحمونا يا قوم الآن الإيمان قد باد ، إعلموا أن القوانين تطرد هذا خارجاً فاطردوه أنتم عنا ، أطردوا اليهودى أطردوا من جدف على المسيح " ، بينما حياه المضادون وأخذوا فى التشويش والهياج بنفس القدر من الحماس هاتفين ضد البابا ديوسقورس وأقر القضاة ببقاء ثيؤدوريطس فى المجمع فى مقام شاك فقام فى الوسط بجانب يوسيبيوس أسقف دوريلايوم واستؤنفت قراءة أعمال مجمع أفسس الثانى وإذ وجهت عدة تهم للبابا ديوسقورس ، أخذ هو يرد على كل اتهام فى جرأة .

ففيما يخص إدعاءهم بأنهم وقعوا أوراقاً بيضاء فى مجمع أفسس الثانى ، رد بأنه " من واجب الأسقف أن يكون شجاعاً لاسيما حينما يوقع بخصوص الإيمان الثمين " . كما قال لهم ساخراً " كيف تسنى لكم أن توقعوا على ما لم تستوضحوه ؟ " . وفيما يخص إدانة فلابيانوس ويوسيبيوس رد بأنهما قالا بالطبيعتين فى المسيح بعد

التجسد وعندما ناقشوا كلمات أوطاخى قال متهمه إن أوطاخى كان كذابـاً ، فأوضح البابا ديوسقورس أنه لا يهتم بالأشخاص بل بالإيمان الرسولى وإن تمسـك أوطاخى بما يخالف إيمان الكنيسة فليدن ." وإذا أنكر أوطاخى الإيمان الأرثوذكسى مسـجلاً بخط يديه وضل عن تعاليم الكنيسة ليس فقط سأحكم عليه بالحرمان لكنى سأقول إنه يجب أن يحرق أيضاً ". وفيما يخص عدم قراءة رسالة لاون فى مجمع أفسس الثانى قال : " إنى أمرت بقراءتها مرتين لا مرة واحدة " ثم قال : " وجهوا هذا السـؤال إلى من كان جالساً معى من الأساقفة " ، يقـصد الذين شـاركوه رئاسـة المجمع وهما يوبيناليوس أسقف أورشليم وتلاسيوس أسقف قيصرية .

كانت أجوبة البابا ديوسقـورس صادقـة وسـديدة ، وكانت الآمال تؤكد أنه سيخرج من هذا المجمع كما خرج البابـا كيرلس من مجمع أفسـس تكلله المهابـة والنصرة ، لو كان المجمع إسـتمر على النظام السـالف من الأخذ والرد . ومع ذلك فمن العجيب أن أعضاء المجمع كانوا يلقبون البابا ديوسقورس بالتقى .

بعد الفراغ من تلاوة أعمال وسجلات مجمع أفسس الثانى تمت قـراءة أعمال وسجلات مجمع القسطنطينية الفلابيانى (٤٤٨م) ، مع وثائق ومسـتندات رسـمية أخرى ، وكانت القراءة تقاطع بالمناظرات العرضية . ثم أجل القضاة إصدار الحكم فى قضية الإيمان والبحث فيه إلى الجلسة التالية ، وسألوا الأساقفة أن يدون كل منهم ما يراه فى شأن المعتقد . ولكنهم اقترحوا أن البابا ديوسقورس وخمسة أساقفة آخرين ، كان لهم دورهم فى مجمع أفسـس الثانى ، وهم يوبـيناليوس أسقـف أورشـليم وتلاسيوس أسقف قيصرية وأوسابيوس أسقف أنقيرة وأوسطاثيوس أسقف بـيروت وباسيليوس أسقف سلوقية ، يجب أن يعزلوا ويحل بـهم القـصاص . فصادف هذا الاقتراح تصفيق الاستحسان وتهليل الفرح من الخصوم ، ولكن أغلبية المجمع لم تقر عليه ، خاصة أساقفة ايلليرية (الصقالبة) الذين قالوا : " إننا كلنا قد أخطأنا ، فليصفح عنا جميعاً " . ثم رفعت الجلسـة وخرج الآباء وسط هتاف للأباطرة والقضاة والمجمع .

هكذا فالقضاة المدنيون هم الذين قرروا مسئولية البابا ديوسقورس والخمسـة المذكورين عن قرارات مجمع أفسـس الثانى ، ويجب عزلهم ، والقـضاة هم الذين قرروا تأجيل مناقشة الإيمان للجلسة التالية ، على أن يقـدم كل مندوب بـياناً إيمانياً مكتوباً ، يتفق مع إيمان نيقية والقسـطنطينية وأفسـس ، وكتابـات الآبـاء أمثال

غريغوريوس وباسيليوس وأثناسيوس وإيلاريوس وأمبروسيوس ، ورسالتي البابا كيرلس القانونيتين اللتين قبلهما مجمع أفسس الأول وأيضاً طومس لاون . ولكن يلاحظ أنه رغم الإشارة إلى الرسالتين القانونيتين للأنبا كيرلس أى الثانية والثالثة الموجهتين لنسطوريوس ، إلا أنه فى الواقع لم تُقرأ الأخيرة بحرماناتها الإثنى عشر فى مجمع خلقيدونية بل قُرأت الرسالة الثانية ونص إعادة الاتحاد ، وذلك لتدعيم التفسير الأنطاكى لاتحاد عام ٤٣٣ م ضد الجانب الاسكندرى .

٢ – الجلسة الثانية (فى ١٠ أكتوبر سنة ٤٥١ م) :

عقدت الجلسة الثانية فى ١٠ أكتوبر تشرين الأول سنة ٤٥١ م ولم يحضرها البابا ديوسقورس الاسكندرى ويوبيناليوس الأورشليمى وسائر المتهمين حول أعمال مجمع أفسس الثانى حسبما أعلن القضاة عن نية عزلهم فى أواخر الجلسة الأولى، إذ ظلوا خارج المجمع . ويبدوا أنهم قد طردوا من المجمع بالقوة بواسطة الجنود ، وحبسوا فى مكان ووضع عليهم الحراس .

وما ظهر فى الجلسة الأولى كان له أثره فى الجلسة الثانية التى ثبت المجمع فيها قرارات مجمعى نيقية والقسطنطينية وقُرأت رسالة البابا كيرلس الثانية إلى نسطوريوس ورسالته إلى يوحنا الأنطاكى وأعلن المجمع تأييده لما جاء فيهما من تعاليم تدحض بدعة نسطوريوس . ثم قرأ المجمع طومس لاون وأعلن قانونيته ، ومما تجدر ملاحظته أن الطومس قوطع فى مواضع عدة إذ بدت بعض عباراته نسطورية .

بدأت الجلسة بأن جدد القضاة الطلب الذى كانوا قد عرضوه فى نهاية الجلسة الأولى وهو أن يقوم الأساقفة بكتابة إيمانهم ، مقترحين بأنه يلزم تقديم تفسير آخر بجانب التفسير الذى علم به الآباء وأن يدون كتابة فعارض المجمع هذا الاقتراح بقوة وصرخوا : القانون لا يسمح بتفسير آخر لينتشر تعليم الآباء . وأكد الآباء أن ما تم فى نيقية مؤيداً بالقسطنطينية وأفسس هو فقط ما يمكن إعتباره قانوناً للإيمان . ويجب أن لا يوضع إيمان أو تعليم آخر . كما ذكر الآباء أن المجمع المسكونى الثالث (أفسس سنة ٤٣١ م) حرم أى تعديل فى قانون الإيمان النيقاوى . واقترح القضاة أن ينتخب كل بطريرك واحداً أو إثنين من إيبارشيته ، وليجتمع هؤلاء فى الوسط ويدرسون معاً قضية الإيمان ويعلنون ما أجمع عليه رأيهم لينتفى كل غموض ولكن قوبلت الفكرة بالرفض أيضاً . بعد ذلك تُلى قانون الإيمان النيقاوى القسطنطينى ثم تليت رسالتا

البابا كيرلس (ولكن ليس حروماته) فتليت رسالته إلى نسطوريوس ورسالته إلى يوحنا الأنطاكى والشرقيين . كما تليت رسالة لاون إلى فلابيانوس المعروفة بالطومس ، وتبنى المجمع هذه الرسائل .

وحول مدى قبول طومس لاون ففى حقيقة الأمر أنه مع أن كثيرين من الأساقفة قد وقعوا على الطومس قبل انعقاد المجمع ، لكنه عندما قُرئ فى الجلسة وجد أناس يعترضون على الكثير من عباراته خاصة أساقفة الليريون (الصقالبة) وفلسطين ، إذ طلبوا شرح الطومس . وقد طلب أتاكيوس أسقف نيكوبوليس فترة زمنية لمراجعة الطومس على الرسالة الثالثة للقديس كيرلس إلى نسطوريوس .

كما أن أساقفة مصر لم يتخذوا موقفاً معيناً نظراً لتغيب رئيس وفدهم البابا ديوسقورس وقد كان لتوقيع البابا ديوسقورس الحرم على الطومس وعلى صاحبه من قبل دون تردد ، ثم رفضه الموافقة عليه رغم كل المحاولات أن ساور الشك الأساقفة فيما تضمنه الطومس . ولاحظ القضاة المدنيون ذلك فتساءلوا : " هل فى هذا الطومس ما يقتضى الإرتياب فى إيمان صاحبه ؟ " فتظاهر الأساقفة بعدم الإرتياب ولكنهم طالبوا بمهلة لمدة خمسة أيام للتداول معاً وأجيبوا إلى طلبهم .

وقد علق القضاة المدنيون على ذلك التأجيل بقولهم " حتى إن من كان لديه شك فى الطومس يمكنه مقابلة أناطوليوس بطريرك القسطنطينية فيوضح له ما لبس عليه " . ولكن حقيقة الأمر أن هذه الفترة أعطيت لضمان قبول الطومس من كل الأعضاء .

ويلاحظ أنه لما طلبت مقارنة رسالة لاون على الرسالة الثالثة للقديس كيرلس الاسكندرى المعروفة بحروماته الإثنى عشر ضد نسطوريوس ، أجل القضاة المجمع إلى خمسة أيام ولكن لما عقدت الجلسة التالية لم تقرأ الرسالة الثالثة لكيرلس حسب الطلب السابق!!! أليس ذلك لعدم كشف نسطورية لاون ، وأخطائه اللاهوتية ، إذ أن طومسه لايثبت أمام الحرومات الإثنى عشر التى تقاوم الاعتقاد بالطبيعتين وتؤكد الإيمان بالطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد ؟!

ولقد طلب أساقفة الليريون (الصقالبة) ، إبداء الرحمة برؤساء مجمع أفسس الثانى حتى بالنسبة للبابا ديوسقورس ، لكن لم يلتفت أحد إليهم واستعجل القضاة فى إنهاء الجلسة .

٣- الجلسة الثالثة (فى١٣أكتوبر سنة ٤٥١ م) :

ولما كانت نية بعض الأساقفة مبنية على تنفيذ غرضهم الخاص وهو الإيقاع بالبابا الاسكندرى ، فقد عولوا على إبعاد القضاة المدنيين من حضور جلساتهم . وعاد الأساقفة إلى عقد مجمعهم الخلقيدونى بعد ثلاثة أيام فقط لا خمسة . وكان ذلك نتيجة نشاط نواب روما ، كى يخلو لهم السبيل فى إصدار الأحكام التى توافق أغراضهم وهكذا عقدت الجلسة الثالثة النفاقية قبل الموعد المحدد لها بيومين كاملين ، مما جعلها قاصرة على الأساقفة الشرقيين ومندوبى أسقف روما . أما أساقفة مصر وغيرهم والقضاة فلم يحضروها . لذلك فهذه الجلسة المقررة وغير القانونية ، قدعقدت بحضور أقل من نصف أعضاء المجمع وغياب القضاة المدنيين كما لم يحضرها الستة المتهمون وكان إنعقادها فى١٣ أكتوبر سنة ٤٥١ م تحت رئاسة المندوب الرومانى باسكاسينوس . ومن الواضح أن العدد كان صغيراً لأن الاجتماع عقد فى "مارتيريون" القديسة أوفيمية ، وهى كنيسة صغيرة ، عوض كنيسة أوفيمية .

بدأت الجلسة بأن تكلم باسكاسينوس قائلاً : "صار معلوماً كل العلم عند هذا المجمع المحبوب من الله أن رسائل امبراطورية أرسلت إلى لاون الرسولى الطوباوى تدعوه أن يتنازل !! ويحضر إلى المجمع المقدس ولكن بما أن العادة القديمة لا تسمح بذلك وليس هناك من ضرورة عامة فى الوقت الحاضر، لذلك أصدر أمره إلى حقارتنا بأن نتولى نيابة عنه رئاسة هذا المجمع المقدس ، ونحن نرى الضرورة تقضى بفحص كل ما يطرح للبحث ، فهاتوا الكتاب الذى قدمه أخونا المحبوب من الله جداً أفسابيوس (يوسيبيوس أسقف دوريلايوم) وليقرأه المحبوب من الله رئيس الشمامسة والكتاب آيتيوس " .

ولقد أرادوا إتمام الشكليات ليكون الحكم قانونياً ، فدعوا البابا ديوسقورس ثلاث مرات ، وعندما قال إنه فى الحبس لا يمكنه الخروج بدون تصريح من السلطات أجابوه : " هذا ليس من شأننا " . وكان البابا ديوسقورس فى حكم المعتقل لأن الامبراطورة كانت قد أصدرت أوامرها السرية المشددة إلى بعض الجنود ليحيطوا بالبيت الذى يقيم فيه ويمنعوه من الخروج . وبعد هذه الدعوة الصورية أبلغ المندوبون المجمع بأن البابا ديوسقورس قد رفض تلبيتها ثم قدمت ضده اتهامات كالتى وجهت للأنبا أثناسيوس فى مجمع صور الأريوسى .

ثم صدر الحكم المغرض على الأنبا ديوسقورس فى غيابه وغياب أساقفته وفى غياب القضاة ونواب الملك بناء على تهم ملفقة ، كقبوله أوطاخى وعدم قراءة رسالة لاون وحرم لاون وعدم حضوره عندما دعاه المجلس ، كما جاء فى القرار الذى أصدره المجمع بذلك . وقد جرت بهذا الشأن محاورات صورية بين باسكاسينوس وبعض الأساقفة الحاضرين يلاحظ فيها الإصرار على عزل البابا ديوسقورس وأنها كانت تجميعاً لرأيهم حول عزله وتمهيداً للنطق بالحكم . وبينما حكم على البابا ديوسقورس فإن الأساقفة الباقين من المتهمين قد نالوا الصفح .

نطق نواب روما بالحكم فقالوا : " لذلك فالمغبوط الجزيل القداسة لاون رئيس أساقفة روما القديمة العظمى بواسطتنا وبواسطة هذا المجمع الجزيل القداسة بالشركة مع المثلث الغبطة الفائق المجد الرسولى بطرس الذى هو صخرة وقاعدة الكنيسة الجامعة وأساس الإيمان الأرثوذكسى قد جرده من الأسقفية وأزال عنه كل كرامة رئاسية فليصدر إذن هذا المجمع المقدس العظيم الحكم على ديوسقورس المذكور بالعقوبات القانونية " .

ثم تكلم الأساقفة واحد بعد الآخر مظهرين الموافقة على إسقاط البابا ديوسقورس ، ولكنهم جعلوا سبب الحكم عليه هو عدم حضوره إلى المجمع بعد أن دعى إليه ثلاث مرات وقد جاء الحكم الذى أصدره المجمع هكذا : " المجمع المسكونى الكبير المقدس الذى بعناية الله وبموجب مرسوم امبراطورينا المحبوبين من الله قد إلتأم فى خلقيدونية بيثينية فى مقام الشهيدة القديسة العظيمة أوفيمية ، إلى ديوسقورس ، إننا نبلغك أنه فى الثالث عشر من شهر تشرين الأول قد خلعت من الأسقفية وصرت غريباً عن الكهنوت الكنسى بأمر المجمع المسكونى المقدس لعدم مراعاتك القوانين الإلهية وعصيانك على هذا المجمع المسكونى المقدس ، ولأسباب أخرى من جرائم تبين أنك إرتكبتها . زد على ذلك أن هذا المجمع قد دعاك ثلاث مرات من قبل لتدافع عما اتهمت به حسب القوانين الإلهية ولم تحضر " .

وقد بعث المجمع بهذا الحكم إلى أعضاء وفد الاسكندرية وكانوا عندئذ موجودين مع البابا ديسقورس فى خلقيدنية ، كما بعثوا به إلى شعب القسطنطينية وخلقيدونية إشهاراً للحكم عليه ، وتشهيراً به . كذلك بعثوا إلى بوليكاريا وإلى مركيان يعلمونه بالحكم ويفوضونه فى دعوة الأنبا ديوسقورس وتنفيذ الحكم عليه .

إن المادة (القانونية) التى حكم بموجبها عليه هى عدم حضوره جلسة غير قانونية دعى إليها ثلاث مرات طبقاً لقوانين الكنيسة ، لإيجاد مبرر لإصدار الحكم بإدانته .

٤– الجلسة الرابعة فى ١٧ أكتوبر سنة ٤٥١ م :

يبدو أن الجلستين الرابعة والخامسة كانتا إستمراراً للجلسة الثانية ، حيث عاد المجتمعون – بعد التخلص من البابا ديوسقورس – إلى البحث فى الأمور الإيمانية .

عقدت الجلسة الرابعة فى ١٧ أكتوبر فى كنيسة القديسة أوفيمية حيث إحتشد المجمع بهيئته الرسمية وبحضور القضاة المدنيين. وكان من فاتحة أعمال المجمع فى هذه الجلسة إعتراض مندوبى الحكومة على عزل البابا الاسكندرى فى أثناء غيابهم وبدون تصديق الامبراطورة . وكان من ذلك أن الحكم على الأنبا ديوسقورس لم يصادق عليه المجمع بطريقة قانونية ، مع أنه نفذ وذكر فى أول القرارات الصادرة منه . وقد أعلن القضاة سخطهم قائلين : " أما أنتم فتعطون جواباً لله عن الأنبا ديوسقورس الذى عزلتموه بغياب الرئيس التقى (القيصر) وبغيابنا نحن أيضا".

ولولا إستعانة آباء خلقيدونية بالامبراطورة لكان لاحتجاج القضاة المدنيين أثر فى تغيير الحكم " . وقد أمر القضاة المدنيون بالرجوع إلى دفاتر الجلستين الأولى والثانية للبدء مما إنتهت إليه الأمور فيهما . وبعد قراءتها تجاهل القضاة الجلسة الثالثة – مما يعد ضمنياً عدم اعتراف منهم بما فيها – ثم سأل القضاة المدنيون الأساقفة الحاضرين عن رأى المجمع فيما يخص العقيدة فنظروا فى طومس لاون على ضوء قانون الإيمان النيقاوى وأعمال المجامع المسكونية الثلاثة نيقية والقسطنطينية وأفسس ، وتحديدات القديس كيرلس الاسكندرى وقد بلغ عدد الأساقفة الذين أقروا بموافقة رسالة لاون لدستور إيمان نيقية ١٦١ أسقفاً . بعد ذلك طلب القضاة من الأساقفة أن يعلنوا رأيهم جملة دفعة واحدة فسمعوا رداً بالموافقة . ولكن يبدو أن طلب الرأى الجماعى كان تحاشياً لظهور الرأى المعارض وخشية تغلبه .

وقد قام المجمع فى هذه الجلسة بالعفو عن الخمسة الآخرين الذين اتهموا مع البابا ديوسقورس وردهم إلى وظائفهم ، بل ومشاركتهم فى المجمع كما أعلن الحكم على أوطاخى والأوطاخيين . ثم أرسل المجلس واستدعى ثلاثة عشر أسقفاً مصرياً وطلب منهم أن يحرموا أوطاخى ، ويصادقوا على آراء لاون فقدم هؤلاء لائحة

إيمان أثبتت تعلقهم بإيمان الآباء والمجامع المقدسة منذ عهد القديس مرقس الإنجيلى كما شجبوا وحرموا كافة الهرطقات بما فيها الأوطاخية قائلين : ونحرم كافة الهرطقات مع أصحابها أريوس وماني ونسطوريوس وأولئك الذين يقولون أن جسد سيدنا يسوع المسيح قد نزل من السماء ولم يكن من مريم العذراء والدة الإله مساوياً لنا فى كل شئ دون الخطية ، ثم نحرم بقية إختراعات الهراطقة " .

فلما إعترض المجمع على عدم حرمهم أوطاخي وعدم قبولهم طومس لاون ، قالوا إنهم يعملون بموجب القانون النيقاوى السادس إذ لا يجوز لهم أن يقطعوا رأياً أو يثبتوا شيئاً مما ذكر فى غيبة باباهم أو بدون موافقته . وبعد أخذ ورد قبل هؤلاء الأساقفة تحريم أوطاخي ، ولكنهم رفضوا الإقرار على مبادئ لاون إلا بإذن من بطريركهم ، ورغم أن رجال الحكومة وعدوهم بالدفاع عنهم أمام شعبهم فى الاسكندرية ، أو بالتصريح لهم بالإقامة فى القسطنطينية على الرحب والسعة إلى أن يتم انتخاب بطريرك جديد لمصر ، إلا أن الأساقفة لم يقبلوا ولم يقروا صحة آراء لاون .

٥ – الجلسة الخامسة فى ٢٢ أكتوبر سنة ٤٥١ م :

إستمرت جلسات المجمع ، فعقدت الجلسة الخامسة ، كإستكمال للجلسة الرابعة فى نفس المكان فى ٢٢ أكتوبر تشرين الأول ، وهى أهم جلسات المجمع إذ تم فيها وضع صيغة إيمان هى تقريباً بعبارات لاون أسقف روما فى رسالته العقيدية – الطومس .

فبعد أن أعيد فحص طومس لاون ، فى الجلسة الرابعة ، ومقارنته بدستور الإيمان النيقاوى وتحديدات المجامع المسكونية ، أصر نواب روما فى الجلسة الخامسة على الأخذ به ليكون هو " التحديد المجمعى " ، ولكنهم لم يجابوا إلى طلبهم ، بل قاومهم فى ذلك بأقصى شدة أغلبية الأعضاء وكانت المناقشات فى موضوع الإيمان طويلة وعاصفة .

وقد قدم أناطوليوس – عن طريق شماس كنيسة القسطنطينية إسكلبياد – وبعض الأساقفة الآخرين بالمثل ، صيغة إيمانية عرضت على المجمع ، ولكنها أثارت معارضة شديدة من الوفد الرومانى وهذه الصيغة وإن كانت لم تصل إلينا ، ولكن هناك إجماع أنها اشتملت وأكدت على التعبير القائل بأن السيد المسيح " من

طبيعتين " بدلاً من عبارة " المسيح فى طبيعتين " . وأن السيدة العذراء هى والدة الإله "ثيؤطوكوس " . وقد هدد المندوبون الرومانيون بـأن يعودوا إلى وطنهم ويعقـدوا مجمعاً جديداً فى إيطاليا ، ولكن عدداً جديراً بالاعتبار من الأساقفة لن يكونوا آسفين عندما يروهم يرحلون وصاحوا " فليبـق النص كما هو وإلا نرحـل هؤلاء الرجال نسطوريون فلتدعوهم يرحلون إلى روما " . ووسـط الهيجان المتزايد تدخل النواب الامبراطوريون الذين كانوا يرأسون مجريات هذه الأمور وذكروا الأساقفة بـأنهم كانوا قد قبلوا طومس لاون من قبل على أنه أرثوذكسـى ، وأن التعريف الذى يتفق عليه من المجمع يجب أن يأخذ الطومس فى حسابه .

ويرجع الرفض إلى أن أكثرية كبيرة من الأساقفة كانوا يؤمنون بوحدة السـيد المسيح البسيطة بعيداً عن مذهب الطبيعتين الذى كان ظاهراً فى طومس لاون ، غير أنهم فى نهاية الأمر أذعنوا لإلحاح سادتهم ، وإصرارهم ونتيجة لمعارضة مبـعوثى الأسقف الرومانى وأصدقائهم الشرقيين . وذهبت أدراج الرياح أصوات جمهور من الأساقفة كانت تردد : " ان تعريف آباء الكنيسة هو تعريف صحيح لا يقبل التغيير !! وقـد انكشـف الآن أمر الهراطقـة ! اللعنة على النسـاطرة !! فليغادروا المجمع ! فليعودوا الى روما " .

وحسب اقتراح الامبراطور مركيان تشكلت لجنة جديدة من الأساقـفة لإعادة بحـــث الموضوع ، وكانت نتيجة مداولاتهم وضع الصيغة المعروفة " التعريف الخلقيدونى " . وأخيراً فإن ٤٥٢ أسقفاً من بين الحاضرين وقعوا عليها ، بـالرغم من أنه قبل ذلك بعامين فى مجمع أفسس الثانى فى أغسطس سنة ٤٤٩ م أسقـط كثير من هؤلاء الأساقفة وهدموا أى اقتراح بأن السيد المسيح يوجد "فى طبيعتين " بعد التجسد والصيغة على أى حال عرفت على أنها تتفق مع إرادة الامبراطور بتأييد مندوبـى روما والرؤساء العلمانيين للمجمع ولذلك إنعقد لها النصر .

فمع تهديد مبعوثى لاون وتشدد الامبراطور ، الذى هدد بأن يعاد كل واحد إلى بيته ويدعى إلى عقد مجمع فى الغرب تألفت لجنة من إثنين وعشـرين عضواً ، من بينهم نواب روما وأناطوليوس أسقف القسطنطينية ، إلى جانب القضاة المدنيين وذلك لوضع دستور جديد وبعد معارضة شديدة ومناقشة قال القـضاة : إن ديوسقـورس إعترف بقبول العبارة " من طبيعتين " ، ولكنه لم يقر بوجود " طبـيعتين " ، على أن رئيس الأساقفة الجزيل القداسة لاون يقول إن فى المسيح طبيعتين متحدتين ... فمن

تتبعون ؟ . ألاون جزيل القداسة أم ديسقوروس ؟ " فأجاب الأساقفة ... نؤمن كما يؤمن لاون . فقال القضاة : " أضيفوا إذن إلى التحديد حسب حكم أبينا لاون الجزيل القداسة أن فى المسيح طبيعتين متحدتين " ، وعلى الأثر إجتمعت اللجنة وقدمت تحديداً للايمان يوضح العقيدة الإيضاح نفسه ، ولكنه لم يكن رسالة لاون ذاتها .

إن الصيغة العقيدية الجديدة مع ذلك ، ما كانت لتنفذ لو لم تكن أخيراً قد أنشئت تحت ضغط شديد بتوكيل سرى ، وأن هذه الصيغة إلى حد بعيد ناقصة فى صدقها وصحتها، ففى حين قصد بها أن تحتوى على العقيدة الطبيعية لكيرلس وتعترف بقرار المجمع الكيرلسى سنة ٤٣١م . نجد أنها تتجاوزها بأنها كثيراً ما تزيح جانباً وحدة واتحاد الطبيعتين . وتلقب هذه الصيغة بأنها "صيغة باباوية – امبراطورية " ، فقد أزيح جانباً المفهوم الكيرلسى عن الاتحاد الأقنومى للكلمة المتجسد ، وبدلاً منه حلت صيغة علمت بطبيعتين متحدتين ... ولم تكن صيغة سهلة الفهم ، لأنها كانت نتاج تصالح وتوافق قلق ، وكانت تدعو إلى النزاع ، وخاصة فيما بين الذين كان لاهوتهم متأصلاً فى القديسين أثناسيوس وكيرلس .

وهكذا فقد وضعت هذه الصيغة على أساس طومس لاون وآرائه ، وما من شك فى أنه من الخطأ الكتابى أن تتضمن عبارة أن المسيح " فى طبيعتين " .

ثم عقب المجمع على قراره هذا بالحرم على من يخالفه أو يعلم تعليماً آخر ، وهكذا وضع القرار الجديد وفرض على المجتمعين وهم كارهون . وباسم المجلس العام الرابع أعلن إلى العالم أن المسيح فى أقنوم واحد ولكنه فى طبيعتين ، وفى إرتياحهم لإسقاط البابا ديوسقورس ، وربما لتأجيل عقابهم هم من عزل مستحق عليهم ، كان الأساقفة المجتمعون غير مستعدين أن يتورطوا فى متناقضات ممكنة بين الصيغتين : الطبيعة والطبيعتين ، ومعظم الحاضرين لم يعتبروا الصيغة الخلقيدونية كرمز للايمان .

وقد حصل الامبراطور بذلك على ما يتمناه ، كان قد بين أنه يحكم الكنيسة وحصل على الصيغة التى بحسبها أصبح قادراً على أن يقرر ما هو أرثوذكسى وما هو هرطقة ، حسب رأيه .

هكذا على الرغم من أنه كان هناك إتجاه بين الأساقفة يكاد يكون جماعياً إلى الإكتفاء بتثبيت قرارات نيقية والقسطنطينية وأفسس الأول دون صياغة تحديدات

جديدة إلا أن مندوبى الامبراطور والامبراطورة أدركوا أن لا نجاح للمجمع ما لم يصدر مرسوماً يحدد العقيدة ويطلب من الجميع التوقيع عليه ، وقد امتدت عملية التوقيع على تحديدات خلقيدونية وطومس لاون نحو قرن آخر من الزمان ، ونال الأقباط إضطهادات مريرة من الملكانيين بسبب ذلك ، وقد استمرت هذه الاضطهادات حتى سقوط الحكم البيزنطى عن مصر .

٦- باقى جلسات المجمع :ـ

أ- الجلسة السادسة :

عقدت هذه الجلسة فى ٢٥ أكتوبر بحضور الامبراطور والامبراطورة والقضاة والأساقفة . ففى نشوة الإنتصار دخل الامبراطور والامبراطورة يحف بهما القضاة والحاشية ، وخطب فى المجمع مهنئاً بنجاح أعمالهم وباسترداد وحدة الإيمان . وقد أشار إشارة سريعة إلى قسطنطين وحياه المجمع ملقباً إياه بقسطنطين الجديد ، وبوليكاريا بهلينا الجديدة .

وقد أعيدت قراءة قرار خلقيدونية العقيدى الذى وضع فى الجلسة السابقة ، ثم وقع عليه ٣٥٠ أسقفاً وصدق عليه الامبراطور الذى هدد الجميع بالعقاب الشديد إذا حادوا عن هذه العقيدة ، ثم عرض الامبراطور على المجتمعين ثلاثة قوانين كنسية طالباً منهم الأخذ بها فأقروها ، كما قام الامبراطور برفع رتبة خلقيدونية إلى متروبولس (مطرانية) بالاسم فقط تكريماً لها .

ب- الجلسات من٧-١٤ :

فى الجلسة السابعة فى٢٦ أكتوبر سويت الخلافات بين أسقف أنطاكية وأسقف أورشليم حول حدود إيبارشياتهما وعرف أسقف أورشليم بطريركاً لأول مرة . وفى الجلسة الثامنة التى عقدت فى نفس اليوم أعيد ثيؤدوريطس إلى كرسيه بعد حرمه نسطوريوس وتوقيعه على قرار خلقيدونية . وفى الجلسة التاسعة فى نفس اليوم درست قضية إيباس (هيبا) واستكملت فى الجلسة العاشرة فى٢٧ أكتوبر حيث رفع الحرم عنه ورد إلى كرسيه ، بعد أن حذا حذو ثيؤدوريطس ، كذلك رد من حذا حذوهما ممن حرموا فى مجمع أفسس الثانى . وفى الجلسات الحادية عشرة إلى الرابعة عشرة التى عقدت فى الفترة من٢٩ إلى ٣١ أكتوبر حلت مسائل تتعلق بأساقفة آسيا .

جـ - الجلسة الخامسة عشرة :

عقدت هذه الجلسة فى غياب نواب روما والقضاة المدنيين وتم فيها وضع ثلاثين قانوناً وفى القانون ٢٨ منها تقرر أن تكون لأسقف القسطنطينية المنزلة نفسها التى لأسقف روما - عملاً وتثبيتاً للقانون الثالث الصادر من مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م بهذا الشأن .

د- الجلسة السادسة عشرة :

وفى الجلسة السادسة عشرة والأخيرة إعترض نواب روما على هذا القانون وتليت أعمال المجمعين المسكونيين النيقاوى والقسطنطينى ، وتبين منهما أن نص القانون السادس النيقاوى كما أبرزه باسكاسينوس محرف عن الأصل ثم وافق المجمع على القانون الثامن والعشرين كما وضعه .

وهكذا ختم مجمع خلقيدونية جلساته بعد اجتماع ثلاثة أسابيع .

ثالثاً : موقف البابا ديوسقورس من قرارات المجمع :

كان المجمع قد رفع الحرم الذى أصدره البابا ديوسقورس على لاون من قبل ، إلا أن البابا ديوسقورس قد ثبت هذا الحرم على لاون وطومسه كما حرم أعضاء مجمع خلقيدونية كلهم بسبب إنحراف الإيمان الذى وافقوا عليه . وذلك أنه أظهر رغبة فى قراءة عقيدة الخلقيدونيين ، فبعثوا بها إليه فى سجنه طالبين منه التوقيع عليها ، فتلاها أمام رهط من أساقفته ، ولمخالفتها كتب على هامش الكتاب المدونة فيه ما يظهر فسادها ، كما كتب يحرم كل من يتجاسر على تغيير العقيدة الأرثوذكسية المؤكدة من المجامع السابقة . وقال : " محروم طومس لاون وكل من يعتقد بـه " ، كما قال عبارته المشهورة "لو قطعت يدى وسال دمها على القرطاس لما وقعت " .

وقد إغتاظ الامبراطور لذلك وعزم على قتل الأنبا ديوسقورس ولكنه إذ أدرك خطورة تنفيذ ذلك ، إكتفى بنفيه إلى جزيرة غاغرا ، وهى جزيرة بفلاغونيا من آسيا الصغرى ، وقاده الجنود إلى منفاه وهم يعاملونه بقسوة كلص قاتل .

الفصل الرابع

لماذا نرفض خلقيدونية؟

أولاً: عدم صحة الحكم على البابا ديوسقورس :

أشار أناطوليوس أسقف القسطنطينية إلى إدانة البابـا ديوسقـورس ثلاث مرات مقدماً ثلاثة أسباب مختلفة :

١ – فى١٣ أكتوبر بعد أن جاء فى صف المندوبـين الرومانيين قـال بـأن الأنبـا ديوسقورس يجب أن يعاقب لأنه إستخف بالمجمع .

٢ – فى ٢٢ أكتوبر أعلن أن الأنبا ديوسقورس لم يدن لأى خطأ عقيدى من جانبه وإنما لأنه حرم لاون أسقف روما ولم يطع المجمع .

٣ – فى خطابه إلى لاون بعد مجمع خلقيدونية قرر أن الأنبا ديوسقورس قد دين لأجل سلام الكنيسة ! ، وكان هذا السبب فى غاية الأهمية من وجهة نظره ، وكان السـلام فى الكنيسة فى ذلك الوقت محتوماً بقبول طومس لاون لأن بوليكاريا ومركيان قـد سنداه .

ولم يشر الحكم الصادر من المجمع ضد القـديس ديوسقـورس إلى أى اتهام سوى رفضه الدعوة لحـضور المجمع ثلاث مرات . وذكر هذا الاتهام وحـده فى حيثيات حكم المجمع وأيضاً فى تعليقات الأساقفة على هذا الحكم ، دليل واضح على أن بقية الاتهامات ضده كانت واهية .

وبينما تم الحكم على البابا ديوسقورس فقد قام المجمع بـالعفو عن الخمسـة الآخرين الذين اشتركوا معه فى مجمع أفسس الثانى – كما سبـق ، بـل سـمح لهم بالمشاركة فى أعمال المجمع . وقدم تسامح مشابه لهؤلاء الذين قد تبـعوهم فى هذا العمل والذين أصبحوا وقتئذ مستعدين لكى يدينوا الأنبا ديوسقورس سـواء كان ذلك بالقوة أو بمكر أو عن طريق رغبتهم الخاصة . بـل الأكثر من ذلك فإن المجمع رد إعتبار فلابيانوس أسقف القسطنطيـنية السـابق ، كما رد ثيؤد وريطـس وإيباس إلى كراسيهم .

ومن الملاحظ أن الحكم على البابا ديوسقورس كان معداً مسبقاً من لاون ، كما أن مندوبى أسقف روما هم الذين نطقوا الحكم على البابا ديوسقورس باسم أسقف روما والمجمع ، فقد قالوا : " ... خلال وكالتنا نحن عنه (عن لاون) والمجمع الحاضر قد عزله من كل كرامة أسقفية ونزعه عن كل عمل كهنوتى " . أى أن بابا الاسكندرية لم يعزل بواسطة مجمع الأساقفة بل بواسطة أسقف روما ، وما كان على المجمع إلا أن يوافق على القرار الذى أصدره المنادى بأنه رئيس الكنيسة الجامعة ، ولم يعلق أحد فى المجمع على هذه الادعاءات الباطلة .

وهكذا يتضح أن القرار فى الواقع لم يصدر من أجل عقيدة لاهوتية إنما لأجل الدفاع عن سيادة السلطة الرومانية !.

والكنيسة القبطية والكنائس الأرثوذكسية التى ظلت متمسكة بعقيدة القديسين كيرلس وديوسقورس تعتبر أن حكم مجمع خلقيدونية على البابا ديوسقورس ساقطاً لما سبق إلى جانب ما يلى :

١- كان الحكم فى جلسة سرية غير قانونية إذ إنعقدت قبل موعدها المحدد من المجمع نفسه .

٢- كان حكماً غيابياً رغم وجود المدعى عليه قريباً من مقر الجلسة ولم يدافع عن نفسه كما تقتضى بذلك قوانين الكنيسة .

٣- لأن الذين أصدروا الحكم كانوا من المنادين ببدعة نسطوريوس ، فهى هيئة لا تملك إصداره ولا تمثل مجمعاً مسكونياً لغياب أساقفة مصر وغيرهم من الأساقفة الأرثوذكسيين .

٤- لأن الأساس الذى بنى عليه الحكم واه - كما رأينا - لأن الحراس منعوه من الخروج .

٥ - لأن البابا ديوسقورس كان متمسكاً بالإيمان الأرثوذكسى الذى أصدر بصدده مجمع أفسس الأول فى قانونه السابع حرماً على كل من يدخل عليه زيادة أو نقصاناً .

٦- لم ينسب للبابا ديوسقورس السقوط فى بدعة ، وتلك هي المسألة الوحيدة التى تجيز الحكم على الأساقفة ، وماداموا قد أثبتوا براءته منها فحكمهم ساقط بالبداهة ، وقد أيد جستنيان سلامة إيمان الأنبا ديوسقورس فى مرسومه الذى أقره سنة ٥٥٣م . إذ قد ورد فيه مانصه " إن ديوسقورس لم يخطئ بشئ فى أمر الإيمان " .

٧- ثبوت براءته فى الجلسة الأولى بكامل المجمع إذ إعترف المتهمون " أخطأنا ونطلب الغفران " .

٨- صدور الحكم تحت ضغط وتهديد نواب الأسقف الرومانى لبقية الأساقفة الحاضرين ، ونزولاً على رغبة بوليكاريا .

٩- لأن القاضين بالحكم لم يطعنوا فى أرثوذكسية مجمع أفسس الثانى الإستئنافى الذى بسببه شجب البابا ديوسقورس ، وإلا لعزلوا أناطوليوس القسطنطينى ومكسيموس الأنطاكى لأن رسامتهما على يده .

<u>ثانياً : إنحراف المجمع نحو النسطورية :</u>

تبالغ الكنيسة الغربية فى احترامها لمجمع خلقيدونية وتعتبره قضاء على الهرطقة . فى حين أن الكنائس الأورثوذكسية غير الخلقيدونية تعتبره بداية الانقسام الحقيقى فى الكنيسة الجامعة . فالكنيسة القبطية وشريكاتها لا تعترف به ولا بقراراته ، كما لا تعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك فى سنة ٥٥٣ م وسنة ٦١٠م وسنة ٧٨٦م ، لمخالفة الذين إشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية فى الاعتقاد بأن للسيد المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، ولم تقبله الكنيسة المصرية ليس فقط لما أصابها فيه من إهانات فى شخص بطريركها الأنبا ديوسقورس ، وبعده من اضطهادات ، بل لأنها تعده مبتدعاً إذ أدخل وأقر أموراً للايمان لم تقرها الكنيسة الجامعة من قبل ، علاوة على أنه لم يجتمع من أجل الإيمان بل لمآرب شخصية بحتة ليس إلا .

ولسنا نرفض المجمع لجحده الأوطاخية ، فإننا نحن أيضاً نجحدها ، وإنما نرفضه لإتجاهه النسطورى الواضح ، وأنه كان هناك قدر كبير من التخطيط السياسي البارع ، والإهتمامات الشخصية وراء إنتصار الغرب فى مجمع خلقيدونية. وكماجنحت روما تجاه الطبيعتين فإن الأساقفة النسطوريين بما فيهم الأنطاكيين قد استميلوا إلى رأيها . والأقباط ينكرون مسكونية خلقيدونية وكل المجامع اللاحقة له . وهم يعترضون على المجاهرة الخلقيدونية بقرار إيمان مناقض لروح قانون الإيمان النيقاوى وقرارات أفسس ، ولا يطلقون على أنفسهم " مونوفيزيت "monophysites" تلك العبارة الحاقدة الأكثر ملائمة للأوطاخية والتى إخترعها الإغريق والرومان لإذلال الأقباط وحلفائهم اليعاقبة (السريان) والأثيوبيين والأرمينيين . وقد سقط إحترام الكثيرين لهذا المجمع المغرض فقد تعرض فى القرون التالية لنقد كثير ،

ونسبت إلى قراراته وتحديداته أخطاء لا من قبل كنيسة الاسكندرية وحـــدها ، ولكن حتى من قبل الغربيين أنفسهم .

وكما هوجم مجمع خلقيدونية من الكثيرين كذلك هوجم مذهب الطبيعتين الذى أقره هذا المجمع ، من مؤرخى ولاهوتيى الغرب أنفسهم . أما أوطاخى فيعد فى نظر أتباع مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ومن يقول بقولهم فى العالم المسيحـــى من بـــين الهراطقة . لأنه أساء إلى تعليم الطبيعة الواحدة .

وقد أصرت الكنائس اللاخلقيدونية على رفضها لهذا المجمع وإعتباره مجمعاً زائفاً للأسباب الأتية :

أولاً : لأنه حكم على البابا ديسقوروس ظلماً إذ أقام عليه دعاوى كاذبة وأصدر حكماً غيابياً وفى جلسة غير قانونية .

ثانياً : لإتجاهه النسطورى الواضح ، الذى ظهر بوضوح من خلال :

أ - عدم اســتخدامه الإثنى عشـــر بـــنداً (الحـــرمانات) التى للبابـــا كيرلس ضد نسطوريوس ، ورفض تعاليم القديس كيرلس بطبيعة واحـــدة لله الكلمة المتجســـد . فكيف يعترف المجمع بأرثوذكسية الأنبا كيرلس الاسكندرى ، فى حين أنه يطعن فيه من طرف خفى - لذلك قال دكتور جون جيزلر "لقـــد أعلنوا أرثوذكســـية كيرلس ، طمعاً باستمالة المصريين ليس إلا . إن ضعف إقتناع الحزب المتغلب بأرثوذوكسية كيرلس يتضح من أن جناديوس بطريرك القسطنطينية بعد سنة ٤٥٨م كتب رداً على حرومه الإثنى عشر " .

حقاً إنهم لم يقتنعوا بأرثوذكسية كيرلس . لذلك رأينا فلانديون بطريرك أنطاكية الخلقيدونى أيضاً يسميه فى رسائله " جاهلاً " ، ليس هذا وحســـب بـــل إن القـــيصر جستنيان الأول نفسه ، فشـــل فى القـــرن التالى مع لاونتيوس اللاهوتى الشـــهير ، فىالتوفيق ما بين عقيدتى كيرلس والمجمع الخلقيدونى .

ب - قبوله ورده إعتبار شخصيات نســطورية شـــهيرة مثل ثيئودوريطس أسقـــف قورش وهيبا أسقف الرها اللذان كان لاون أسقف روما يساندهما ، وقد دافـــع الأول (ثيئودوريطس) بمهارة عن المذهب الأنطاكى الخاص بالســـيد المســـيح وســـاهم بتعاليمه فى صياغة قرارات مجمع خلقيدونية .

جـ- قبوله النسطورية ، فقد جاء قراره قريباً منها ، وتخللته عبارات - كما يقـول الأرشـمندريت جيتى Guettee الكاثوليكى - قـد تؤدى إلى التردى فى البـدعة النسطورية . ويقول إسحق عبـيد : "ولعله من الضرورى هنا أن نوضح أن مبـدأ الطبيعتين للمسيح ، هذا المبدأ الذى أكده مجمع خلقيدونية هو من قول كل من ثيؤدور من مصيصه (مبسوسـتيا) ونسـطوريوس ذاته ، لذلك فتحـديدات هذا المجمع بخصوص الإيمان ليست مستقيمة " .

ويستنتج مار أغناطيوس يعقوب أن أعضاء مجمع خلقيدونية لم ينبذوا بـدعة نسطوريوس بل على العكس أقروها ، ولئن تظاهروا بحرم صاحبـها ، فلو لم يمت نسطوريوس قبل إلتئام هذا المجمع ، لحضره كما حضره نسيبـاه ومشـايعاه هيبـا الرهاوى وثيؤدوريطس القورشى . لذلك رأينا بـعدئذ إسـطفانوس الأول الأنطاكى الخلقيدونى وأفيميوس القسطنطينى يتحمسان للنسطرة ، ومكدونيوس القسـطنطينى يقيم لنسطوريوس تذكاراً سنوياً بالاتفاق مع ألف راهب من بعض أديار القسطنطينية كانوا عاكفين على مطالعة كتب ديودورس وثاؤدورس ، وبـولس الأنطاكى الدخيل يحتفل بذكرى نسطوريوس .

<u>ثالثاً :</u> والسبب الرئيسى لنبذ مجمع خلقيدونية أن المسـتند الرئيسـى له هو طومس لاون . فقد ضمنت آراء الطومس الأساسية فى تعريف الإيمان الخلقـيدونى رغم أن كثيراً من الأساقفة الشرقيين فى خلقيدونية لم يكونوا متحمسـين لقبـول تعاليم لاون كتعليم لهم ، بل إنه لأمر بديهى ، أن قانون الإيمان النيقاوى وطومس لاون هما على طرفى نقيض .

ذلك لأن القانون النيقاوى عزا الأمور الرفيعة والوضيعة معاً إلى واحـد هو كلمة الله المتجسد قائلاً " إله حق من إله حق ... نزل من السماء وتجسد ... وصلب وتألم ومات ودفن وقام وصعد إلى السماء ..." . بـيد أن الطومس خصص الرفيعة منها باللاهوت والوضيعة بالناسوت . وعلى هذا الأساس رفض المجمع نفسه القول بتألم وصلب أحد الثالوث ، بينما مار بولس نفسه نسب الدم الذى أهرق فوق الصليب إلى الله (أع ٢٨:٢٠) ، وسمى المصلوب "رب المجد" (اكو ٢ : ٨) ، إن المجمع الخلقيدونى بهذا العمل كان يؤيد تعليم نسطوريوس القائل بأن المصلوب كان إنسـاناً بحتاً لا إلهاً " .

رابعاً : أن هناك تناقضاً مريباً بين قرارات المجمع المسكونى الثالث فى أفسس وبين قـــرارات مجمع خلقـــيدونية ، فالأول يمثل إنتصار آراء مدرســـة القـــديس كيرلس السكندرية القائلة " بتجسد الكلمة " فى طبـــيعة واحـــدة ، بـــينما يمثل الثانى إنتصار مدرسة لاون والمدرسة الأنطاكية أو النسطورية القائلة بالطبيعتين للسيد المسيح .

ويتضح هذا جلياً إذا علمنا أن أتباع البابا ديوسقورس الاســكندرى كانوا قــد أصدروا قراراً بالحـــرمان ضد النســـاطرة وأيضاً ضد لاون ذاته بسبـــب مســـألة الطبيعتين .

خامساً : لأن مجمع خلقيدونية لم ينعقد إلا ليشبع شهوة لاون أسقـــف روما تســـانده شهوة الامبراطورة بوليكاريا فى الانتقام من بابا الاســـكندرية ، وكان وراء انتصار الغرب فى المجمع قدر كبير من التخطيط السياسى البارع .

سادساً : أن المجمع أهان الأقباط وحلفاءهم اليعاقبة والأثيوبين والأرمينيين باتهامه إياهم بالأوطاخية وتسميته إياهم بالمونوفيزيت تلك العبارة الحاقـــدة الأكثر ملاءمة للأوطاخية .

سابعاً : عدم مشاركة الآباء المصريين فى أعمال مجمع خلقيدونية أو بالأحرى عدم السماح لهم بذلك .

ثامناً : عدم إعتراف بعض المجامع اللاحقة بمجمع خلقـــيدونية ، مثل مجمع ســـنة ٤٧٦ م الذى عقد بأفسس من أكثر من خمسمائة أسقـــف بـــدعوة من الامبـــراطور باسيليسكوس ، ومجمع آخر فى عهد زينون سنة ٤٧٧ م حيث رفض قرارات مجمع خلقيدونية .

تاسعاً : وجود الحزبية وعدم سيادة الروح الواحدة فى المجمع ، ساعد على ذلك قبول المجمع للنساطرة خاصة ثيئودوريطس وهيبا وغيرهما وقد أشـــعل حـــضورهم فى المجمع عواطف المناهضين .

عاشراً : أن تعريف الإيمان الخلقيدونى قد تم وضعه تحت ضغط القـــضاة المدنيين الامبـــراطوريين ، مع مندوبـــى روما ، وفرضت صيغة الإيمان هذه ، وهى صيغة الغرباء ، الامبراطور وأسقـــف روما ، والتى لا صلة لها بـــإيمانهم ، فرضت على غالبية الأساقفة . فالشرقيون قبلوها تحت تهديد الامبراطور والامبـــراطورة بنقـــل

المجمع إلى الغرب ، والغالبية قبلوها خوفاً من النفى أو الإنزال عن درجاتهم . وقـد زاد خوفهم وفزعهم أيضاً بسبب ما حدث للبابا ديوسقورس من قلع الأضراس ونتف اللحية والهوان والاستخفاف والهزل والعزل عن الرياسـة والنفى إلى عند البربـر ليعذبوه لأجل أنه خالف الملك .

ثالثاً : نتائجه السيئة :

لم تحصل الكنيسة على الراحة والسلام بعد المجمع الخلقيدونى كما كان ينتظر بل قام إنشقاق محزن للغاية بين المتمسكين بعقيدة الطبيعة الواحدة فى السيد المسيح وبين من قبلوا العقيدة الجديدة التى لخلقيدونية ورسالة لاون ، وهو القول بالطبيعتين والتى لم تؤد إلى سلام ووحدة الكنيسة بل زادت من حدة الانقسامات ، ولم يقتنع الشرقـيون بهذا المجمع فأعلنوا رأيهم صراحة برفضه وقبـول المجامع الثلاثة الأولى . وكان هذا القرار داعياً إلى مزيد من المجادلات والانفصال بين الكنائس الموحدة فى القرن السادس . لقد فشل مجمع خلقيدونية فى تأمين الوحدة الكنسـية أكثر من نجاحـه فى إنجاز أى عمل على الإطلاق . وكانت النتيجة الخالصة للقـرارات التى اتخذها هى إنشقاق لا يصلح .

هكذا إنقسمت الكنيسة بعد خلقيدونية فأطلق المؤمنون بالطبيعة الواحـدة على الخلقيدونيين المؤمنين بالطبيعتين اسم الملكيين (أو الملكانيين) أى الذين تبعوا الملك ، بينما أطلق الخلقيدونيون على المؤمنين بالطبيعة الواحـدة اسـم المنوفيزيتيين ثم اليعاقبة . وكنتيجة فورية لقوانين خلقـيدونية كان لابـد من التبـاعد بـين المركز البيزنطى والمقاطعات الشرقية للامبراطورية ، وليس فقط فى مصر ولكن أيضاً فى سوريا ... وأصبح الصراع بين كنيسة الطبيعتين فى القسطنطينية وكنائس الطبـيعة الواحدة للشرق المسيحى ، هو المشكلة المحرقة فى السياسات الكنسية والطائفية فى الامبراطورية البيزنطية الأولى . واستخدم كمنفذ للميول الانفصالية السياسية لمصر وسوريا .

ونتيجة أخرى لمجمع خلقيدونية بعيدة عن الشقاق هى إزدياد ظهور القـومية المصرية من خلال حظيرة الكنيسـة القبـطية الوطنية ، وكانت القـوانين الديرية وانتشارها داخل مصر وبجوار تخومها – كابداع مصــرى خالص – عاملاً فعالاً أثار لهب القومية . لقد وقفت مصر الوطنية متحدة تظاهر بابا الاسكندرية ، وكان أن

تدفق الشعور القومى ، وهكذا عاشت الكنيسة المصرية شخصيتها القومية المتفردة . وتركت زعامتها ، إذ أن السبب الرئيسى فى صدور حكم خلقيدونية كان هو لاون أسقف روما ولكن الاسكندريون قد إعتادوا أن تكون لهم الإيجابية القيادية ولم يكن للمجمع سلطان عليهم . ويقول إيفلين هوايت : يشكل تاريخ مجمع خلقيدونية نقطة تحول فى الكنيسة المصرية فالكنيسة التى كانت فرعاً فى منظمة دولية مفردة إنفصلت بعد سنة ٤٥١ م عن هذا الجسم وصارت حتى اليوم مؤسسة قومية متميزة – هى الكنيسة القبطية .

وبينما ظن البعض أن الاسكندرية قد انهزمت نجد أن مصر قد أخذت من بعد المجمع الخلقيدونى تشق لنفسها طريقاً مستقلاً، فتخلت عن اللغة اليونانية معتمدة على لغتها الأصلية القبطية . ولم تعط إلتفاتاً لتلك الصفعة التى نالتها فى مجمع خلقيدونية وإن كانت روما والقسطنطينية قد تلاقيتا على حساب الاسكندرية فى ذلك المجمع إلا أن هذا التزاوج بين المدينتين لم يلبث أن انتهى إلى إنفصال تام . وإن كان التضامن بين روما والقسطنطينية قد أنهى خطر سيادة الاسكندرية فى المسائل الكنسية ولكنه خلف وراءه سلسلة لا تنتهى من المتاعب والمشاكل ، ويقول أستروجورسكى : إن الانتصار علىالاسكندرية الذى تحقق للقسطنطينية بمساعدة روما دلل على أن الدعوة بأن أسقف روما الجديدة (القسطنطينية) يجب أن يحتل أعلى مكانة فى الكنيسة المسيحية ، وفقاً للقانون الثالث لمجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١ م ، لم تكن فقط دعوة نظرية ، فقد خطت القسطنطينية خطوة أبعد ودمرت تماماً إرضاء حليفتها الرومانية فى النجاح المشترك الذى تم تحقيقه . فقد اعترف فعلاً القانون الثامن والعشرون الشهير لمجمع خلقيدونية بالسيادة الشرفية لأسقف روما ، ولكنه وضع المساواة الكاملة بين روما القديمة وروما الجديدة . وهكذا فإن الصراع الخفى بين المركزين الكنسيين قد جاء إلى الظهور .

لقد حصل الامبراطور على ما يتمناه مبيناً أنه يحكم الكنيسة ، وحصل أسقف روما أيضاً على ما كان يريده ، وإن لم يكن كل ما يريد . فخطابه لم يعط مكانة قانون عقيدى مباشرة ، ولكن القانون المجمعى نبع من هذا الخطاب ... ولكن كنيسة الشرق كانت قد حرمت من إيمانها ، فالاتحاد الطبيعى لم يذكر ، بل إهتز بشدة ، ومقالة نسطوريوس ظهرت وتجددت ، إذ أن أعضاء مجمع خلقيدونية لم ينبذوا تلك البدعة لكنهم أقروها ، مع أنهم تظاهروا بحرم نسطوريوس .

والمجمع الخلقيدونى إذ أخذ بمذهب الطبيعتين من خلال طومس لاون المشحون بالآراء النسطورية ، حيث أن ثيؤدوريطس النسطورى عندما شخص إلى روما من قبل إستمال أسقفها لاون إلى النسطرة ، وهذا الطومس خصص الأمور الرفيعة باللاهوت والوضيعة بالناسوت ، فعلى هذا الأساس رفض المجمع نفسه القول بتألم وصلب أحد الثالوث ، فأيد تعليم نسطوريوس القائل بأن المصلوب كان إنساناً بحتاً لا إلها . وهذا القرار حدا اليهود أن يعلقوا فى الشارع بياناً موجهاً إلى مركيان جاء فيه " لقد كانوا هذه المدة كلها يعتبروننا كأن آباءنا صلبوا إلهاً وليس إنساناً ، أما الآن وقد صرح المجمع الخلقيدونى بأنهم صلبوا إنساناً لا إلهاً ، فنرجو أن ترد إلينا مجامعنا " .

بل لقد جاءت مسألة حرب الأيقونات كإستمرار لصراع خلقيدونية ونتيجة خاطئة مترتبة على معتقداته وآثاره الخاطئة .

رابعاً: عدم قانونيته :

من كل ما سبق نستنتج أن مجمع خلقيدونية لم يكن مجمعاً قانونياً ولا مسكونياً، بل كان مجمعاً سياسياً تحت ستار دينى ، فلم يرأسه رئيس دينى بل الامبراطور وقضاته ونوابه ، وأعضائه لم يملكوا حرية التعبير ، كما أنه لم يجتمع بسبب هرطقه ، بل لإضعاف سلطة الاسكندرية وفرض الزعامة على الكنيسة من روما ، ويثبت ذلك أن المجمع عندما لم يوافق على سلطة أسقف روما ، وأعطى لأسقف القسطنطينية مساواة به ، أظهر لاون عدم الرضا الكامل عن المجمع .

ولم تنطبق على مجمع خلقيدونية غالبية شروط المجامع المسكونية إلا الدعوة من الامبراطور . فبطريرك الاسكندرية منع من حضور الجلسات الهامة وعندما حاول المجمع التعرض للايمان ، خالف ما تقرر فى نيقية وأفسس . وقد أتضح كل ذلك فيما سبق ، كما سيتضح فيما يلى : ... أن هذا المجمع لم يكتسب الموافقة اللازمة من الكراسى الرسولية وكنائس المسكونة إلا روما والقسطنطينية ، لما حققه لهما من مكاسب .

الباب الثالث

الفترة الأولى من الصراع الخلقيدونى

(٤٥١ـ٤٧٥م)

الفصل الأول : موقف الكنائس الشـــرقية من سياسة بيزنطة الدينية بعد مجمع خلقيدونية .

الفصل الثانى : الكنيسة القبطية خلال عهد مركيان وبطريركها المنفى البابا ديوسقورس (٤٥١ ــ ٤٥٧م)

الفصل الثالث: ليون الأول والكنيسة القبطية .

الفصل الأول

موقف الكنائس الشرقية من سياسة بيزنطة الدينية

بعد مجمع خلقيدونية

كان القرار العقيدى لمجمع خلقيدونية بداية لشرور كثيرة للولايات الشرقية للامبراطورية ، وغالباً ما إصطحب النزاع اللاهوتى بالعنف الذى أقلق الكنيسة ووجد الأباطرة أنه من المستحيل تماماً أن يخمدوا الإيمان بالطبيعة الواحدة .

١ – التمسك بالعقيدة فى مواجهة روما وبيزنطة :

لقد كان المعارضون لخلقيدونية بعيدين عن أن يكونوا فى نيتهم متمردين سياسيين وكان تزايد دولهم فى الرغبة فى الاستقلال عن الامبراطورية البيزنطية رغماً عنهم إلى حد كبير . فمجمع خلقيدونية تلاه إنشقاق دينى فى جميع أنحاء الشرق كله وشعر عدد كبير جداً من المسيحيين فى جميع أنحاء الشرق أنه مما لا يطاق أن يتلقوا الأسرار المقدسة على أيدى الخلقيدونيين المخالفين لعقيدتهم ، حتى إن انقسام دائم بين مؤيدى ومعارضى خلقيدونية كان يعتبر حتمياً . والمعارضة الدينية مع أنها مريرة على نطاق شاسع فإنها لم تلعب نفس الدور المدمر فى تاريخ الأقاليم الشرقية للامبراطورية ، كما فعلت فى الغرب . وبالرغم من الأزمات المتلاحقة بين بطاركة الاسكندرية والقسطنطينية ، وبالرغم من الغزو البربرى والتهديد الفارسى ، وبالرغم من الضغوط الاجتماعية والاقتصادية ، فإن الامبراطورية البيزنطية لم تتبع نظيرتها الغربية إلى التفكك والإنهيار . وحتى وقت الحروب الفارسية والفتوحات العربية فى النصف الأول من القرن السابع ، كان المؤمنون بالطبيعة الواحدة قد استقرت أمورهم ونمت كنائسهم .

.وفى القسطنطينية كان الرأى بين الشعب يميل إلى أن يتلخص فى ثلاثة تجمعات : أولئك الذين إستمروا فى قبول أوطاخى كأرثوذكسى ، مجموعة أقوى بكثير رفضت نسطوريوس وأوطاخى وطومس لاون ، وهم المؤيدون لعقيدة الطبيعة الواحدة ، وأخيراً الخلقيدونيين .

لقد بدأت منذ مجمع خلقيدونية صراعات عنيفة هزت الكنيسة الشرقية لمدة أكثر من مائة عام ، والتى تركت أثارها حتى يومنا هذا . وإن كانت قد جلبت إلى فهم

اللاهوت ربحاً قليلاً لكنها جلبت إلى التقوى أذىً كبيراً ، وللحماس العقيدى – فى بعض المناطق – ضعفاً . والتاريخ الخارجى لهذا الصراع هو تاريخ إعتداءات ومؤامرات وعزل ونفى واضطرابات وانقسامات ومحاولات لإعادة الاتحاد . وبعد مجمع خلقيدونية مباشرة إندلعت المشاجرات فى فلسطين وأنطاكية والاسكندرية .

وكما قاومت كنيسة الاسكندرية المجمع الخلقيدونى ، فقد قاومته أيضاً الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، بل ولاية الكرسى الأنطاكى بسوادها الأعظم منذ اللحظة الأولى ، الأمر الذى أدى إلى إستقالة البطريرك مكسيموس سنة٤٥٥م ، وسقوط البطريرك مرطور الخلقيدونى وقيام البطريرك مار بطرس الثانى المعروف بالقصار سنة٤٦٨ م . وهى متمسكة بعقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد نسجاً على منوال القديس كيرلس الاسكندرى والمجمع الأفسسى المسكونى الثالث . وقد شدد آباؤها الهجوم على الخلقيدونية والنسطورية جملة فى هذا الشأن . كما عد الأرمن أرثوذكسيين ، رفضهم الاعتراف بقرارات مجمع خلقيدونية ، لما يرونه فى تلك القرارات من عبارات يمكن الخروج منها على بدعة نسطوريوس ، التى كان شبحها المفزع ومازال ماثلاً أمام العيون .

إن أقصى وأشد إدانة للعقيدة الخلقيدونية على هيئة مرسوم معتصر من الكنائس الشرقية ، توجد فى تاريخ الثمانية والستين عاماً التالية . فهذه الأعوام لا تتميز فقط بأشد الثورات من ناحية الشعب والرهبان خاصة فى مصر وفلسطين وسوريا ، ولكن أيضاً بمحاولات الأباطرة للتخلص من مرسوم خلقيدونية ، والذى كان مصدر مصاعب ، وكان يهدد أمن الامبراطورية . وقد كان هؤلاء الأباطرة واقعين تحت ضرورة عمل هذه المحاولات أكثر من ذى قبل ، لدرجة أنه فى الشرق لم يعد هناك لاهوتيون نشيطون يستطيعون الدفاع عن العقيدة الخلقيدونية . هذه العقيدة حافظت على مركزها وعلى نفسها فى هذه الفترة بواسطة الأهمية العظمى المعطاة لها من المجمع الخلقيدونى نفسه ، ومن أغلبية كهنة العاصمة ومن الأسقف الرمانى .

فهذه القوى كانت قوية ، ولكن قوة المعارضة لها والتى كان يساندها النفور المتزايد من الامبراطور البيزنطى وبطريركه ، والآمال القومية ، كانت أيضاً ضخمة . بالإضافة إلى هذا ، فإن الأتقياء شعروا بالحزن من خلال الحقيقة المطلقة بأن صيغة جديدة أدخلت ، بنفس قدر الحزن على ما كان فى الصيغة نفسها .

٢ -اضطهاد الدولة البيزنطية للمؤمنين بالطبيعة الواحدة:

إتخذت كل من مصر وسوريا خطاً دينياً منفصلاً عن الامبراطورية منذ مجمع خلقيدونية ، ففي الوقت الذى آمنت فيه القسطنطينية بـالمذهب الخلقيدونى القائل بالطبيعتين ، ظلت سوريا ومصر على ولائهما لعقيدة الطبيعة الواحدة . فكان ذلك المجمع نقطة التحول فى تاريخ الامبراطورية بخصوص مصر وسوريا وغيرهما من الولايات التى وحدتها جميعاً معارضتها لمجمع خلقيدونية . وإن كان فى ذلك تعبير عن النزعات القومية الإنفصالية ، إلا أنها كانت من ثمار تلك المرارة التى بذرت بذورها فى خلقيدونية . وقد رفضت الكنيسة الأرمينية أيضاً مراسيم ذلك المجمع ، بل إن القسطنطينية نفسها كانت زاخرة بمن يعتبرهم الغرب هراطقة .

ويوضح قداسة البابا شنودة الثالث فى كتابه "طبيعة المسيح" مجموعتى كنائس العالم من حيث موقفها من الإيمان بطبيعة السيد المسيح ومن مجمع خلقيدونية فيقول : إن الإيمان بالطبيعة الواحدة تشترك فيه الكنائس القبطية والسريانية والأرمينية والأثيوبية والهندية(+) ، وهى الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية ، بينما الكنائس الخلقيدونية الكاثوليكية واليونانية (الروم الأرثوذكس) فتؤمن بطبيعتين للسيد المسيح وتشترك فى هذا الاعتقاد أيضاً الكنائس البروتستانتية . وكنائس الروم الأرثوذكس أو الأرثوذكس الخلقيدونيون تشمل كنائس القسطنطينية واليونان وأورشليم وقبرص وروسيا ورومانيا والمجر والصرب وكنائس الروم الأرثوذكس فى مصر وفى سوريا ولبنان وفى أمريكا وفى دير سانت كاترين بسيناء ...ألخ .

فإزاء مجمع خلقيدونية وطومس لاون إنتحت مجموعتان من الكنائس ، كل مجموعة جانباً . فالكنائس القبطية والأثيوبية والسريانية والأرمنية والهندية رفضت

(+) وحاليا تضم هذه المجموعة أيضاً كنيسة أريتريا بعد أن أستقلت سياسياً ثم كنسياً عن أثيوبيا ، وقام قداسة البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية بتكوين مجمع مقدس لها شمل رسامة أساقفة لها وأخيرا تتويج بطريرك فى الجمعة ٨ /٥ / ١٩٩٨م ، هو أبونا فيلبس بطريرك أرتيريا ، ككنيسة أرثوذكسية تتمتع بوحدة الإيمان مع الكنيسة القبطية وباقى الكنائس اللاخلقيدونية (أنظر مجلة الكرازة أعداد : ١٥ ،١٦ فى ٢٤ أبريل ١٩٩٨م ، ١٩، ٢٠ فى ١٥مايو ١٩٩٨م ، ٢٣، ٢٤ فى١٢ يونيو ١٩٩٨م ، ٤٥، ٤٦ فى٢٧نوفمبر١٩٩٨م) .

الاعتراف بالبيان العقائدى لهذا المجمع ولطومس لاون . بينما تمسكت به المجموعة الأخرى من الكنائس وهى كنيسة بيزنطة (القسطنطينية) وكنيسة أورشليم وكنيسة روما ، وما يتبع هذه الكنائس من كنائس الغرب والشرق . وكان طومس لاون الذى تبناه مجمع خلقيدونية هو محور الاضطهاد الذى أذاقه الأباطرة البيزنطيون لكنائس الشرق التى لم توافق على مجمع خلقيدونية . وقد بدأ الامبراطور البيزنطى فى عزل بطاركة الكنائس الشرقية التى رفضت مجمع خلقيدونية ، وتعيين بطاركة آخرين ، ولكن رفضهم الشعب فى كل كنيسة فسموا بالبطاركة الملكيين أو الروم نسبة إلى الامبراطورية البيزنطية المسماه فى اللغة العربية بمملكة الروم .

وهكذا ظل فى كل كنيسة من كنائس الشرق بطريركان ، واحد هو البطريرك الأصلى والآخر هو البطريرك الملكى ، وظل البطاركة يتعاقبون على كلا النسبين إلى يومنا هذا . وتعبير الطبيعة الواحدة Monophysite الذى وصفت به الكنائس الرافضة لخلقيدونية ، والتى عرف أبناؤها بالمؤمنين بالطبيعة الواحدة، Monophysites ، قد أسيء فهمه عن قصد أو غير قصد خلال فترات التاريخ . فاضطهدت بالذات الكنيسة القبطية والكنيسة السريانية اضطهادات مروعة بسبب إعتقادهما ، خاصة فى الفترة من مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م حتى بدء دخول الإسلام مصر وسوريا (حوالى سنة ٦٤١م) .

عندما حاولت السلطات البيزنطية فرض قرارات مجمع خلقيدونية عنوة فى كل من بيت المقدس والاسكندرية وأنطاكية ، وجدت معارضة عنيفة لم تتغلب عليها رغم التعذيب وسفك الدماء . واستمر الصراع طوال قرن ونصف كان العنف فيه ظاهراً ــ وإن تخللته محاولات للتوفيق من بعض الأباطرة . مما أفقد الامبراطورية البيزنطية ولاء رعاياها . وكان من الأسباب الأساسية التى مهدت السبيل لكل من الفرس والعرب فى القرن السابع الميلادى للاستيلاء على الولايات الشرقية للدولة البيزنطية .

ويلخص قداسة البابا شنودة الثالث أحداث تلك الفترة ويعرض للاضطهادات التى لاقتها الكنيسة القبطية على أيدى أتباع خلقيدونية ، والتى بدأت بما فعلوه مع البابا ديوسقورس إذ أهانوه ، وضربوه حتى كسروا أسنانه ونتفوا شعر لحيته . ثم نفوه عن كرسيه إلى جزيرة غاغرا وعندما رفض الشعب بروتيريوس الذى أقاموه بدله ، تعرض للمذابح الوحشية ، حتى إنه استشهد فى يوم واحد ثلاثون ألفاً .

ويقسم قداسته هذه الاضطهادات إلى ما يلى :-
١- الضرب و القتل و التعذيب و النفى .
٢- الاضطهاد عند الفشل فى الإغراء .
٣- تدخل بطاركة القسطنطينية فى الكنيسة القبطية و اضطهادها .
٤- الاستيلاء على الكنائس ، وتعيين البطاركة و لاة .

أما عن لاون أسقف روما فيتضح من رسالته إلى بوليكاريا بعد المجمع أنه كان غير راض عما وصل إليه مجمع خلقيدونية بخصوص مساواته فى القانون الثامن و العشرين بين روما و القسطنطينية . وكذلك من رسالته إلى مركيان حيث هاجم أسقف القسطنطينية أناطوليوس فى الإثنتين .

٣- الموقف فى مصر بعد خلقيدونية :

بالتخلص من الأنبا ديوسقورس عمل مركيان وبوليكاريا على فرض العقيدة الخلقيدونية على مصر وغيرها بالقوة ، لضمان السيطرة الكاملة . بينما عمل لاون على فرض زعامته على الكنيسة . ولكن لم يتحقق هدف كلا الطرفين فاستمر الصراع .

وقد شعر المصريون بكراهية لمجمع خلقيدونية . وبينما أخذ الإحساس بالقومية تزداد قوته وتزداد معه مشاعر عدم التعاطف مع الأجنبى ، خاصة مع إزدياد ضغط ممثلى الحكومة البيزنطية على المصريين ، كانت ثقة المصريين فى إرشاد كهنتهم و أساقفتهم راسخة . مما جعل الجماهير ترحب بإعلان الاستقلال الدينى كدفاع عن العقيدة التى يتبناها مدبروهم الشهيرون أمثال القديس كيرلس و القديس أثناسيوس ـ تلك العقيدة التى يعانى بسببها بطريركهم آلام النفى .

كان فى مصر عنصران : اليونان والسكان العالميين خاصة فى الميناء الكبير وهم مجموعة صغيرة ولكنها قوية وقتياً وكانت تؤيد خلقيدونية . أما الغالبية العظمى فى مختلف الأقاليم فهى تمثل الشعب المصرى الخالص وكانت ضد خلقيدونية . ومن ثم فإن بطريركية الاسكندرية الموحدة قبلئذ قد انقسمت بين صفوف الخلافة البطريركية وكان الصف الملكى يونانياً ونشأ من القسطنطينية مطيعاً لمجمع خلقيدونية ، و الآخر وصف بأنه Monophysites ، المتمسكون بالطبيعة الواحدة ، وكان وطنياً وقف بثبات تدعمه وطنيته كشعب مصرى يرفض السيطرة اليونانية و الهيئة

الخلقيدونية . وهكذا فإن القومية المصرية التى ظهرت من خلال حظيرة الكنيسة القبطية ، أصبحت سريعة النمو والتقدم .

لقد كان مجمع خلقيدونية نقطة تحول فى تاريخ الكنيسة القبطية ، وذلك أن هذه الكنيسة بعد أن كانت فرعاً أو جزءً هاماً فى هذا التنظيم الكنسى الكبير ، وهو تنظيم كانت له صورته العالمية ، عمل الخلقيدونيون بعد سنة ٤٥١م على فصلها عنه وأصبح لها شخصيتها القومية المميزة ، ألا هى شخصية الكنيسة القبطية . وإن كان هذا التحول لم يحدث فجأة إنما كانت له مقدماته .

نشأ النزاع العنيف فى مصر بين الملكانيين الإغريق ، والمصريين وهم المؤمنين بالطبيعة الواحدة ، وقد أصبحوا محلاً للتعذيب والاضطهاد الدينى وقد زادهم هذا الاضطهاد عناداً وتمسكاً بمبادئهم الدينية وأهداب استقلالهم ووطنيتهم . وكانت تساند البطريرك الملكانى فى الاسكندرية قوات امبراطورية ، بينما تقف وراء البطريرك القبطى أفراد الشعب وأعداد غفيرة من الرهبان . هكذا لم يرضخ المصريون لتعاليم خلقيدونية ، وظلت القسطنطينية متمسكة بادعاء حقها الأعلى على كنيسة الاسكندرية .

وكان الأقباط يمثلون الأغلبية ولهم بطريرك ، هو خليفة القديس مرقس الرسول يعضدونه ضد سلطان والى الاسكندرية وبطريركها الملكانى . بينما كانت الأقلية من الإغريق الملكانيين الذين إعتنقوا عقيدة الطبيعتين ويتبعون بطريركاً ملكانياً دخيلاً هو من صنع القسطنطينية الخلقيدونية . وقد ظل الأقباط يناضلون فى سبيل هذا النوع من الاستقلال طوال الحكم البيزنطى وغدت الاسكندرية مسرحاً للفوضى والاضطرابات خلال السنوات التى أعقبت مجمع خلقيدونية بسبب الصراع بين البطريركين المتنافسين . واستمر الحال على هذا المنوال من سنة ٤٥١م إلى سنة ٦٤١م ، حيث مارست السلطات البيزنطية الضغط على أقباط مصر بشتى السبل والوسائل . وكانت محاولات بيزنطة المتكررة لرأب الصدع مقضياً عليها بالفشل إلى أن أفلت الزمام بظهور دولة الإسلام واتساعها .

ولقد حرص الاسكندرانيون على التمسك بحقهم ، ودرجوا على أن يكونوا فى جانب البطريرك الاسكندرى الذى استمر على الصلابة والثبات ، وكان يلقى تأييداً كبيرا من شعبه . وقد امتازت مصر بطابعها القومى الذى تمثل فى لغتها ونظمها وفى الرهبنة .

وما حدث من إنفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة اليونانية أدى إلى زوال النفوذ البيزنطى فى أهم مراكز الحضارة اليونانية فى الشرق . وعلى الرغم من الهزيمة (الظاهرية) التى حاقت بالبابا ديوسقورس فى مجمع خلقيدونية ، فقد ظل المصريون متمسكين بعقيدة آبائهم واستمروا فى معارضتهم لمجمع خلقيدونية . واستمر النزاع الدينى على حدته منذ منتصف القرن الخامس حتى الفتح العربى لمصر . وعلى الرغم من أن الحكومة البيزنطية كانت تختار بطاركة ملكانيين للاسكندرية يميلون إلى الهدؤ والسلم والسكينة ، ويستجيبون لها ، فإن الهدؤ لم يسد ، حتى صار الأقباط يقولون للبطريرك الدخيل " إننا نحبك ، غير أننا لانريدك أسقفاً علينا " . وقد استمر الأقباط على أمانتهم القديمة وهم يقيمون بطريركاً بعد بطريرك .

الفصل الثانى

الكنيسة القبطية خلال عهد مركيان وبطريركها المنفى البابا ديوسقورس (٤٥١- ٤٥٧ م).

أولاً : البابا ديوسقورس فى المنفى وتمسك الأقباط به :

خرج البابا ديوسقورس من خلقيدونية قـاصداً مقـر منفاه فى جزيرة غنغرة أو غاغرا فى بفلاغونية على شاطئ آسيا الصغرى . وقد رافقـه إلى دار منفاه إثنان من أساقفته مرافقة إختيارية أحدهما الأسقف مكاريوس أسقف قاو ، الذى حـمله البابـا ديوسقورس على العودة إلى مصر وإثنان آخران هما رئيس شمامسـته بـطرس ، وسكرتيره ثاوبسطوس الذى كتب سيرته ، وبعض الشمامسـة . وكان المرافقـون أعظم العزاء للبطريرك فى نفيه وغربته القاسية كأصدقائه وأبنائه .

مضى القائد والجنود المكلفون بتنفيذ حكم النفى ، مضوا بالبابا ديوسقـورس ورفاقه إلى جزيرة غاغرا حيث سلموهم إلى أسقـف تلك الجزيرة وكان نسـطورى مخالف ويعتقد فى قداسة نسطوريوس وبره ، إذ أن نسـطوريوس هو الذى كان قـد سامه أسقفاً من قبل ، ويدعى " صاونيس " . وقد قابل ذلك الأسقف البابا ديوسقورس ورفاقه بكل إستهانة واستخفاف ولكنه أمام ثبات البابا ديوسقـورس وقداسـته ، عاد فرجع إلى صواب المعتقد . كما تحول شعب الجزيرة إلى طاعة البابا ديوسقـورس وتبجيله وزادوا فى إكرامه .

كان استقبال صاونيس أسقف الجزيرة للبابا ديوسقورس سـيئاً للغاية ، وقـد أساء معاملته هو ومرافقيه ، فى طعامهم وفى مكان إقامتهم بالجزيرة ، ولكن البابـا ديوسقورس كان يتقبل ذلك بكل رضا ويوصى مرافقيه بالتحمل وعدم التذمر . وذات يوم أرسل أسقف الجزيرة النسطورى يستدعى البابا ديوسقورس ويتهمه بأنه يستخدم أموال كنيسة الاسكندرية ويتصدق بها . وذلك بـناءً على خطاب من بـروتيريوس أسقف الاسكندرية الدخيل يتهم فيه البابا ديوسقورس بأنه أخذ مال الكنيسة . ولكن فى حقيقة الأمر أن الأموال التى كان البابا ديوسقورس يتصدق بها على فقراء الجزيرة ، قد أعطاه إياها تاجر قبطى مر بالجزيرة ، ليتعايش منها هو ومرافقـوه . ولما ضيق الأسقف على البابـا فى الكلام والاتهام أخذ بـطرس الشـماس يرد عليه مدافعاً عن

معلمه ، ولكن الأسقف إستمر فى حوار ساخن مع البابا ديوسقورس حتى إنه سب البابا كيرلس عمود الدين فما كان من البابا ديوسقورس إلا أن حرم هذا الأسقف موجباً عليه حرم الأنبا كيرلس لنسطوريوس أيضاً ، فحرمه من الأسقفية ومن تناول الأسرار حتى يتوب ويقبل حرومات البابا كيرلس الإثنى عشر . ولكن صاونيس إزداد فى التضييق على البابا ديوسقورس . إلا أنه عاد إلى البابا ديوسقورس معلناً توبته مقراً بذنبه طالباً العفو والمغفرة ووافق على حرم نسطوريوس وطومس لاون ومجمع خلقيدونية ، فقبله البابا ديوسقورس فى التوبة ، ومن ذلك اليوم لم يعتمد (الأسقف) على شئ من أمور الملك .

كان أغلب أهل الجزيرة من اليهود المتمسكين بعقيدتهم ، ولكن تمكن البابا ديوسقورس ومرافقوه من تعليمهم وتلمذتهم وجذبهم إلى المسيحية . كما وجدت بها أقواماً من الوثنيين وغيرهم من المسيحيين ، فأجتذب البابا ديوسقورس بتبشيره جموع غفيرة من الوثنيين ، وقوّم بتعاليمه أولئك المسيحيين وبذلك ضم إلى الكنيسة نفوساً كثيرة من كلا الجانبين . ويبدو أن معظم أوقاته أثناء الأعوام التى عاشها فى منفاه قضاها فى العمل التبشيرى ، حتى طارت روحه الطاهرة إلى خالقها بعد حياة ملؤها الجهاد والعمل المضنى الشاق والدفاع عن الإيمان .

وإلى جانب جهاده فى الجزيرة فقد كانت له أعماله العلمية ، على أن أعماله البطريركية ورحلاته الشاقة المرهقة قد حالت دون الكتابة والتأليف ، فلم يترك سوى أربعة رسائل إيمانية ولكنها ثمينة جداً . إثنتان كتبهما إلى دمنوس أسقف أنطاكية قبل مجمع أفسس الثانى ، والرسالتان الأخريتان كتبهما من المنفى . إحداهما إلى رهبان هناطون (إيناتون) ، وهو دير الزجاج غربى الاسكندرية ، والثانية إلى ساقوندينا . وهدف الرسالتين واحد وهو تأييد الإيمان الذى أعلنه البابا ديوسقورس فى المجمعين الأفسسى الثانى والخلقيدونى . وهو توضيح عقيدة الكنيسة فى حقيقة التجسد الإلهى ، فى الأولى يناهض فكرة الإثنينية ، ويظهر فيها إهتمامه بحياة الرهبان الروحية والإيمانية . وفى الثانية نقض واضح لتعاليم أوطاخى . وبذلك فهو فى الرسالتين يناهض الرأيين المتناقضين اللذين كانا السبب المباشر لآلام قاستها المسيحية ومازالت تقاسيها إلى يومنا هذا .

أما بخصوص سنة وفاته فتذكر بعض المراجع أنها كانت سنة ٤٥٤م . بينما تذكر مراجع أخرى أنه توفى سنة ٤٥٧م . والرأى الثانى هو الأرجح . وبعد وفاة

البابا ديوسقورس حضر ثاوبسطس إلى الخمس مدن الغربـــية ، إذ أن الامبـــراطور مركيان كان قد أصدر أوامره بعدم عودة سكرتير البابا ديوسقورس إلى الاسكندرية . و هناك إستكمل ثاوبسطس كتابة سيرة معلمه . أما بطرس فظل بجوار جســد البابــا ديوسقورس (مقبرته هناك) .

هكذا ظهر البابا ديوسقورس فى دور المعترف العظيم الذى كان قــد تحــدى الامبراطور وحرم لاون الغير تقى . وكان يدفع بنفيه عقوبة صلاحـــه . ورغم وفاة البابا ديوسقورس فى منفاه فإن بــروتيريوس البــطريرك الملكانى فى مصر لم يكن قادراً على انتهاز هذه الفرصة . فلقد ظل الشعب المصرى متمسكاً ببطريركه المنفى إلى أن توفى فى منفاه . وكانوا قد أعلنوا رفضهم لخلقيدونية منذ البداية ، وتمســكوا بعقيدتهم وببطريركهم . مما أدى إلى إزدياد وتعاظم أسباب الشحناء والبغضاء بين الأقبــاط الوطنيين وبــين الرومانيين المقــيمين فى مصر . وزادت عوامل الجفاء والخصام بينهم خصوصاً وأن جماعة اليونان إنحازوا إلى العقــيدة المخالفة . وكان المصرى فى ذلك الحين يبرهن على صدق وطنيته وإخلاصه لبلاده برفضه قرارات مجمع خلقيدونية رفضاً باتاً والهزء بأعماله .

وقد مثل البابا ديوسقورس الشعور الوطنى المصرى ، ولم تقبل مصر عزله ، إذ وجدت المسيحية فيها بعد خلقيدونية متأثرة بعمق بنفيه .

ثانياً : عودة الوفد القبطى بعد خلقيدونية :

غالبية الأساقــفة المصريين المشــاركين فى خلقــيدونية ، وهم يمثلون الوفد المصرى ، رفضوا قبول العقيدة الجديدة ، وأعلنوا أنهم لن يرغموا على قبول صبغة خلقيدونية ولا على التوقيع على رسالة لاون (الطومس) ، حتى ولو قتلوا . وتأخروا فى القسطنطينية ، حيث أن المجمع إعتبر أن توقيعهم مؤجل إلى أن يقام أســـــقف جديد (خلقيدونى) على الاسكندرية . ثم رجع الوفد المصرى إلى الاسكندرية ، وقد إنحاز منهم عدد قليل إلى خلقيدونية ، هؤلاء حملوا فى عودتهم رسائل ومنشــورات من المجمع ومن الامبراطور أيضاً إلى ثاودروس والى الاسكندرية يأمره أن يعينهم على إقامة بطريرك جديد للاسكنرية حسب أمر وعقيدة المجمع والملك .

كما أن المجمع الخلقيدونى قد أرسل إلى أساقفة الكرسى الاسكندرى يدعوهم إلى الإيمان بمذهب الطبيعتين ، فرفضوا مقــررين عدم الاعتراف بقــرارات ذلك

المجمع ولا بطومس لاون . وقامت مذابح فى الاسكندرية وفى الأديرة (بل فى كل مصر) ، كما قامت ثورات شعبية أخرى فى أورشليم وبلاد أنطاكية إحتجاجاً على قرارات مجمع خلقيدونية واستشهد عدد كبير . وفى مختلف الأقاليم وجدت مصر نفسها منقسمة بين الغالبية العظمى التى كانت ضد خلقيدونية . ومجموعة صغيرة ولكنها قوية وقتياً من المؤيدين للخلقيدونية .

ثالثاً : موقف الامبراطور مركيان من مصر عقب المجمع :

بعد مجمع خلقيدونية عاد الأساقفة كل واحد إلى موضعه آخذاً معه نسخة الكتاب الذى وقع فيه بخطه بقبول تلك العقيدة الجديدة . فاضطربت الكنيسة وتبلبل الناس عند سماعهم الأقوال المحدثة ، وامتنع من قبولها أناس كثيرون فقتل منهم خلق كثير فى سائر الأماكن التى يبسط فيها الامبراطور مركيان Marcian يده . وجرى على المؤمنين بالطبيعة الواحدة فى تلك الأيام مالم يجر مثله إلا فى أيام الاضطهاد الوثنى . إلى أن انقضت أيام مركيان الذى حكم لمدة ست سنوات .

ورغم ذلك ، ورغم أن الامبراطور قد اشترى إنتصاره بالصيغة العقيدية الجديدة ، إلا أنه لم يتمكن من فرض هذه العقيدة على شعوب مصر والشرق . وإن كان الشرق قد غمر فى حالة من الارتباك والفوضى المخيفة . وقد كانت سياسته – الماهرة بعض الوقت – كارثة فظيعة على الامبراطورية الشرقية ، حيث أنها أطلقت سراح القوى القومية المتباعدة عن المركز فى الأقاليم الشرقية . ولم يعد ممكناً باستمرار الاحتفاظ بمصر . والأسقف الرومانى رأى حالاً أنه كان بعيداً عن تحقيق هدفه أكثر مما قبل . واللغة المتعالية التى يستخدمها خلفاء لاون مع الامبراطور والشرق ليست دليلاً على سلطة حقيقية كإثبات للقطيعة والاغتراب بين الشرق والغرب الذى كان قد حدث . وكذلك لإنعدام السلطة الحقيقية لروما. ولم يعد الامبراطور يتصل بالأسقف الرومانى ولا الأسقف يتصل بالامبراطور والشرق ، ووصل إلى أن لا يكون له نفوذ .

لقد اضطهد مركيان المؤمنين بالطبيعة الواحدة فى كل مكان . وكتب إلى جميع نواحى مملكته آمراً بقتل من لا يقول بقوله . عامداً إلى إخضاعهم بالقوة المسلحة . ورغم ذلك لم يخضع الجميع لقرارات المجمع ... فظل السواد الأعظم من النصارى فى مصر وسوريا وفلسطين يقول بالطبيعة الواحدة .

أصدر الامبراطور مركيان ، وفالنتيوس الثالث امبراطور الغرب مرسوماً في ٧ فبراير سنة ٤٥٢ م فرض عقوبات صارمة على كل الذين من الآن فصاعداً ، ينازعون جهراً في أمر الإيمان . ونص على أن المسيئ من رجال الكهنوت (الإكليروس) وضباط الجيش يحرمون على الترتيب من كهنوتهم أو مراكزهم الحربية ، والآخرون تتخذ ضدهم الإجراءات القانونية . وهذا المرسوم الامبراطوري كان موجهاً لشعب القسطنطينية وعبر عن نهائية قرار الامبراطور . وقد لام المؤمنون بالطبيعة الواحدة مركيان للأسباب الآتية : ١- إغتصابه للعرش . ٢- عقده لمجمع خلقيدونية . ٣- إضطهاده للكنيسة . وتمنوا إقصاءه بواسطة حاكم متعاطف .

كانت سياسة مركيان مبنية على التفاهم الوثيق مع لاون أسقف روما ، ومع الامبراطورية الغربية التي تمكن من ربطها بمساندة الطموحات الكنسية لبطريركه . وقد اعتمد في ذلك على تأييد الأساقفة الخلقيدونيين والأعيان الأرستقراطيين الذين جعلوا في دور مسيطر آمر في الشئون الكنسية عن طريق تعيينهم كقضاة في مجمع خلقيدونية . والقوى الشعبية التي كان يمثلها حزب الخضر (المؤمنين بالطبيعة الواحدة) في العاصمة ، والرهبان في الأقاليم الشرقية ، كانت قد كبحت بصرامة . وداخلياً وكنسياً وخارجياً كان حكم مركيان وبوليكاريا متناقضاً مع حكم ثيؤدوسيوس الثاني . وقد كانت وفاة بوليكاريا في يوليو سنة ٤٥٣م ، صدمة لنفوذ لاون في الشرق . وتبع ذلك تدهور المركز الخلقيدوني في الاسكندرية .

أرسل الامبراطور مركيان رسوله بكتاب الأمانة الجديدة إلى الاسكندرية . وقد روى ذلك للبابا ديوسقورس في منفاه الأنبا ببنودة (بفنوتيوس) رئيس المتوحدين بدوناسة ، الذي بعد أن مر ومعه تلميذه إسحق على دير الأنبا شنودة حيث سلما عليه قبل وفاته - إستمرا في المسير حتى وصلا إلى بعض الديارات القريبة من الاسكندرية ، حيث أقاما فيها أياماً وهما في مرارة النفس من أجل الإيمان .

على أنه من أخطر النتائج أن مركيان أرسل إلى جميع الأديرة في مصر رسائله التي إشتملت على صورة من طومس لاون عن الإيمان بالطبيعتين . إذن لقد أخطر الرهبان رسمياً بقرارات المجمع ، خاصة رهبان دير الزجاج (إيناتون) ، بالقرب من الاسكندرية ، ورهبان وادي النطرون بإعتبارهم أكبر مجتمع رهباني . ودعيوا إلى التوقيع على صيغة الإيمان الخلقيدوني .

وصل قائد من قبل الامبراطور يصحبه عشرون جندياً إلى دير الزجاج ومعه طومس لاون وكتاب من الملك يقول فيه : إن كل دير لا يقبل رهبانه الموافقة على هذا المجمـع الخلقيدونى لا يبقى فيه إنسـان حياً . فاستقبلهم رئيـس الدير الإيغومانوس (القمص) لونجينوس ، وجرت محاورة بين القائد ورئيس الدير تثبت تمسك الأخير ورهبانه بإيمان آبائه وبالمجامع المقدسـة نيقـية والقسـطنطينية وأفسـس ورفض خلقيدونية ، وكذلك تمسكهم ببباباهم الأنبا ديوسقورس . وإذ لم يجد الإيغومانوس على الطومس وقرارات المجمع اسم بطريرك الاسكندرية بين الموقعين ، فلم يوقـع لا هو ولا أحد من رهبان ديره رغم أن الجنود كانوا يضغطون عليهم للتوقيع . وقـد انتهى الأمر بأن صار هذا القائد وجنوده رهباناً وأقاموا بالدير إلى وفاتهم .

على كل فقد انقسم رهبان وادى النطرون حيال منشور الامبراطور إلى فريقين . الفريق الأول وهو الأكثر عارض هذا المنشور وتمسك بالإيمان بالطبيعة الواحـدة وتمسك بالبابا ديوسقورس ، على حين آثر الفريق الآخر وهم قـلة ، التسـليم بـهذا المنشور . ورغم قلة الأخيرين فمن المحتمل أن يكون الدعم الرسمى قد عوضهم عن النقص العددى . وكانت هذه القـلة تتكون من الأجانب . ولم تمض عدة سـنوات إلا وضعف شأن الرهبان الخلقيدونيين الأجانب بصورة كبيرة . رغم ضغط البـطاركة الملكانيين وإثارتهم الاضطرابات .

رابعاً : بروتيريوس الدخيل وعهده :-

كانت أول هزيمة قاستها مصر فى المجال المسكونى والإزلال والعزل والنفى لبطريركها الوطنى البابا ديوسقورس ، قد تبعها تنصيب بطريرك دخيل فى شـخص بـروتيريوس (٤٥٢ –٤٥٧ م) ، الذى كان الصديق السـهل الإنقـياد لحـكومة الامبراطورية البيزنطية بواسطة وسائل القوة العسكرية الوحشـية . ولكن بـعد ذلك تجاوب المصريون وبسرعة مع انتخاب البطريرك الوطنى خليفة البابا ديوسقورس ، الأنبا تيموثاوس الثانى (إيلورس) .

١ - بروتيريوس وتعيينه :

كان بـروتيريوس قبـل اغتصابـه البـطريركية هو مقـدم الكهنة فى مدينة الاسكندرية . وكان البابا ديوسقورس يثق به حتى عهد إليه بإدارة أمور الكنيسة أثناء غيابه وعليه فقد صار بروتيريوس يدبر كنيسة الاسكندرية فى أوان إنعقـاد المجمع الخلقيدونى كوكيل للبابا ديوسقورس فى الاسكندرية .

وكان قد رافق البابا ديوسقورس إلى خلقيدونية سبعة عشر أسقفاً مصرياً . وقد إعترض منهم بطريقة مؤثرة على قرارات مجمع خلقيدونية ، بعد إصدار الحكم على البابا ديسقورس ونفيه ، ثلاثة عشر أسقفاً وأعلنوا أنهم مستعدون أن يضحوا بحـياتهم عن أن يتصرفوا إلا حسب ما يتفق مع رئيس أساقفتهم وعقيدتهم . وبينما أصر هؤلاء على رفض خلقيدونية فإن الأربعة الباقـين قـد إنضموا إلى المجمع وانطلقـوا إلى الاسكندرية لتنصيب رئيس أساقفة جديد . والمرشح المختار كان بروتيريوس . وقد كانت رسامته بأمر وإيعاز من كل من الامبراطور والامبراطورة . إذ أن الأساقـفة العائدين كانوا مزودين برسائل ومنشـورات من عند المجمع والملك إلى ثاودروس الوالى تأمره بأن يعينهم على إقامة بطريرك .

عاد أربعة من الأساقفة المرافقين للبابا ديوسقورس إلى الاسـكندرية مزودين بتفويض من الامبراطور مركيان فى أمر انتخاب بطريرك . وقد أثار قدومهم بـهذا التفويض ثورة عارمة من الشعب الذى عارض ذلك بشـدة ، وأصر على أنه طالما كان البابا ديوسقورس على قيد الحياة فإنه لايقبـل عنه بـديلاً . وقـد اتفق هؤلاء الأساقفة العائدون على ترشيح القمص بروتيريوس ، آملين أن يحوز ترشيحه رضاء الشعب ، نظراً لوضعه الكنسى السابق ، وكان بروتيريوس على ما يقـال مسـتعداً لقبول قرارات مجمع خلقيدونية وكذا الموافقة على طومس لاون . وقد قاوم الشـعب رسامته مقاومة عنيفة واعتبره خائناً لكنيسته ووطنه برضوخه لقرارات خلقيدونية .

ولما كانت رسامة بروتيريوس ضد رغبة الشعب المصرى وأساقـفته الذين عقدوا مجمعاً بالاسكندرية قرروا فيه رفض قرارات مجمع خلقيدونية وبراءة البابـا ديوسقورس وحرم برتيريوس ، اضطر الامبراطور إلى تأييده بالقوة العسكرية .

أما عن كيفية رسامة بروتيريوس فتذكر المصادر القبطية القديمة أنه قد وصل إلى الاسكندرية قائد يسمى " سـرجيوس " ومعه آخر يسـمى " صالا فاغيارى " ، يرافقهما جماعة من الهراطقة – منهم على ما يبدو الأربعة أساقفة السابـق ذكرهم – وقد ذهب إلى دير الزجاج حيث تجمع الأساقفة فقرأ عليهم كتاب الملك الذى قـال فيه إن من يوقع أولاً على طومس لاون هو الذى يجلس بطريركاً على كرسـى الأنبـا ديوسقورس عوضاً عنه . فتقدم بروتيريوس ووقع بخطه . وعندما ذكره الأنبا مقاره أسقف قاو بأنه قد خالف اباه وصار تحت الحرم الذى قطعه على نفسه من قبل بـأن لايحيد عن العقيدة ، إحتج بروتيريوس بأنه وقع على مجمع نيقية فقط ، فقال له أنبـا

مقاره : لماذا لم تقرأ حتى النهاية قبل أن توقــع ؟ وقــد أدت معارضة أنبــا مقــاره لبروتيريوس فى توقيعه علاوة على رفضه هو التوقيع ، إلى استشهاد أنبا مقاره .

٢- إستشهاد الأنبا مقار أسقف قاو :

هو أحد ثلاثة آباء أقباط يحملون اسم مقار ويعرفون بالثلاثة مقارات القديسين . وقد إشتهر الأنبا مقار أسقف قاو بالقداسة وحسن السيرة .

كان البابا ديوسقورس قد قال للأنبــا مقــار وهو معه بــالمنفى أن يرجع إلى الاســكندرية . وفى تلك الأثناء وصل قـــوم تجار مصريون إلى الجزيرة ، هؤلاء سمعوا بخبر البابا ديوسقورس فقصدوه . وقد طلب منهم هو أن يحملوا معهم الأنبــا مقاره ويوصلوه إلى الاسكندرية ، فأجابوه إلى طلبه وفرحوا بمرافقة الأنبا مقاره لهم فى عودتهم . وقد اتفق حضور أنبا مقار إلى الاســكندرية يوم أن وصل إليها القــائد سرجيوس ومعه كتاب الامبراطور مركيان .

فعندما أخذ بروتيريوس الطومس ليوقع عليه حاول أنبا مقــاره أن يمنعه من ذلك محذراً إياه ، فلم يتمكن بــل غضب عليه القــائد جداً ، وأمره هو أيضاً أن يكتب خطه ، فقال له أنبا مقاره : " لايكون هذا البتة منى أن يكون لى خط فى هذا الطومس فلا تخاطبنى من أجل كتابة فيه ، فلســت أكتب ولا أصير مثل هؤلاء ... الذين ليس لهم معرفة " . ولما أخذ سرجيوس القائد يضغط عليه محاولاً إقناعه بالموافقة ، قــال الأنبا مقاره : " لماذا أجعل روحى فى عدد الذين تركوا عنهم الحق بل أحسب روحى من جملة الذين ثبتوا على الحق " . فإزداد غضب سرجيوس وضرب الأنبــا مقــاره بقدمه فى بطنه ضربة قاسية فسقط ومات لوقــته ، فحــملوه الأهالى وكفنوه ودفنوه بإكرام فى كنيسة القديسين يوحنا المعمدان وأليشع النبى .

٣- بروتيريوس واضطهاده للأقباط :

ظل المصريون على ولائهم لأبيهم الروحى ، باباهم المنفى معترفين برئاسته ، رغم الاضطهادات المريرة التى تعرضوا لها فى تلك الفترة . وظلوا يمقــــــتون المغتصب بروتيريوس . وقد أدى ذلك إلى تعاظم أسباب الشحناء والبــغضاء بــين الأقباط وبــين البــيزنطيين المقــيمين بــمصر والذين خضعوا للأسقــف الدخيل بروتيريوس الذى كان يستند إلى حرس قوامه ألفان من الجنود . ولما رفضه الشعب

إستعان بهذه القوة المسلحة للتمكن من دخول الكنيسة . وإذ أعرض الشعب عنه أعمل فيهم السيوف فقتل عدداً كبيراً . وقد شن حرباً دامت خمس سنوات ضد شعب الاسكندرية ، واتخذ بعض الاجراءات المدنية لتهديد الأقباط ، ولكنهم ظلوا متمسكين بالبابا ديسقورس إلى أن توفى فى منفاه . وبعد أن وصلهم أول نبأ عن موت مركيان ، أصبح بروتيريوس ضحية حماسهم ، وألقيت جثته الممزقة فى النار .

لقد ثارت الأمة القبطية عن بكرة أبيها واشتد هياج الشعب وضجيجه لرسامة بروتيريوس ، لأنهم إعتبروه خائناً لوطنه غاشاً لكنيسته وعدواً منافقاً مرائياً . وفى سلطته الجديدة لم يكن بروتيريوس إلا ممثلاً فقط لسلطة أجنبية . لذلك كانت الثورة موجهة ضد الحكومة وضد الأسقف الجديد بنفس القدر .

فبروتيريوس مغتصب البطريركية ، عندما ذهب إلى دار البطريركية وطرده الشعب القبطى منها ، إستعان بالقوة المسلحة للتمكن من دخول الكنيسة . وكان ذلك فى ليلة عيد القيامة ، وقد رأى من الشعب إعراضاً عنه إذ أخذوا يتركون الكنيسة له ولمن يناصره من جنود الرومان ، فأمر الجنود فأعملت فيهم السيوف وقتل فى ذلك اليوم عدد وفير ، قيل إنه بلغ مائة وخمسون ألفاً حتى جرى الدم من باب الكنيسة ، كما قتل الكثير من الرهبان . ولقد مثل الجند بالأهالى واعتدوا على النساء وقتلوا الأطفال . وقد استولى قائد الجند على أمتعة الكنائس وأموالها وسلمها لبروتيريوس الذى أودع كل ذلك فى قصر فخم اتخذه لإقامته . وأحاط الحراس بهذا البطريرك الدخيل ، الذى تملكه الغرور وانتفخت أوداجه ودفعته الغطرسة إلى أن يسير فى شوارع الاسكندرية ممتطياً صهوة جواد ، والجند تحوطه وهى مدججة بالسلاح ، وأصبح الحاكم بأمره ، لا يدخل الكنيسة إلا وهو محاط بالجند المسلح .

ومن أجل إرضاء بروتيريوس طردوا الإكليروس الأرثوذكسى (القبطى) والرهبان غير الخلقيدونيين من المدينة ، ومن كل الأديرة الواقعة فى الأماكن المجاورة . كما اتخذت بعض الإجراءات المدنية ومنها إيقاف الألعاب الرياضية وغلق الحمامات العامة ، ومنعت الحكومة توزيع القمح . فقامت قيامة الشعب ، فألغى ذلك القرار . اذ إضطر فلورس أن يعقد هدنة مع المصريين واجتمع مع نخبة منهم فى ميدان سباق الخيل وتعهد هذا الوالى لهم بإلغاء الاحتياطات الصارمة التى اتخذها ضدهم ، ولذلك تم الصلح بينهم ولكنه صلح ظاهرى فقط غير صادر من القلوب والأفئدة .إلا أن المصريين لم يعترفوا برئاسة بروتيريوس الذى عينه

الامبراطور بطريركاً عليهم ، فكان الرجل شاعراً بالخطر المحدق به ولذلك كان إذا انتقل من مكان لآخر تخفره الجنود .

وكما رفض الشعب المصرى قبول بروتيريوس رئيساً عليهم رفضه كذلك الإكليروس القبطى كخائن صادق على مجمع خلقيدونية وحذف اسم البابا ديوسقورس من القداس الإلهى . وكان على رأس الإكليروس القبطى فى معارضته لبروتيريوس الكاهن تيموثاوس الذى كان يدير كنيسة الاسكندرية والذى كان من أثر موقفه المتشدد أن عقد بروتيريوس مجمعاً من أتباعه حكم فيه عليه ، وهو الذى عرف فيما بعد باسم الأنبا تيموثاوس الثانى (إيلورس) Aelurus . وقد صدر الأمر بنفيه مع معاونه الشماس بطرس منغوس إلى ليبيا ومعهما بعض من أبرز الأساقفة والرهبان الذين أصروا على رفض الإعتراف بمجمع خلقيدونية وبرسامة بروتيريوس أو خلافه طالما كان البابا ديوسقورس على قيد الحياة .

وفى أول أغسطس سنة ٤٥٥ م كتب مركيان إلى الوالى بالاديوس يأمره بتوقيع العقوبات على من لا يتبع بروتيريوس ، كما أرسل إلى أهل الاسكندرية كى يرجعوا عن عصيانهم لأوامره . وقد أدت الوسائل الشديدة التى اتخذها الجند إلى الانفصال النهائى عن البطريرك الخلقيدونى بروتيريوس . واستقل الأقباط بكنيستهم تحت أدارة الكاهن تيموثاوس . الذى تمكن الإكليروس القبطى – بعد وفاة البابا ديوسقورس – من رسامته بطريركا ، وكان قد عاد إلى الاسكندرية ، وذلك فى كنيسة القيصريون . ولكن القائد " دينز Denus " لاحقهم وقتل أو ذبح عدداً من الرهبان والراهبات وكذلك من الشعب القبطى . ولقد وجد بطرس الأيبيرى (أسقف غزة) فى ذلك مبرراً للذهاب ليحمل المشورة إلى أديرة الاسكندرية والضواحى وبقية المدن والقرى المتمسكين والمرتبطين بالبابا تيموثاوس الثانى (إيلورس) . وقد احتمى الشعب القبطى المخلص مع إكليروسه فى الأديرة القبطية . وكانت المدينة تغلى غلياناً لهذه التطورات حتى لقد استلزم الأمر تدخل الجيش للقضاء على الاضطرابات والعمل على توطيد أقدام البطريرك الجديد الذى لم يعترف به أقباط مصر الوطنيون . ومن هنا نشأ النزاع العنيف فى مصر بين الملكانيين الإغريق والمصريين ، الذين أصبحوا محلاً للتعذيب والاضطهاد الديني . وزادهم هذا الاضطهاد عناداً وتمسكاً بمبادئهم الدينية وأهداب استقلالهم ووطنيتهم . وكانت تساند البطريرك الملكانى فى الاسكندرية قوات امبراطورية ، بينما تقف وراء البطريرك القبطى أفراد الشعب وأعداد غفيرة من الرهبان .

لم يكتف بروتيريوس بكل ما فعله بل إنه أرسل إلى أسقف جزيرة غاغرا يتهم البابا ديوسقورس بحيازته أموال الكنيسة مما أدى إلى زيادة اضطهاد هذا الأسقف النسطورى قبل تحوله ، كما سبق - للأنبا ديوسقورس .

وبخصوص علاقة بروتيريوس بلاون أسقف روما ، فبعد تولية بروتيريوس أرسل قانون إيمانه إلى لاون فأتته منه رسالة كلها تشجيع ونصائح . ذلك أن لاون بعد المجمع الخلقيدونى مباشرة قطع علاقته تماماً مع أناطوليوس أسقف القسطنطينية ودخل فى مفاوضات مع الأسقف بروتيريوس فى الاسكندرية (الرسالة ١٢٩) ومع أسقف أنطاكية (الرسالة ١١٩) الخلقيدونيين اللذين كان هو يسعى إلى تقوية مركزيهما فى بطريركيتيهما ، واللذين توسل هو إليهما أن يرسلا له باستمرار معلومات تتعلق بشئونهما ، لكى ما يستطيع أن يؤدى لهما المساعدة .

فقد استأنف لاون سياسته التقليدية لكرسيه وسعى لتكوين صلة مع بروتيريوس . ولكن لاون لم يجد فى الاسكندرية فى شخص بروتيريوس حاكماً قوياً ، بل ظل مثل هذا الحاكم فقط هو الأسقف الملكانى لحزب صغير وسقط سريعاً بأيدى المصريين .

<u>٤ - مقتل بروتيريوس :</u>

رفضت الغالبية العظمى من المسيحيين المصريين قبول إدانة ديوسقورس ، أو قبول بروتيريوس خليفة له . وشغل بروتيريوس مركزه لبعض الوقت بدعم من السلطة العسكرية ، ثم قتلته جماهير الاسكندرية . فقد صبر عليه المصريون لأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً فى حياة الملك . وعند موت مركيان إنفجرت جمرة عدم الرضا إلى لهيب... مما أدى إلى قتل بروتيريوس .

عقد بروتيريوس مجمعاً بأصحابه القائلين بقوله وفى غد ذلك اليوم وجد مقتولاً فى قلايته . وعلى هذا النحو تذكر بعض المصادر والمراجع القبطية أن بروتيريوس قد استولى على أموال الكنائس وممتلكاتها ولما لم يتمكن من الإقامة فى دار البطريركية بسبب ثورة الشعب ضده ، سكن فى قصر خاص ، ولكثرة ثروته هجم عليه جماعة من اللصوص وقتلوه . بينما تذكر مصادر ومراجع قبطية وأجنبية أن أهل الاسكندرية - بمجرد موت مركيان ووصول هذا الخبر إليهم ، إنقضوا على بروتيريوس فقتلوه ثم حرقوا جثته .

كانت المدة التى قضاها بروتيريوس كبطريرك ملكانى ست سنوات قتل على أثرها وحمل على جمل إلى الملعب الذى كان قد بناه بطليموس حيث حرقت جثته بالنار . وتزيد بعض المراجع الموقف إيضاحاً فتذكر أن المصريين إنتهزوا فرصة تغيب الوالى عن الاسكندرية لينقضوا على بروتيريوس فى ثورة عارمة وجروا جسده فى شوارع المدينة وحرقوه وذروا ترابه فى الرياح . وقد أصبح الأنبا تيموثاوس الثانى إيلورس البطريرك الوحيد كل الوقت وأصبحت مكانته قوية . وكان مقتل بروتيريوس فى بداية عهد الامبراطور ليون الأول (٤٥٧ - ٤٧٤ م) .

وإذا كانت بعض المراجع تعتبر أن رسامة البابا تيموثاوس الثانى إيلورس جاءت لاحقة على قتل بروتيريوس ، فإن بعض المراجع الأخرى توضح أن الرسامة كانت سابقة على قتل بروتيريوس . ونحن نرجح الرأى الثانى . لأن رسامة البطريرك القبطى لم تكن مرتبطة بوفاة أو بالتخلص من البطريرك الملكانى الذى لم يعترف به الأقباط أبداً ، ولا بموت الامبراطور الذى لم يكن الأقباط يعتبرون أن له الحق فى أن تتعدى سلطاته إلى النواحى الروحية ونظام الكنيسة . بل كانت رسامة البابا القبطى مرتبطة بنياحة البابا القبطى سلفه وهذا ماحدث عند نياحة البابا ديوسقورس فى المنفى ، فعندما علم الأقباط بنياحته قاموا برسامة الأنبا تيموثاوس خليفة له ، كما اتضح ذلك من قبل .

ولما علم الامبراطور ليون الأول - الذى صار بعد مركيان - برسامة البابا تيموثاوس ، وبقتل بروتيريوس ، أرسل إلى الاسكندرية جنوده فقتلوا ثلاثين ألفاً من مسيحييها بدعوى أنهم قتلوا بروتيريوس البطريرك الملكى . هكذا واجهت الامبراطور الجديد مشكلة عقاب قاتلى بروتيريوس وتعيين خلفاً له .

الفصل الثالث

ليون الأول والكنيسة القبطية

أولاً : رسامة البابا تيموثاوس الثانى ايلورس :

كانت وفاة الامبراطور مركيان فى ٢٦ يناير سنة ٤٥٧ م ، وعرف هذا الخبـــر بالاسكندرية فى منتصف فبراير من نفس العام ، وعندئذ تمكن تيموثاوس (إيلورس) – وكان منفياً فى ليبيا – من العودة إلى الاسكندرية حيث استقبله الشعب بالترحـــيب وقد تجمع بالاسكندرية فى تلك الأثناء الأساقفة الأقبـــاط ومعهم بـــطرس الأيبـــيرى أسقف غزة ، الذى كان موجوداً آنذاك فى أوكســيرنخوس ورجع منها مســرعاً إلى الاسكندرية ، وكذلك الإيغومانوس لونجينوس رئيس دير الزجاج ª«º-ªb عند الميل التاسع من الاسكندرية ، وهؤلاء كلهم كانوا قد رفضوا الانصياع لقرارات خلقيدونية ، ورفضوا قبول بروتيريوس بديلاً عن البابا ديوسقورس . فقاموا برسامة تيموثاوس (إيلورس) – وسط فرحة الشعب – بطريركاً للاسكندرية خلفاً للبابا ديوسقـــورس الذى كان قد توفى فى منفاه . وقد تمت السيامة فى ١٦ مارس ســـنة ٤٥٧ م واجتمع له الرأى ، وقد كان قبلاً راهباً وكاهناً منذ عهد القديس كيرلس الاسكندرى ، وقد حضر مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ م ، وكان يعتبر فى خط الخلافة لكل من البابـــا كيرلس والبابا ديوسقورس بصورة كاملة . وهناك برهان طفيف على أن الامبراطور الجديد ليون الأول كان أيضاً يميل إلى تأييده ، ولكن قبل أن يحدث شئ كان بروتيريوس قد عوقب وسُحـــلت جثته فى الشـــوارع وحرقـــت فى ميدان ملعب الخيل وذلك فى ٢٨ مارس سنة ٤٥٧ م .

وقد أخذ البابا تيموثاوس يطهر الكراسى (الإيبارشيات) المصرية من أشياع الطبيعتين وأعلن الحرمان على مجمع خلقيدونية وتبرأ من كل شركة أو اتحـــاد مع الكنائس التى أخذت بقـــراراته ، خاصة روما والقســـطنطينية ، وعزل الأساقـــــفة والقساوسة الذين كانت لهم علاقة مع بروتيريوس . فرفع الأربعة عشر أسقـــفاً الذين حكم عليهم بالعزل والحرمان ، رفعوا العرائض إلى الامبـــراطور وإلى بـــطريرك القسطنطينية . وكذلك أرسل البابا القبطى كتاباً مع وفد من الأساقفة والقساوســـة إلى الامبراطور ، لا تزال بقاياه إلى اليوم ولكنها بالية وممزقة لا يؤخذ منها شئ . ولذلك فجميع ما وقع للبابا تيموثاوس الثانى وما نسب إليه مأخوذ من أقوال الكتاب الذين لهم ضلع مع مجمع خلقيدونية وبروتيريوس ، وهى ليست ثقة كما هو معلوم ومفهوم .

ثانياً : موقف الامبراطور ليون من البابا تيموثاوس :

قام الأساقفة الأقباط برسامة البابا تيموثاوس الثانى (إيلورس) سنة ٤٥٧م ،مما كان سبباً فى غضب الامبراطور الجديد ليون الأول (٤٥٧-٤٧٤م) ، وزيادة الاضطهاد على الأقباط حتى لقى الكثير منهم حتفه . وقد عزم الامبراطور ليون التراكى على قهر الثائرين ، وأخذ يتحدى الأقباط كمركيان سابقه . إذ نفى الأنبا تيموثاؤس الثانى إيلورس إلى جزيرة غاغرا ، وعين دخيلاً يسمى سالوفاسيولس Salifaciolus سنة ٤٦٠م ، وهو المعروف باسم تيموثاوس الأبيض . كما نفى فى سنة ٤٧١ م ماربطرس القصار بطريرك أنطاكية .

إختار أسبار Aspar الذى ينتسب إلى اللان ويمثل العناصر الجرمانية فى القسطنطينية ، وهو الوزير الكلى السلطة – مما يدل على مدى سلطان الفرق الجرمانية ، والتى بينما كان الغرب يعانى من قتاله اليائس معها ، كان الشرق يسعى لحل مشكلة كيف يخضع تلك القبائل الجرمانية منذ منتصف القرن الخامس – إختار ليون وهو تربيون عسكرى ، مثل سلفه مركيان ، ولكن إلى مدى أكبر منه ، كإمبراطور . وكان ليون خلقيدونى ذا عقلية متزمتة ، ولكن كان أقل من سلفه فى مداجاة وتطييب خاطر أسقف روما ، وأكثر إهتماماً بكسب ولاء وحسن نية الإقليميين الشرقيين . وكان ليون الأول أول امبراطور يتسلم عرشه من يد البطريرك ، إذ قام أناطوليوس بتأدية طقوس التتويج ، مما جعل خلافة ليون سليمة ، حيث أن مركيان لم يعينه رسمياً .

وقد تميز عهد ليون بأن حزب الخضر ، وهم المؤمنون بالطبيعة الواحدة والمعارضون لخلقيدونية ، قد استردوا العطف والرعاية فى العاصمة نفسها ، إذ كان ثيؤدوسيوس الثانى وخريسافيوس حماة غيورين لهم ، أما مركيان فقد حامى عن الزرق وهو حزب المؤمنين بالطبيعتين والموافقين لخلقيدونية .

كان الزرق والخضر فى العاصمة يعيشون فى أحياء مختلفة ويمثلون طبقات مختلفة من المجتمع ، فالزرق كانوا الطبقات الرسمية والمالكة ، أما الخضر فكانوا الصناع وعمال الموانى والفلاحين . وتحت حكم الامبراطور ليون صار الميزان فى صف الخضر وأول أزمة كبرى فى عهده بينت إنتقالاً طفيفاً لكنه ظاهراً للسياسة فى صف المصالح الرومانية الشرقية الخالصة . فالمسائل التى واجهت الامبراطور الجديد كانت تتضمن تحقيق التوازن الدقيق للقوى الدينية والسياسية النشيطة العاملة فى العاصمة والأقاليم .

كان آخر شئ يريده أسبار هو بطريرك قوى جداً فى العاصمة يسـانده ويؤيده شعب قوى فى عقيدته وربما يكون أسبار قد شعر بأن مركزه مهدد ، وبروز الأنبـا تيموثاوس الثانى (إيلورس) كان يناسبه جداً وقد عارض أسبـار معاقبـة قـاتلى بروتيريوس فى الاسكندرية وكذلك معاقبة الأنبا تيموثاوس نفســه . وكان غيوراً من امتيازات أناطوليوس ، كما تضايق من محاولات لاون أسقف روما المستمرة للتدخل فى الشئون الكنسية فى العاصمة . لذلك كان مستعداً أن يتحدث مع البابا تيموثاوس . ولكن حريته فى المناورات تقيدت برفض هذا الأخير الذى نقل عن طريق بعثته التى وصلت العاصمة فى صيف سنة ٤٥٧ م أن يقبل قـوانين المجمع المسـكونى الثانى الخاصة بالمركز الكنسى للقسـطنطينية على أنها روما الجديدة . وربـما كان لدى الامبراطور بعض الشكوك فى حكمة سياسة سلفه نحو الاسـكندرية فلم يكن البابـا تيموثاوس بدون أصدقاء فى القصر . وفى أول يونية كان الامبـراطور قـد سـمع إشاعات عن اضطرابات فى الاسكندرية ، ولكنه لم يربط البابا تيموثاوس بها . فقـط بعد ذلك بحوالى شهر ، حتى إن رعب وفاة بـروتيريوس أصبـح معروفاً تماماً له . وعند ذلك الوقت فإن بـعثة البابـا تيموثاوس كانت تتعارك مع بـعثة خصومه فى العاصمة على مسمع من الامبرطور . وكان الامبراطور نفسه يفكر فيما إذا كان يقبل طلب الأنبا تيموثاوس الاسكندرى ويقلد سلفه باستدعاء مجمع عام جديد أم لا . فقـد أرسل البابا الاسكندرى إلى الامبراطور يطلب عقد مجمع جديد .

بينما أرسل البابا الاسكندرى وفداً إلى الامبراطور ليون الأول برسالة يطلب من الامبراطور عقد مجمع جديد وإبـطال مجمع خلقـيدونية ، ويبـين أن الإيمان الاسكندرى مبنى على المجامع المقدسة المسكونية السابقة على خلقيدونية ، أرسـل الخلقيدونيون بالاسكندرية وفداً برسالة يخبر الامبراطور بما حـدث لبـروتيريوس ويطلب الانتقام من الأنبا تيموثاوس الثانى (إيلورس) الاسكندرى ونفيه ويتمسكون بخلقيدونية ، ويعارضون عقد مجمع لأجل الإيمان حسبـما طلب البابـا تيموثاوس الاسكندرى . بل يطلبون عقد المجمع للحكم على البابـا تيموثاوس . وتفيد الرسـالة رجوح كفة البابا الاسكندرى وشعبه وضعف الخلقيدونيين فى مصر .

وقد طلب الخلقيدونيون من الامبراطور فى رسالتهم أن يرسل أوامره فى ذلك إلى ديوناسيوس الوالى " وإذا أرسلتم أمركم الشريف فأرسله إلى ديوناسيوس المدبر وإلى جميع قضاة البلدة لكى يصير أمركم نافذاً ، ويصير لنا ما نطلب..." وقد وقـع على هذه الرسالة أربعة عشر أسقفاً وخمسة قساوسة وشماسان . فارتبك الامبراطور

من كثرة الدعاوى والمشاكل التى رفعت إليه من بطاركة الاسكندرية وروما والقسطنطينية ، واختبل باله من المسائل التى عرضتها عليه.جماعة قوية الشوكة ظهرت فى القسطنطينية لمقاومة أعمال المجمع الخلقيدونى ونسخ قراراته ، فلم يكن له مناص إلا بطلب جميع الأساقفة فى المملكة بأسرها لعقد مجمع عام والإقرار عما إذا كانت أحكام مجمع خلقيدونية صحيحة يجب العمل بها أم لا فترفض ، وعما إذا كان انتخاب البابا تيموثاوس قانونياً أم لا .

أما لاون أسقف روما فقد استمر فى نشاطه المحموم إذ أرسل فى يوم واحد (الأول من سبتمبر سنة٤٥٧م) ستة خطابات (الخطابات١٤٨– ١٥٣) ، ومن المحتمل أنه ساهم بذلك فى منع خطة عقد المجمع الجديد فبدلاً من ذلك تعهد الامبراطور وبطريرك القسطنطينية مبادرة جديدة ، وقرر الامبراطور تأييد مراسيم سلفه فى صف مجمع خلقيدونية . ولكن لم يكن هناك تحرك مباشر وسريع لاسترداد الموقف فى الاسكندرية . وأرسل خطاب امبراطورى كنشرة دورية إلى أسقف روما وإلى ٦٥ من المطارنة فى الشرق وأيضاً إلى رهبان سريان مشهورين ، وهؤلاء جميعاً كان يستشير هم ثيؤدوسيوس الثانى ومركيان .

كانت الخطوة التالية من جانب الامبراطور بعد وصول وفدى الاسكندرية إلى القسطنطينية ، أنه طلب من أساقفة الامبراطورية أن يعطوه رأيهم بشأن المجمع الخلقيدونى وبطريركية البابا تيموثاوس الاسكندرى . وقد أرسل الامبراطور رسالة إلى أناطوليوس أسقف القسطنطينية يوضح فيها ما حدث من الوفدين المتضادين فى الاسكندرية ويرسل له نص رسالة كل منهما . وأن وفد البابا تيموثاوس الاسكندرى قد طلب منه أن يأمر بإبطال المجمع الخلقيدونى ، وأن بعض الناس من مدينة القسطنطينية " قد كتبوا إلىّ فى شأن هذا الأمر " . وقد طلب الامبراطور فى الرسالة من أسقف القسطنطينية أن يعقد مجمعاً من أساقفته للنظر فى شأن خلقيدونية والبابا تيموثاوس الاسكندرى ويطلب منه الحضور ليرد الجواب كما أخبره أنه قد طلب من المطارنة فى العالم هذا الأمر بعقد مجامع محلية من أساقفتهم للنظر فى أمر خلقيدونية وتيموثاوس .

أبلغ الامبراطور فى رسالته المطارنة بأنه كان هناك " هياج كبير وفوضى واضطرابات " فى الاسكندرية ، ليس فيما يخص إغتيال بروتيريوس فقط ، بل أيضاً أن الامبراطور كان قد تلقى إلتماسات متنافسة مع وضد الأنبا تيموثاوس

الاسكندرى . وطلب الامبراطور من المطارنة فى رسالته أن يستشـيروا المجالس الإقليمية التى يجب عقـدها فى الحـال وتصل إلى رأى واضح عما يعتقـدونه عن خلقيدونية وبطريركيـــة الأنبا تيمـــوثاوس الثانى (إيلورس) ، ويعزى أحد المؤرخين فكـــرة " الاستفتاء العام " هذه إلى أناطوليوس الذى وجد أن هذا أوضح حل ليواجه مبعوثى البابا الاسكندرى ، والمطالب المتزايدة من روما ، وخوفاً من أن المجمع الجديد ربما ينتهى بإنقاص إمتيازات كرسـيه . وهو حـل يثبـت سـلطة القسطنطينية ضد روما والاسكندرية معاً ، بالإضافة إلى أن هذا الحل كان محبوبـاً ومقبولاً من بعض الأساقفة ، فأحدهم وهو سيليسوكوس أسقف أماسـيا Amasea فى بنتوس الشرقية ، عبر عن معارضته لمجمع عام آخر على أساس أن الأساقـفة كانوا قد اضطروا لبيع أوانى الكنيسة لدفع مصاريف سفرهم وفى رأس السنة ، سنة٤٥٨ م ، بدأت تصل نتائج إستشارة المجالس مبررة تدابـير الامبـراطور وبـطريركه ، وباستثناء وحيد لمجمع بامفيليا الذى يرأسه المطران أمفيلوكيوس أسقف صيدا ، قرر الأساقفة أن يكونوا فى صف خلقيدونية وضد البابا تيموثاوس ، وحاولوا إثبات أهمية خلقيدونية على الأقل كمجلس نظامى .

ويقول النقيوسي : إنه لما كان الأساقفة يخشون بأس الامبراطور تهربـوا فى تعبيراتهم ولم يجسـروا على ذكر شـئ له عن المجمع المذكور ، ولم يجسـر على التعبير عن رأيه وشعوره إلا أسقفان فقط الواحد يدعى أسـطاطيوس من بـيروت ، وكان رجلاً مملوءً حكمة وخبرة ملماً بالكتب المقدسة ، وقد أعلن الامبراطور بـأنه خوفاً من سـطوة مركيان حـرف الأساقـفة المجتمعون فى خلقـــيدونية الأمانة وأزعجـــوا العالم وكل البيعة . والثانى هو الأسقف أمفيلوكيوس من سيدون ، وقد أجابه بالمثل . أما الأساقفة الآخرون الذين من رعاياه فقد امتنعوا عن التكلم بوضوح أمام الامبراطور ليون عن جبروت وظلم الامبراطور مركيان ، وخشوا أن يقولوا له أن ما حصل فى خلقيدونية كان خوفاً من السلطة الامبراطورية ورجال الحكم .

بينما أمر الامبراطور بالبحث عن قتلة بروتيريوس الحقيقـيين ، كان لا يزال يمسك يده بخصوص الأنبا تيموثاوس . فقد رأى أنه من حسن السياسة وسداد الرأى أن يترك المصريين وشأنهم ولا يتداخل فى أمرهم عسى بذلك يهدأون ويسـكتون . وكاد يصدق ظنه وتكف المناقشات وتنقطع وسائل الخصام لولا لاون أسقـف روما الذى تمادى فى غيه وأخذ يدبر الدسائس والمكائد ضد البابا تيموثاوس الاسكندرى ، بأن أرسل رسالة إلى الامبراطور ليون يرد فيها على رسالته معتذراً عن الحـضور

متمسكاً بمجمع خلقيدونية ويطلب منه طرد البابا الاسكندرى . والرسالة مليئة بالاتهامات والشتائم الموجهة ضد الأنبا تيموثاوس ، والمدح للمجمع الخلقيدونى وكرسى روما . وقال له فيها : " وكذلك ينبغى عليك ألا تبقى فى الكرسى الاسكندرى ذلك المنافق المهرطق " . وظل وراء الامبراطور حتى أقنعه بأن يرسل فى سنة ٤٦٠ م الأوامر المشددة إلى قائد الجنود فى الاسكندرية بنفى البابا تيموثاوس الاسكندرى وإقامة بطريرك خلقيدونى . وقد أغرى لاون أسقف روما الامبراطور وشجعه على عدم التراجع فى أمر نفى الأنبا تيموثاوس ، فنفاه إلى غنغرة Gangra (غاغرا) . مكان نفى البابا ديوسقورس على البحر الأسود . وحتى عندئذ لم تتوقف المفاوضات معه ، ولكنه أثبت صلابته ، وبعد ذلك بأربعة أعوام نقل إلى مكان أبعد إلى تشيرسون Cherson فى الكريميا The Crimea .

وكان نفى الامبراطور للبابا تيموثاوس إيلورس هو بمثابة تحد للأقباط الذين إختاروه كما كان للاون أسقف روما دور كبير – عن طريق الدسائس وتحريض الامبراطور – فى نفى البابا القبطى وتنصيب بطريرك خلقيدونى جديد خلفاً لبروتيريوس . وفى منفاه كرس البابا تيموثاوس نفسه إلى تأليف دحض (تفنيد) العقيدة التى وضعت فى مجمع خلقيدونية . وهو عمل ظهر إلى الضوء مؤخراً فقط سنة ١٩٠٨م فى ترجمة أرمينية . وقد نفى مع البابا القبطى أخوه أناطوليوس . وكانت جملة النفى الذى استمر فيه البابا تيموثاوس سبع سنوات ، إلى أن مات الامبرادلور ليون الأول فرجع البطريرك الاسكندرى إلى كرسيه .

وقد شهد المؤرخ يوحنا النقيوسى عن البابا تيموثاوس الثانى إيلورس بقوله : إنه عاش عيشة صالحة ، بينما كان راهباً فى دير القلمون بمديرية الفيوم إلى أن تعين قساً بكنيسة الاسكندرية ثم خلف البابا ديوسقورس بعد نياحته . وهو مثال التقوى والدين . ومع أن الأنبا تيموثاوس قاسى التشريد والنفى من الملكيين ، إلا أنه تمسك بالعقيدة ومعه الشعب القبطى ، حتى اضطر الملكيون إلى مهادنة الأقباط . وكان بطريركهم الخلقيدونى الجديد الذى دعوه باسم تيموثاوس أيضاً ، وسمى فى التاريخ تيموثاوس ذو القلنسوة البيضاء ، كان أول المسالمين إذ ذهب إلى ديره بمجرد عودة البابا القبطى القلمونى من منفاه .

أعطى نفى البابا تيموثاوس إيلورس فرصة للمعارضة ، فقد كان من الواضح أن هناك بعض الأتباع لبروتيريوس ، وخاصة فى أوساط الطبقات الغنية والرهبان

الباخوميين فى كانوبـــاس Canopus . واحـــد من هؤلاء الرهبـــان ، وهو تيموثاوس المشهور باسم " سالوفاسيولس " أو صاحب العمامة البيضاء ، ســيم بــطريركاً فى ربيع سنة ٤٦٠م . وكان هادئاً طيب الخلق ، ذا شخصية تصالحية ، إذ إســترد اســم البابا ديوسقورس إلى القداس (الذبــتيخا Diptychs) ، بــالرغم من اعتراض لاون أسقف روما . وقد حير إتجاهه المتسامح مؤيديه وخصومه على الســواء . ولكن مع كل جهوده فإن جماهير المصريين إعتبروه دخيلاً وتمسكوا ببابــاهم المنفى الأنبــا تيموثاوس الثانى (إيلورس) . وربما قالوا لتيموثاوس سالوفاسيولس : " إننا نحبــك كثيراً ، ولكن ليس على أنك أسقفنا " .

عرف تيموثاوس باسم سورس أو سالوفاسيولس ، وقد شغل بطريركيته حتى سنة ٤٧٥ م عندما خلع باسيليسكوس زينون وطرده ، إذ أن باسيليسكوس أعاد البابــا تيموثاوس الثانى (إيلورس) القبطى إلى الاسكندرية . وعندئذ هرب تــيموثــاوس سالوفاسيولس إلى وادى هبيب أو إلى كانوباس حيث إعتزل هناك .

على أن تيموثاوس سالوفاسيولس الخلقيدونى ، لما شعر بدنو أجله ، أرسل "يوحنا تاليا (أو طلايا) " ، أحــد كهنته ، إلى القسطنطينية ليسام بطريركاً مكانه ، حتى إنتقده الكاثوليك فى ذلك ، وقالوا: " كان فعله هذا غلطاً منه ، لأنه به كـــــان ينتـــــقص من استقلال كنيســــــة الاسكندرية " . ولكنهم بذلك يخلطون بين كنيسة الاسكندرية القبطية ذات الكرسى الأصلى ، بباباواتها خلفاء القديس مرقس الرسول ، وبين الكنيسة الملكية الدخيلـــة الناشئة بعد خلقيدونية ، ببطاركتها الخلقيدونيين الذين كانوا يسامون فى القسطنطينية أو بمعرفتها .

الباب الرابع

العلاقات فى عهد التوفيق

(٤٧٥-٥١٨م)

الفصل الأول : باسيليسكوس وعهده .

الفصل الثانى: صيغة التوفيق(الهينوتيكون)

والفترة الثانية من حكم زينون .

الفصل الثالث: إستمرار الوفاق فى عهد أنسطاسيوس

وباباوات الاسكندرية الأربعة المتعاقبين

(٤٩١ ـ ٥١٨م) .

الفصل الأول

الامبراطور باسيليسكوس وعهده

توفى الامبراطور ليون الأول سنة ٤٧٤م ، ثم مات ولى عهده ابن ابـنته ليون الثانى ، وهو ابن زينون الذى تسلم الملك بعد ابنه . ولكن تغلب عليه باسيليسكوس سنة ٤٧٥ م أو سنة٤٧٦ م ، وتولى السلطة فى مكانه إلى سنة٤٧٧م . وبحال ارتقاء باسيليسكوس أعاد مار بطرس القصار بطريرك أنطاكية ، والبابا تيموثاوس الثانى (إيلورس) الاسكندرى ، إلى مقرى رياستهما . وبـرأيهما أصدر منشوراً ضد المجمع الخلقيدونى ورسالة لاون أسقف روما . وجعل عقيدة الطبيعة الواحدة الديانة الأولى فى المملكة عموماً .

والكثير من مؤرخى الغرب يهملون فترة حكم باسيليسكوس هذا ، لأنها لم تكن فى صف العقيدة الخلقيدونية رغم قصرها .

١ – الصراع على العرش ووصول باسيليسكوس إلى الحكم :

وباسيليسكوس أوفاسيليسكوس هو أخو الامبراطورة فيرينا زوجة الامبراطور ليون الأول ، وكان يطمع فى الملك إذ لم يكن للملك ليون الأول ابـناً ، ولكن كانت له ابنة تسمى أريادن Ariadne زوجها بزينون الأيسورى سنة ٤٦٨ م ، الذى كان بصره هو أيضاً يطمح إلى الملك . إذ كان بزواجه من أريادن فى مستوى الأحقـية فى أن يخلف أباها ليون الأول على العرش . وعلى ذلك تزاحم باسيليسكوس على الحكم مع زينون صهر ليون الأول (زوج ابنته) ، وذلك بعد وفاة ليون الأول ثم ولى عهده .

كان مريدو الملك فى امبـراطورية ليون الأول ثلاثة هم : باسيليسكوس وزينون وأسبار الذى لم ينفك ملحاً على الملك بـإنجاز وعده فى ترقـيته إلى منصة المُلك . وكان لكل منهم مريدون ومشايعون ، وعمد كل منهم إلى الخيانة والغدر .

وقد أعد الامبراطور ليون الأول أسطولاً كبيراً ليحمل على جنساريك ملك الوندال الذى كان قد استحوذ على المغرب ، وأزمع أن يلحق به المشرق . وأمّر على الأسطول باسيليسكوس أخا الملكة وأمره أن يضرب جنساريك فى أفريقية . فخشى أسبار وبنوه أن يعتز الملك بامتلاكه أفريقيا فينفيهم من مملكته ، وكانوا يتوددون إلى جنساريك ، لأنه كان أريوسـياً مثلهم ، فزينوا لباسيليسكوس بـأنهم يعاونوه على

إرتقائه إلى العرش إذا لم تنجح حملته على أفريقيا ، فتقاعد باسيليسكوس عن إصلاء نار الحرب ، وطلب جنساريك إليه أن يهادنه خمسة أيام ليقرر معه شـرائط الصلح فأجابه إلى سؤاله . ولكن جنساريك تمكن من إحراق الكثير من سـفن ليون ، وقـفل باسيليسكوس إلى القسطنطينية وخشى سخط الملك فلجأ إلى كنيسة القديسة صوفيا ، ولكن شفعت به أخته فرضى الملك عنه . وقد نصب الملك صهره زينون قائداً لجيش المشرق سنة ٤٦٩م وأرسله إلى تراسة لكبت بعض المعتدين وحسده أسبـار وهيج الجنود عليه فتآمروا على قتله ففر إلى سرديكا . وعلم الملك أن أسبار ينشـئ هذه المكائد فأراد أن يسترضيه بإقامة أحد أبنائه قيصراً ، وآثر بطريسيوس أحـدهم على أخويه وعهد إليه بـهذا المنصب ، وخطب له إبـنته الثانية لاونية . فهاج أهل القسطنطينية وصرحت الملكة للملك باستيائها ، وأهان الشعب بطريسيوس . وأقبـل البطريرك والكهنة والرهبان وجم غفير من الأهلين إلى القصر يصيحون إلى الملك أن ينصب قيصراً صحيح العقيدة لا أريوسياً . فأبان الملك لهم أن بطريسيوس تراجع عن ضلاله وأنه سيبين للجمهور صحة عقيدته فاطمأنوا إلى كلامه .

وكان أسبار وبنوه قـد فروا إلى خلقـيدونية عندما رأوا هذا الهياج ، فمضى البـطريرك يأمنهم ليعودوا فأبـوا إلا أن يأتى الملك بنفسـه فيرجعهم آمنين . فأتى وصحبوه إلى قصره وأكرم مثواهم وظن الراحة إستتبت ، لكن أسبار العاتى حسـب عفو الملك عنه إهانة حديثة له ، فلم يبرح عاتياً . فضاق الامبراطور به واسـتدعاه وبنيه إليه واغتاله وابنه ، أردابـور أحـد الخصيان ، وطرح بطريسـيوس مثخناً بجراحه ، الذى لم يظهر إلا فى عهد الملك أنسطاسيوس ، وفر هرمنار ابـن أسبـار الثالث إلى أيسوريا ، واستراح الملك من شر أسبار وبنيه سنة ٤٧١م .

وقد رزق الملك ليون ابناً لكنه مات حـدثاً ، فهم أن يقـيم زينون الأيسـورى صهره خلفاً له . فهاج شعب القسطنطينية لكراهية الناس له وعدم شعبيته ، ولمقـتهم كل أيسورى ، وقتلوا كثيرين من الأيسوريين . فامتنع الملك عن إقامة زينون وأقـام فى ١٨ نوفمبر سنة ٤٧٣م ابنه المسمى ليون حفيد الملك (ابن إبـنته) قـيصراً ، ثم نصبه أوغسطساً ، ولم يكن له من العمر إلا خمس سنوات . فرضى الشـعب عن هذا الأمير رعاية لجده الملك لا لأبيه زينون . إلا أن الملك ليون الأول لم يعش بـعد ذلك إلا قليلاً لأن المنية أدركته بعد ثلاثة شهور ، أى فى شهر كانون الثانى سـنة ٤٧٤م وعمره ٦٣ سنة ، وقد كان خلقيدونياً .

وبعد دفنه أخذ ليون الصغير أمه وجدته إلى إحدى ساحات المدينة وأجلستاه بحضرة الشعب على العرش ، وتقدم أبوه زينون إليه على سبيل التهنئة له ، فوضع له التاج على رأسه وأعلن أنه شريكه فى الملك كما لقنته جدته . إلا أن ليون الصغير لم يعش بعد تمليكه إلا نحو تسعة أشهر ، وظن كثيرون أن أباه دس له سما فقضى فى شهر تشرين الثانى سنة ٤٧٤م ، وأصبح زينون امبراطوراً منفرداً . ولم يكن زينون محبوباً ، ولم يكن ذا شعبية لأنه أيسورى . وكان العام الأول من الحكم مملوءاً قلاقل . وإذا كان الامبراطور قد استطاع أن يتفاهم مع الأعداء الأجانب سواء بالمفاوضات أو عن طريق السلاح ، لكن مركزه أصبح فى وسط بلاط معاد وأيضاً شعب معاد غير ثابت .

فقد كان الامبراطور على عقيدة الطبيعة الواحدة ويؤيد المؤمنين بها ، وقيل عنه أنه أثقل مسوديه بالخراج والضرائب . وقد تشكلت مؤامرة هائلة ضد زينون وكانت حماته الأوغسطا فيرينا هى التى بها روح القيادة . فرغم أنها كانت قد شاركت فى ترقيته إلى منصة الملك إلا أنها لم تكن تحبه . ولكونها سيدة ذات طاقة وطموح فقد وجدت أنه من البغيض أن تبقى فى المؤخرة فى ظل ابنتها الأوغسطا أريادن .

كانت خطة فيرينا هى أن ترتفع إلى العرش وتتزوج عشيقها " باترشياس " الذى كان يشغل منصب رئيس المكاتب سابقاً . واستغلت تعاون أخيها باسيليسكوس الذى كان يعيش فى حالة تقاعد . ولما تم عقد الائتمار على خلع زينون بعد أن نجح باسيليسكوس فى إغواء الأخوين إلياس وثروكندس – المستشارين الأيسوريين القريبين لزينون – بترك ولائهما لزينون ، وبعد أن تمت كل الاستعدادات . قامت الأم الملكة فيرينا بمهارة فائقة بإقناع زينون بأن حياته فى خطر ، وأن هروبه هو الطريق الوحيد للنجاة . وبعدما أخذ معه بعض الأيسوريين وزود نفسه بالمال ، إنهزم إلى خلقيدونية فى ٩ يناير سنة٤٧٥م ومنها هرب، إلى أيسوريا . ولقد كان الذين اصطحبوه محظوظين ، لأنه عندما أكتشف هروب الامبراطور إنهمك الجمهور فى كراهيتهم المتأصلة للأيسوريين ، فى مذبحة هائلة ، قتلوا فيها جماً غفيراً منهم .

وكانت فيرينا تأمل أن تحكم كسيدة للقصر ، ولكن خدعها أخوها الذى كان طموحاً بالأرجوان . ولم يقع إختيار الوزراء والشيوخ على باترشياس بل على باسيليسكوس الذى نادوا به وتوجوه امبراطوراً . وعلى الفور قام بتتويج زوجته " زينونيس " أوغسطاً وأنعم برتبة قيصر على ابنه الشاب " ماركوس " ، الذى توج

فيما بعد أوغسطسا . وظروف ترقيته أدت إلى شرخ مع فيرينا بطريقة طبيعية . ولكن لأن لديه أسباباً معقولة فى أن يخاف من مقدرتها على تدبير المكائد ، إحتاط لنفسه عندما قتل " باترشياس " وآلت فيرينا أن تثأر بدمه وتهلك أخاها وتعيد زينون إلى الملك . ولقد حكم باسيليسكوس قرابة عشرين شهراً بين سنتى ٤٧٥ ، ٤٧٦م . إذ تولى الملك فى الفترة من يناير سنة ٤٧٥م حتى نهاية أغسطس سنة ٤٧٦م .

٢- عودة البابا تيموثاوس الثانى إيلورس من منفاه :

أعلن باسيليسكوس تأييده للمؤمنين بالطبيعة الواحدة ومعارضته لمجمع خلقيدونية وقرارات لاون أسقف روما .

ذلك أن ثورة القصر الجديد التى وضعت باسيليسكوس على العرش كان لها إنعكاسات عميقة على الحياة الدينية للامبراطورية . فالرهبان الاسكندريون كانوا قد تصرفوا فعلاً وقبلاً حسب أخبار إعتلاء زينون ، ووفد مشحون بالتشهير بخلقيدونية وصل إلى القسطنطينية ليجد أن زينون كان قد هرب وأن باسيليسكوس أصبح امبراطوراً . ولكن لماذا قدم باسيليسكوس هذا التأييد القلبى المخلص لهم ؟ البعض يعتبر أن السبب فى ذلك هو تقوية مركزه بالاستعانة بأصحاب الطبيعة الواحدة الكثيرى العدد فى ذلك الوقت . بينما يرجع المؤرخون من المؤمنين بالطبيعة الواحدة أن الدافع فى ذلك كان " الرغبة فى إرضاء الاسكندريين " ، وأن أحد أعضاء الوفد الإسكندرى كان شقيق أحد وزرائه أو كهنته وهو Magister officioruan الذى تمكن من إقناع واستمالة باسيليسكوس أن يعلق آماله على المعارضين للخلقيدونية كلية وتماماً . كما أن تأثير زوجته زينونيس ، كان عاملاً قوياً ، فقد كانت تؤمن بالطبيعة الواحدة وتمكنت من التأثير عليه فى هذا الاتجاه .

طلب الوفد القبطى من الامبراطور باسيليسكوس إعادة البابا تيموثاوس الثانى (إيلورس) من منفاه ، فوافق على ذلك وأجاب طلبهم . إذ أمر بالبحث عنه فى المكان الذى نفاه فيه ليون الأول ، واستدعاه إليه . وعند وصوله إلى القسطنطينية قوبل بالحفاوة والإكرام اللائقين برتبته الكهنوتية ، كما احتفى المجلس والشعب باستقباله استقبالاً عظيماً .

وهكذا بعد سبعة عشر عاماً من النفى إستدعى الأنبا تيموثاوس إيلورس من تشيرسون Cherson . وقد استعرض البحارة الاسكندريون باباهم خلال شواع

القسطنطينية راكباً على (حمار) ، نحو " الكنيسة الكبرى " (فيما بعد سانتا صوفيا) وخرج باسيليسكوس ليحييه وكذلك فعل شعب العاصمة . وفي تلك الأثناء رجا هذا البابا الاسكندرى الجليل من الامبراطور باسيليسكوس أن يعمل على توطيد السلام في الكنيسة ويعيد الأساقفه المنفيين إلى كراسيهم ، لكي يحس الأرثوذكسيون بالاستقرار النفسي . واستقدم الامبراطور أيضاً بطرس القصار من ديره الذي كان منفياً به منذ ثماني سنوات ، حيث عاد إلى بطريركيته بأنطاكية . وقد حثا الإثنان : البابا الاسكندرى والبطريرك الأنطاكي ، الامبراطور على إبراز منشور يأمر به الأساقفة والكهنة والرهبان أن يحرموا لاون أسقف روما والمجمع الخلقيدوني .

٣- مجمع أفسس (الثالث) سنة ٤٧٦ م :

أصغى الامبراطور باسيليسكوس لأقوال الرهبان في مصر وآسيا ، فأعاد البابا تيموثاوس إلى سدة الاسكندرية ، وبطرس القصار إلى رئاسة أنطاكية . ثم أصدر برأيهما منشوره الشهير ، وأكده خمس مائة أسقف على تأييده ، فأصبح القول بالطبيعة الواحدة قول الدولة والقول بالمجمع الخلقيدوني وطومس لاون قولاً منبوذاً . فقد اقتنع الامبراطور بوجهة نظر البابا الاسكندرى فدعا إلى عقد مجمع ، وقد تم ذلك في مدينة أفسس حيث حضره ما بين خمسمائة أو ستمائة أسقف ، ورأس المجمع البابا تيموثاوس وساعده في ذلك مار بطرس القصار أسقف أنطاكية .

أعمال المجمع :

حكم هذا المجمع برفض أعمال مجمع خلقيدونية وطومس لاون ، وأيد الاعتراف بالطبيعة الواحدة ، ورشق بالحروم نسطوريوس وأوطاخي ، وأعاد العقيدة الأولى إلى الكنيسة . وقد وافق المجمع على إقتراح الأنبا تيموثاوس الثاني بإرسال خطاب دورى إلى جميع الأساقفة ، فرفع تقرير بذلك إلى الملك فقبله وأصدر منشوراً بذلك موجباً التمسك به دون غيره . وكان المنشور من وضع البابا الاسكندرى ، ووزع بواسطة رجال الامبراطور باسيليسكوس . فكان ذلك دليلاً واضحاً على براءة الكنيسة القبطية ومن تابعها ، من البدعة الأوطاخية .

أما نص المنشور فهو : "لما كنا نرغب في تثبيت القوانين التي وضعها سلفاؤنا رغبة منهم في وحدة الكنيسة ، ولما كنا نبغى المحافظة على قوانين مجامع نيقية والقسطنطينية وأفسس (المسكونية الثلاثة) . فإننا نطلب إلى جميع الأساقفة أن

يحرموا ويرموا فى النار طومس لاون وكل ما جرى فى مجمع خلقيدونية من تجديد إيمان وتفسير ومناقشة . لأن هذه جميعها ليست سوى إبـتداع فى الدين ، وإننا فوق هذا نحكم بإدانة كل من لا يعترف بأن الابن قد تأنس حقاً ، وكل من يشـايع أوطاخى فى بدعته القائلة بأن جسد المسيح هو جسد خيالى نزل من السماء . كما نحكم بـإدانة من يقولون مع أبوليناريوس (أسقف اللاذقية) بأن تجسد المسيح لم يكن غير تجسـد ظاهرى . و يجب على جميع الأساقفة أن يوقعوا على هذه الرسالة كما يوقعوا حرماً علانية على كل ما جرى فى خلقيدونية . وكل من تشيع فى مستقبل الأيام لهذا المجمع فإنه سيلقى أشد العقاب بوصفه مكدراً صفو الكنيسة وعدواً لله وللامبـراطور : فإن كان من الأساقفة يعزل وإن كان من الرهبان أو العلمانيين ينفى وتصادر أمواله " .

ويُذكر أن عدد الذين وقعوا هذا المرسوم الملكى كان سبعمائة أسقف يتقـدمهم بطاركة أنطاكية والاسكندرية وأورشليم . أما أكاكيوس بطريرك القسطنطينية فكان فى رأيين : من ناحـية ككاهن لأناطوليوس (سـلفه) ، كان يكره تعاليم الطومس وخلقيدونية ، ويتعاطف مع نظرة الأنبا تيموثاوس الثانى (إيلورس) . ومن الناحـية الأخرى كان مصمماً كأسلافه بأن يتمسك بحقوق كرسيه ضد جميع القادمين...

فى هذا الموقف حمل الامبراطور على التسليم أو الإذعان فى الرسـالة فى ٩ أبريل سنة ٤٧٥ م ، بمنشور عام مهم موجه إلى جميع المدن والناس فى جميع أنحاء الامبراطورية ، والمنشور العام بنى نفسـه على لاهوتيات الأنبـا كيرلس والأنبـا ديوسقوروس ، بينما يقرع النسطورية والأوطاخية منصفاً بلا تحيز .

وهكذا فإن المنشور على هذا المنوال أو الشـكل لم يكن موجهاً ضد كرسـى روما ، ومن الناحية الأخرى كان المنشور غامضاً عن حقوق العاصمة . فقـوانين القسطنطينية العقائدية تأيدت بالفعل ، وبنوع قطعى بات ، تلك المتصلة بعقيدة الروح القدس ، ولكن القانون التنظيمى (القانون رقـم ٣) ، الذى ينظم روما الجديدة على أنها كرسى ، مروا عليه مرور الكرام فى سكون .

لقد تمادى باسيليسكوس إلى أبعد من أى أمبـراطور أخر ، ليس فى إشـهار ونشر العقيدة فحسب ، ولكنه يقرر أو يحسم فيما بين مجمعين متنافسين ، أيهما يجب أن يعتبر أرثوذكسياً . وهو بـذلك قـد مهد الطريق لما عمله زينون فى الهينوتيكون Hinotikon .

نتائج المجمع و المنشور ومدى قبوله :

جاء المنشور في صف عقيدة الطبيعة الواحدة وألغى العقيدة الخلقدونية وكان أساساً لصلح دام عدة سنوات بين كنائس أورشليم و القسطنطينية وأنطاكية والاسكندرية .

نبذ أكاكيوس البطريرك القسطنطيني منشور باسيليسكوس وغشى المذبح وعرشه الأسقفى بستائر الحداد ، وأقام وكهنته وشعبه الحجة على المنشور وكتبوا إلى أسقف روما سمبليكيوس ينبئونه بما كان ، فكتب سنة ٤٧٦ م أربع رسائل إلى الملك والبطريرك وكهنة القسطنطينية ورؤساء أديارها ، يذكر الملك بما كان عليه مركيان وليون سالفيه ويشدد البطريرك والإكليريكيين في المناضلة عن عقيدة خلقيدونية والمناصبة للأنبا تيموثاوس الثانى إيلورس وبطرس القصار . واستمر الملك مصراً ، وبعد قبول أكاكيوس ، الذى رفض التوقيع على المنشور ، للبابا تيموثاوس الاسكندرى كضيف في مدينته ، أغلق الكنائس دونه ، بينما منع الرهبان الموالين للخلقيدونية دخوله " الكنيسة الكبرى " . ومن الناحية الأخرى فقد بين البابا تيموثاوس رأيه بأن " ناسوت السيد المسيح كان مماثلاً لناسوتنا " ، مما كان رداً على البدعة الأوطاخية .

ثم رحل البابا الاسكندرى إلى أفسس حيث كان ينتظره إنتصار أكبر إذ عقد مجمعاً من ستمائة أسقف جحد خلقيدونية على أنها قلبت العالم رأساً على عقب ، وأستردت أفسس الكرامة البطريركية . كما حكم المجمع على أكاكيوس بالعزل ، ولكن هذا الحكم لم ينفذ . ويحدد البعض هذا المجمع بسنة ٤٧٦م بينما يحدده آخرون بسنة ٤٧٧ م . وقد عاد البابا تيموثاوس إيلورس إلى الاسكندرية منتصراً ، بينما إعتزل منافسه في ديره . وصدرت الأوامر إلى جميع الأقاليم والأسقفيات بحرم وطرد كل من يعلم بعقيدة خلقيدونية في نواحي الامبراطورية .

برجوع البابا تيموثاوس الثانى إيلورس إلى كرسيه ، بادر تيموثاوس سورس (سالوفا سيولس) بالإنسحاب بكل هدوء إلى ديره في كانوباس ، من تلقاء نفسه ، وكان إنسحابه إعترافاً بشرعية البابا تيموثاوس الثانى ، الذى تمكن بموافقة الامبراطور باسيليسكوس من إحضار رفات الأنبا ديوسقورس معه عند عودته إلى الأسكندرية ، مما كان رادعاً للملكيين .

في خريف سنة ٤٧٥م طلب أكاكيوس من روما مساعدته ، مستخدماً قادة الأديرة بالعاصمة لهذا الغرض... وهكذا دخلت روما ثانية مسرح الأحداث الشرقى بعد مرور أكثر من خمسة عشر عاماً ، ولم تكن لتتركه ثانية بسرعة . ففى ١٠ يناير سنة ٤٧٦ م ، أجاب سمبليكيوس أسقف روما مادحاً ثبات أكاكيوس فى الأزمة ، وأدان الأنبا تيموثاوس كما كان لاون قد فعل قبله ، وحرض أكاكيوس على أن لا يسمح باستدعاء مجمع عام جديد . وبهذا أحبط هدف البابا تيموثاوس الاسكندرى فى إستدعاء مجمع فى أورشليم ، ووضع البطريرك فى قفص الاتهام . وفى نفس الوقت كتب إلى باسيليسكوس وأكاكيوس وإلى الشيوخ الأرشمندريتين ، كل على حدة ، مطالباً بإزاحة الأنبا تيموثاوس .

واستسلم باسيليسكوس بشروط : منشور عام جديد مقابل المنشور الأول ، وصف بمصطلحات مؤكدة على أنه "منشور مقدس" ، أعاد تأكيد حقوق البطريرك القسطنطينى وأدان نسطوريوس وأوطاخى "وكل هرطقة أخرى" ، وجحد فكرة عقد مجمع جديد ولكنه لم يشر إلى خلقيدونية . ولم يجرؤ على ذلك ، لأنه لا يقل عن خمسمائة أسقف من الشرق كانوا قد إكتتبوا فى المنشور الأول . وكانت بطريركيات الاسكندرية وأورشليم وأنطاكية فى أيدى ضد الخلقيدونية . ولم يتأثر البابا تيموثاوس الاسكندرى بنقض الامبراطور باسيليسكوس للمنشور الأول . ففى نهاية أغسطس سنة ٤٧٦ م عاد زينون إلى عاصمته .

لقد أحدثت مساندة الامبراطور باسيليسكوس لعقيدة الطبيعة الواحدة هياجاً شديداً بين الخلقيدونيين وخصوصاً فى القسطنطينية ، حيث كان على رأس الخلقيدونيين البطريرك أكاكيوس . ولكى يتفادى باسيليسكوس الإضطرابات التى تهدد حتى عرشه أصدر رسالة أخرى عامة (وهى المنشور الثانى) تلغى الأول . ولكن فى تلك الأثناء تمكن زينون بمساعدة الخلقيدونيين ولاسيما أكاكيوس من التغلب على باسيليسكوس واعتلاء العرش الامبراطورى سنة ٤٧٧ م .

٤-نهاية حكم باسيليسكوس ونتائج عهده :

بعد تولى باسيليسكوس كان قد قام بتوجيه إلياس وثروكندس ضد زينون الذى أصبح يعيش حينئذ فى قلعته الأصلية ، واستأنف حياته كزعيم أو رئيس عصابة أيسورية . ولكن فشل فى أن يحقق ما وعد به إثنين من قادته ، حيث تلقيا خطابات من بعض الوزراء والقادة فى البلاط ، تحثهما على تأمين عودة زينون ، لأن المدينة الآن

معدة للترحيب بعودة الأيسوريين ليحلوا محل المؤمنين بالطبيعة الواحدة . وقرر إلياس تغيير الجوانب ، وربما يكون قراره قد صادفه التغيير بالحقيقة بأن لديه القبضة على زينون بسبب إخضاعه لونجينوس أخ زينون لسيطرته ، والذى كان يحتجزه كسجين فى قلعة أيسورية . وطبقاً لذلك إلتحم زينون وإلياس بالقوات وبدأوا ناحية القسطنطينية .

وعندما تلقى باسيليسكوس أخبار هذا الخطر أسرع بإسترجاع المنشور الدينى وبمصالحة البطريرك أكاكيوس ، ولكن الوقت كان متأخراً جداً. حيث أرسل " أرماتوس " قائد الجند ومعه كل القوة الممكنة ليقاوم تقدم الجيش الأيسورى ... ولكن رسائل سرية من زينون – الذى وعده أن يعطيه قيادة الجيش طوال حياته ويمنحه رتبة قيصر عن إبنه – جعلته يخون سيده باسيليسكوس . وتجنب الطريق المتقدم فيه زينون وذهب إلى أيسورية من طريق آخر .

هذه الخيانة حددت حياة باسيليسكوس ، ودخل زينون العاصمة بدون أدنى مقاومة وأرسل باسيليسكوس إلى كبادوكيا حيث لقى حتفه وشاركه نفس المصير زوجته وأطفاله . والوعد الذى قُطع مع أرماتوس حُفظ فى خطاب ... وعين ابنه قيصراً ، ولكن فور ذلك وبناء على نصيحة إلياس ، تسبب الامبراطور فى إغتيال أرماتوس ، وجرد إبنه القيصر من رتبه وأجبر على أخذ الأوامر . وقد قيل إنه مما ساعد على عدم شعبية باسيليسكوس وحكومته إنتشار حريق هائل بالعاصمة فى عهده .

هكذا لم تطل فترة حكم باسيليسكوس إذ تمكن زينون من إسترجاع العرش سنة ٤٧٧م . ولكن حكمه كان قد بين قوة الشعور المضاد للخلقيدونية فى الشرق . وكانت روما بعيدة ، وكان مركز أسقفها قد تدهور . ومنذ سنة٤٧٦ م لم يعد إمبراطور يحكم فى الغرب . ويقول عزيز سوريال عطية : إن حكم باسيليسكوس المؤقت قد أثبت شيئين فوق الشك وهما قوة الإيمان بالطبيعة الواحدة وأهمية مسالمتهم . فكان لذلك من الضرورى إيجاد صيغة تكون مقبولة لهم مكان معتقد خلقيدونية . وهذا ما فعله زينون الذى وضع منشوراً شهيراً وقعه فى عهده وفى عهد أنسطاسيوس كل أساقفة الشرق .

الفصل الثانى
صيغة التوفيق" الهينوتيكون "
والعلاقات فى عهد زينون
(٤٧٧-٤٩١ م)

مقدمة :

كان زينون هو أول امبراطور أيسورى يلى عرش الامبراطورية البيزنطية (٤٧٤-٤٩١م) ولكن حكمه إنقسم إلى فترتين : (٤٧٤-٤٧٥،٤٧٧-٤٩١م) . بينما الفترة بين (٤٧٥-٤٧٧م) حكمها باسيليسكوس . وعندما إستعاد زينون سلطته كان لديه الكفاية من الأمور الأخرى ينشغل بها ، فترك البابا تيموثاوس الثانى وشأنه . ومع أن رجالاً أقل لعبوا أدوار تلك الفترة من الصراع ، إلا أنها لم تكن مخالفة لصراع الزمن الأخير للقديس أثناسيوس . فقد تشابه الموقف فيما بين المؤمنين بالطبيعة الواحدة والخلقيدونيين مع الذى كان يشغله عندئذ الجانبان النيقى والأريوسى .

عند عودة زينون ألغى كل ما عمله باسيلسكوس ، ويرجع ذلك إما إلى أنه فى بداية عهده كان يميل إلى الخلقيدونيين ، أو إلى أنه رجع بمعونتهم فاضطر أن يرضيهم . فقد أصدر مرسوماً ألغى فيه أعمال باسيليسكوس وأعاد الحالة الراهنة إلى الكنيسة ، وأقر حقوق أكاكيوس على كنائس آسيا ، وأكد إمتيازات كرسى العاصمة ... لكن روما لم تفعل شيئاً حتى تلك اللحظة الراهنة . وقام بنفى بطرس القصار وبولس الأفسسى . وكان هناك أمر مرسل إلى البابا تيموثاوس الثانى إيلورس عندما توفى فى ٣١ يوليو سنة٤٧٧م . وبقيت المشكلة مع ذلك إما إذا كانت نيقية أو نيقية وخلقيدونية هى التى ستكون إيمان المسيحية .

لقد نشأت بعد رجوع زينون سياسة جديدة لإسترداد السلام للكنيسة ، وكان أهم من نصحوه هنا هما أكاكيوس القسطنطينى والأنبا بطرس منغوس الاسكندرى ، الذى كان قبل توليه البطريركية اليد اليمنى للأنبا تيموثاوس الثانى إيلورس ، وكانت هذه السياسة تهدف إلى تجاهل مجمع خلقيدونية ولكن لا تؤكد معارضة عقيدته . وكان الأمل هو أن المؤمنين بالطبيعة الواحدة ومعارضيهم يوافقون على الإقرار والاتفاق بأن القانون العام لمجمعى نيقية والقسطنطينية كان عهداً كافياً للشركة والاتحاد .

على أن هذا اللقاء فى الإيمـــــان الذى حدث بين أكاكيوس بطـــــريرك القسطنطينية ، والأنبا بطرس منغوس بـطريرك الاسـكندرية ، وهو ما عرف فى التاريخ باسم "منشور التوفيق " أو " الهينوتيكون " ، قد حورب . وقد رغب به زينون أن ينهى الشقاق كخطر سياســى عليه فلم يكن الانقســام بـين الملكيين والمؤمنين بالطبيعة الواحدة باعثاً على الأسى من الناحية الكنسية فحسـب ، بـل كان أيضاً له خطره السياسى . الأمر الذى دفع الحكومة البيزنطية إلى محاولة مصالحة الطرفين ، وإلى محاولة إجبار المؤمنين بالطبيعة الواحـدة ، أحـياناً ، على إعادة الاتحـاد مع الخلقيدونيين . وقام زينون سنة٤٨٢م ، بمثل هذه المحاولة عن طريق الهينوتيكون . الذى ظل المذهب الرسمى فى عصره وعصر خليفته أنسطاسيوس . ولأن ما حـدث من سقوط إيطاليا فى يد المتبربرين سنة٤٧٦م ، وخضوعها لأدواكر ، ثم ثيودوريك من بعده ، جعل روما خارجة عن دائرة سياسة القسطنطينية ، لذلك اتخذ الهينوتيكون أساساً لسياسة الوفاق فى الشرق .

ويلاحظ على محاولات التوفيق التى حدثت فى ذلك الزمان ما يأتى :

أولاً : أنها كانت على أساس أرثوذكسى سليم فلم يحدث مطلقاً أن المؤمنين بالطبيعة الواحدة تنازلوا ولو قليلاً عن إيمانهم ، وإنما كل توفيق كان يبـنى على إنكار مجمع خلقيدونية وإنكار طومس لاون بما يحمل من هرطقات .

ثانياً : أن ذلك التوفيق أو ذلك اللقاء فى العقيدة كان بسبب أباطرة أرثوذكس جلسـوا على عرش الامبـراطورية الرومانية . ولم يكن لقــاء من جانب الكنيسـة وهؤلاء الأباطرة وصفهم الخلقيدونيون فى كتب تاريخهم بصفات غير لائقة .

ثالثاً : أن اللقاء الذى حدث من جانب الكنيسـة فى عهد أكاكيوس القسـطنطينى كان عملاً فردياً أخذ عقوبته عليه من الخلقيدونيين . وسموا هذا اللقاء "شقاق أكاكيوس" .

وقد تمتع الأرثوذكس بفترات الهدنة فى عهد ثلاثة أبـاطرة هم باسيليسـكوس وزينون وأنسطاسيوس .

تراجع الامبراطور زينون عن موقفه بخلقيدونية ، وأصدر رسـالة وضعها الأساقفة وعنوانها كتاب الاتحاد Henoticon وهى محاولة جريئة للتسوية السـلمية إذ تقرر فيه الاعتراف بقرارات المجامع المسـكونية الثلاثة الأولى ، ولم يذكر ما ذهب

إليه مجمع خلقيدونية بل حرم كل من نسطوريوس و أوطاخى . وعليه قبل الجميع على اختلاف مذاهبهم توقيع الهينوتيكون . أما أسقف روما فيلكس الثانى(٤٨٣- ٤٩٢م) الذى كان قد خرج من طاعة الامبراطور ودخل فى طاعة ملك القوط ، فقد رفض الهينوتيكون بل وعقد مجمعاً فى روما سنة ٤٨٤م حكم فيه على أكاكيوس أسقف القسطنطينية لدوره الأكبر فى الهينوتيكون مما أوجد شقاقاً جديداً بين القسطنطينية وروما دام أكثر من خمسين عاماً .

١- عودة زينون إلى الحكم :

كان باسيليسكوس ، خوفاً من أن يدبر عليه زينون فيخلعه من الملك ويعود إليه ، كان قد أرسل إليوس Illus أحد عماله إلى أيسورية لقتل زينون ، فكتبت فيرينا وأخص رجال السناتو إليه أن لا يعمل بأمر الملك بل أن يعاون زينون . فآثر إليوس العمل بمرضاتهم على مرضاة الامبراطور وانضم بجنده إلى زينون ولحق بهم كثيرون من مريديه . فهب زينون إلى القسطنطينية بجيش كثيف ، وعلم باسيليسكوس بذلك فأتى إلى الكنيسة يعتذر عن أعماله جهاراً وينقض أمره السالف ويحرم نسطوريوس و أوطاخى .

وقد أمّر على الجيش أرماتيوس بعد أن أقسم أن لا يخونه . والتقى الجيشان عند نيقية وكادت الدوائر تدور على زينون وأوشك أن ينهزم لولا إليوس الذى أشار على زينون بأنه يتيسر له كسب أرماتيوس ، فمضى إليوس إلى معسكر أرماتيوس متنكراً ووعده بأن يجعله رئيس الحرس الملكى ما دام حياً ، وأن يعين ابنه قيصراً له حق الخلافة بعد وفاة الامبراطور . فأنست هذه الوعود أرماتيوس أيمانه ، ولكى يستر خيانته مضى فى غير الطريق التى سار بها زينون إلى القسطنطينية . فوصل زينون إليها وأبوابها مشرعة فدخلها آمناً فالتقاه رجال السناتو والشعب ولاسيما فيرينا الملكة . فسارع باسيليسكوس ولجأ إلى الكنيسة مع زوجته وأولاده ونزع التاج عن رأسه ووضعه على المذبح فلم يجسر زينون أن ينتهك حرمة هذا الملجأ بل أرسل إليه أرماتيوس يؤكد له أنه لا يؤذيه إذا خرج من الكنيسة . وحكم على باسيليسكوس بالنفى مع إمرأته وأولاده إلى الكبادوك على أن زينون أمر أن يلقوه فى جب لا ماء فيه وبعد أيام وجد ميتاً هو وزوجته وأولاده ، وكان ذلك سنة ٤٧٧ م .

وقد سر الخلقيدونيون ومنهم سمبليكيوس أسقف روما بعودة زينون ، حيث وعدهم بأن يرعى جميع رسوم المجمع الخلقيدونى . وقام بنقض جميع ما أمر به

باسيليسكوس بخصوص الإيمان بالطبيعة الواحدة . وأبعد بطرس القصار وبولس أسقف أفسس ، وكان يريد أن يطرد البابا تيموثاوس الثانى من الاسكندرية الذى توفى بعد قليل .

٢ – موقف زينون من مصر وكنيستها :ـ

أ – وفاة البابا تيموثاوس إيلورس وعودة سالوفاسيولس :

كان الامبراطور زينون قد أرسل ضابطاً يدعى قسطور إلى مدينة الاسكندرية لكى يحضر له البطريرك تيموثاوس رجل الله . وعندما مثل وكيل الخراج أمام البطريرك تيموثاوس قال له إن الامبراطور يدعوك إليه فأجابه البطريرك " إن الامبراطور لن يرانى " ، وفى الحال مرض البطريرك ومات كما قال ، وكان ذلك فى ٣١ يوليو سنة ٤٧٧ م .

وبعد وفاة البابا تيموثاوس الثانى (إيلورس) قام الأقباط – دون إلتفات للبطريرك الدخيل أو إعتراف به كعادتهم – برسامة القمص بطرس منغوس رفيق البابا تيموثاوس المتوفى بطريركاً عليهم ليخلفه على كرسى مارمرقس . وما أن تمت مراسيم سيامته وعلم بها الامبراطور حتى أصدر أوامره بنفيه ، وإعادة تيموثاوس سالوفاسيولس الخلقيدونى ، حيث استمر لمدة خمس سنوات . إذ مات فى سنة ٤٨١م .

ب – رسامة الأقباط للبابا بطرس منغوس :

إختار الشعب الأرثوذكسى رئيس الشمامسة بطرس المدعو منغوس بطريركاً . فأراد قضاة المدينة إيقافه ولكنه هرب من الجند واختفى فى أحد منازل المؤمنين . وبعد إقامته قام عليه المخالفون واسترجعوا تيموثاوس سالوفاسيولس الملكانى ، الذى بعد موته أقام بعده الخلقيدونيون يوحنا طلايا . أما البابا بطرس فرجع إلى كرسيه إلى وفاته .

ومع أن البابا بطرس منغوس كان فى حالة إختباء ، إلا أن سلطته كانت هى السلطه القوية بالمدينة أما المسترد تيموثاوس سالوفاسيولس فقد فعل ما فى وسعه لتصالح الرأى العام . وبالرغم من الاعتراضات المتجددة ضده من روما كان الأنبا ديوسقورس قد أعيد إلى القداس Diptychs وأعلن إيمان الكنيسة على أنه كما فى المجامع الثلاثة الأولى دون ذكر لخلقيدونية ، ولكن دون جدوى فقد كان البابا بطرس

منغوس يعتبر هو البطريرك الحقيقى فى الاسكندرية التى كان فيها الشعب ضد الخلقيدونية بحسم وشدة .

وأكاكيوس القسطنطينى كان قد أدان الأنبا بطرس منغوس بمصطلحات مؤذية وذلك فى خريف سنة ٤٧٧ م ، حيث قال : كان "صديق الظلام" الذى كان قد "أفسد قوانين الآباء" ، بقبول السيامة فى سكون الليل بينما كانت جثة الأنبا تيموثاوس الثانى (إيلورس) لم تدفن بعد . وكان الطقس القبطى يستوجب عند وفاة البطريرك أن يقوم خليفته بعمل سهرة بجانب الجثة ويضع يده اليمنى على رأسه ويأخذ بيديه صدرة القديس مرقس من على رقبة المتوفى ويضعها على نفسه .

جـ- نفى البابا بطرس وإقامة جاورجيوس الخلقيدونى ثم يوحنا طلايا :

كان زينون فى بداية عهده خلقيدونى المذهب . حتى إنه عندما عقد البابا بطرس الثالث الاسكندرى المعروف باسم بطرس منغوس ، مجمعاً حرم فيه مجمع خلقيدونية وطومس لاون ، سخط عليه واعتبر ذلك تحدياً لسلطته . فأصدر أوامره بنفى الأنبا بطرس منغوس ، وأرسل أحد قادته لتنفيذ هذا الأمر ، ولرد تيموثاوس سالوفاسيولس الملكانى ، ولكن البابا بطرس إختفى فى إحدى ضواحى الاسكندرية مدة خمس سنوات . ثم أصدر زينون أوامره بعودته وإبعاد يوحنا طلايا عن الاسكندرية .

كان تيموثاوس سالوفاسيولس يتمنى أن تتخذ التدابير اللازمة لضمان سلامة تعيين خليفة له ملكانى دون تدخل السلطات الرومانية ، فأرسل وفداً خصوصياً إلى الامبراطور يطلب منه تخويل الخلقيدونيين فى مصر حق انتخاب بطريرك لهم ، وهم يشترطون مقابل ذلك أن الذى يتم تعيينه يتحتم عليه قبول الأوامر الصادرة من مجمع خلقيدونية . وكان رئيس هذا الوفد هو يوحنا طلايا الذى كان مقرباً وملازماً لتيموثاوس سالوفاسيولس ، كما كان صديقاً للوالى الرومانى إيلوس ، الذى كان مغضوباً عليه من البلاط الملكى لإتهامه بالمروق والخيانة، مما أضر بيوحنا طلايا .

وقد روى المؤرخون المتقدمون أن الامبراطور إعتقد فى يوحنا السعى للحصول على رتبة البطريرك ولم يرغب فى تعيينه لها . فقد وافق الامبراطور على مطلب الوفد إلا أنه إشترط ألا يتطلع يوحنا طلايا نفسه لتولى هذا المركز وأخذ عليه عهداً بذلك . على أن يوحنا طلايا قد حنث فى يمينه ، إذ بعد وفاة سالوفاسيولس ثم

جاورجيوس سنة ٤٨٢ م قبل يوحنا طلايا أن يكون بطريركاً ملكانياً فى مصر بكل سرور ، مما هيج سخط الامبراطور . وقد زاد الطين بلة أن يوحنا طلايا كتب منشوراً إلى الأساقفة الخلقيدونيين فى العالم يخطرهم بتعيينه . وقد رفض الامبراطور الموافقة على تعيين يوحنا طلايا طالما أنه قد أخل بعهده السابق ، كما أن يوحنا طلايا حاول بطرق شتى أن يفرض أمر انتخابه على الامبراطور .

وكان ضمن المنشورات التى أرسلها طلايا ، منشور بعث به مباشرة إلى سمبليكيوس أسقف روما ، ومنشوران أحدهما للامبراطور والثانى لأكاكيوس بطريرك القسطنطينية . ولكنه لم يرسلهما إليهما تواً بل وضعهما داخل الغلاف المرسل لصديقه إيلوس ، وقيل إنه كان داخل هذا الغلاف الكبير رشوة بعثها يوحنا لصديقه ليرشى بها من يتوسم فيه التعضيد له لنوال غرضه . وحدث أن إيلوس الذى كان مغضوباً عليه كان غائباً فى أنطاكية ولذلك تأخر المنشوران عن الوصول للامبراطور وبطريرك القسطنطينية ، مما اعتبره الامبراطور تحقيراً واستخفافاً بهيبته ، وبهيبة كرسى القسطنطينية . إذ كان الأباطرة يعتبرون كرسى القسطنطينية هو رأس الأساقفة الخلقيدونيين فى العالم الشرقى .

وعليه أرسل الامبراطور خطاباً إلى أسقف روما سمبليكيوس يخبره بعدم إعتماده ليوحنا طلايا كبطريرك للاسكندرية ، وأنه عازم على استرجاع البابا بطرس لكرسيه ، لأن وجوده يوجد سلاماً فى مصر ، ما دام المصريون متمسكين به ويعتقدون بصحة معتقده ورسوخ قدمه فى الإيمان الصحيح . فرد هذا الأسقف على الامبراطور رداً يظهر من خلال سطوره الانتفاخ والافتخار وحب الرئاسة وطلب التداخل فى أمور الكنيسة المصرية ، كما فعل لاون قبلاً .

ذلك أنه قال للامبراطور إنه وإن لم يصادق على انتخاب يوحنا فهو لا يقبل رجوع الأنبا بطرس لكرسيه . فلما قرأ زينون وأكاكيوس أقوال أسقف روما ، ودعواه الغير صحيحة ، ضربا بها عرض الحائط وأرسل الامبراطور أمراً إلى والى الاسكندرية الجديد برغامس بإعادة البابا بطرس إلى كرسيه .

د – عودة البابا بطرس منغوس وإبعاد يوحنا طلايا :

بعد موت تيموثاوس سالوفاسيولس إنحصرت المسألة فيما إذا كانوا ينصبون منافس خلقيدونى أو الاعتراف بالبابا بطرس منغوس . ويوحنا طلايا Talaia أحد

رهبان كانوباس والذى كان يخدم ككاهن بالاسكندرية ، كان قد رأس بعثة جاءت إلى القسطنطينية للحصول على تأييد زينون لسياسة سالوفاسيولس . لكنه وعد أن لا يأمل هو نفسه فى المنصب ، وبالرغم من ذلك فقد قبله ، مما أثار شكوكاً واضحة لسلوكه وأفقده التأييد . واضطر إلى الهرب إلى روما حيث أهمل عملياً مزاعمه ومطالبته بالاسكندرية وأنهى أيامه كأسقف نولا فى كامبانيا . وقد أعاد وجوده فى إيطاليا تأكيد الصلة الرومانية بالملكيين فى مصر ، كما أعطى وعداً بالتأييد الرومانى للجانب الخلقيدونى فى الاسكندرية فى أى وقت .

وكان يوحنا طلايا قبل رحيله إلى روما قد ذهب إلى أنطاكية وأخذ من كالندينوس الأسقف الخلقيدونى رسائل توصية ، وهكذا مضى إلى روما وسعى عند أسقفها سمبليكيوس بالبابا بطرس الاسكندرى وبأكاكيوس القسطنطينى ثالباً إياهما . فكتب سمبليكيوس إلى زينون وأكاكيوس فأجاباه ساردين له فى أجوبتهما ما وجداه على يوحنا من المذمات والذنوب التى ألجأت إلى تنزيله . ولم يرجع يوحنا طلايا إلى مصر بعد نفيه مع أنه رفع دعواه إلى أنسطاسيوس خليفة الامبراطور زينون ، لوجود معرفة قديمة العهد بينهما ، ظنها تشفع فى تحيز الامبراطور لجانبه أو تستميله إليه . ولكن هذا الامبراطور الجديد لم يلق بسمعه نحو دعوى يوحنا .

بينما هرب يوحنا طلايا ، رجع البابا بطرس منغوس إلى كرسيه بأمر الامبراطور حيث أقام بعد عودته حتى وفاته مدة ثمانى سنوات .

هكذا عاد البابا بطرس منغوس إلى كرسيه ، كرسى الكرازة المرقسية ، الذى سبق رسامته عليه ، واستمر فى جهاده لترسيخ الإيمان بعقيدة الطبيعة الواحدة .

٣- التقارب بين بابا الاسكندرية وبطريرك القسطنطينية :

ظل السواد الأعظم من النصارى فى مصر وسورية وفلسطين يقول بالطبيعة الواحدة . ولم يثمر حزم مركيان وليون الأول وشعر زعماء الكنيسة بخطورة الموقف . وأراد أكاكيوس بطريرك القسطنطينية (٤٧٢-٤٨٨م) والأنبا بطرس بطريرك الاسكندرية (٤٧٧- ٤٩٠م) أن ينقذا الموقف وأن يعيدا إلى الكنيسة وحدتها المفقودة . فاقترحا على زينون أن يصار إلى التراضى بانتهاج سبيل وسط . فقد استطاع البابا بطرس الثالث بالحوار الهادئ والمداولات الروحية مع أكاكيوس بطريرك القسطنطينية أن يستصدر منشوراً امبراطورياً من الامبراطور زينون ،

يدعو فيه الكنائس كلها للوحدة حول إقرار إيمان واحد إعتمده مجمع إنعقد فى القسطنطينية ، وسمى بالمنشور الوحدوى (باليونانية هينوتيكونHenotikon) .

أخذ أكاكيوس القسطنطيني يتصل بسفراء الأنبا بطرس منغوس فى القسطنطينية مبدياً استعداده للعودة إلى الشركة مع كنيسة الاسكندرية . وتراسل الحبران ، حيث رفض أكاكيوس فى رسائله مجمع خلقيدونية وسماه " مجمع المخالفين " ، كما رفض رسالة لاون وآراء نسطوريوس ، فقبله البابا بطرس الثالث . وقد بلغت جملة الرسائل بينهما أربعة عشرة رسالة ، كتب منها البابا بطرس منغوس إلى مار أكاكيوس ثمانية ، وكتب منها مار أكاكيوس إلى البابا بطرس ستة .

<u>المراسلات بين البابا بطرس والبطريرك أكاكيوس :</u>

كانت ظروف اتحاد الكنيسة مواتية عندما دارت الرسائل بين البابا بطرس والبطريرك أكاكيوس . وقد بدأت الصلة أولاً عندما دعا أكاكيوس الشماس الاسكندرى الذى كان بالقسطنطينية ، والذى تحدث عن ذلك بقوله : " لما كنت بالقسطنطينية أرسل إلىّ أكاكيوس شماساً يدعونى إلى المكان الذى كان يبيت فيه ، فلما سرت إليه قال لى أيها الشماس يوليانوس هل أنت مزمع أن تشترك معى فى الصلاة ، فأجبته قائلاً لا ، لأنه لا توجد هنا الأرثوذكسية – ثم أمرنى أن أجلس ، وكنا كلانا منفردين . ولما حمل الإنجيل قال لى هكذا إنطلق إلى الاسكندرية وفتش على الأنبا بطرس وأحلف له كما حلفت لك أنا الآن بقولى : وحق الكتب المقدسة إنى أرغب من كل نفسى أن أتوب وأطرح عنى هرطقة مجمع خلقيدونية الدنسة فإنى بينما كان المغبوط تيموثاوس إيلورس موجوداً فى هذه المدينة بمنزل باسيليسكوس أرسلت نحوه شماسى كريزاريون وبيده كتابى المخطوط بيدى وفيه ثبت وحرمت مجمع خلقيدونية وطومس لاون والأوطاخيين وكل هرطقة . غير أن ثيوكيتستيس الوالى المعتنق مذهب أوطاخى المعترف بتسليم باطل لما وجد الشماس فى الساحة أخذ من يده الكتاب وقرأه ووجد أنى قد حرمت فيه أوطاخى ، فضرب الشماس وطرده ومزق الكتاب . ولم يكن ليعلم بذلك تيموثاوس المغبوط لأنه كان ساكناً فى الدور الأعلى . وقد كنت ظننت أن الشماس طرد بإيعاز الطوبانى تيموثاوس ، وبما أن الحزن إستولى على بسبب ضرب شماسى ، لبثت لا أبدى أدنى حركة خائفاً على تكدير سلام تلك الأيام . وحيث أنى الآن أخشى أن تدركنى ساعة الموت ويحل بى قضاء الله ، أطلب إليك وأنا مستعد أن أفعل كل ما يريح فؤادك وإنى لمتندم وتائب وحارم لكل هرطقة " .

ولما أبلغ الشماس يوليانوس البابا بطرس الاسكندرى بهذا ، قام البابا بـــالرد فيما يعرف بالرسالة الأولى له لأكاكيوس قال فيها : إن الشماس يوليانوس قابلنى ليلة فى مكان كنت هارباً فيه من هرطقة مجمع خلقيدونية الدنسة وبيده الإنجيل المقدس . ثم نقل فى الرسالة لأكاكيوس تفاصيل المقابلة مع الشماس وما ذكره له الشـــماس فى مقابلته لأكاكيوس ، وختم البابا ذلك بقوله : " وبما أن شماسى يوليانوس أخبرنى بكل ذلك بقسم فقد أرسلته إليك دفعة ثانية وسطرت لك فى هذه الرسالة كل ما قال لى . فإن كان الأمر لا يتخلله ريب وإنك قلت له هذه الأمور فاكتبها لى " .

وبعد تبادل عدة رسائل بين أكاكيوس والبابا بــطرس قــررا أن يصوما معاً ويرفعا القرابين لتظهر إرادة الله . وبهذا تقرر الاتحاد على أســاس رفض قــرارات مجمع خلقــيودنية ورســالة (طومس) لاون وبــدعة أوطاخى . وأرســل البابــا الاسكندرى شيوخاً من عنده إلى القسطنطينية ، وعقد فيها مجمع سنة ٤٨١م بــدعوة الامبراطور زينون . ثم أصدر الامبراطور مرسوم الاتحاد " هينوتيكون " ، حكم فيه بفساد بدعة أريوس ونسطوريوس وأوطاخى وتثبيت بنود البابا كيرلس الإثنى عشر ، وتأيدت المجامع المسكونية الثلاثة .

وبعد أن أصدر زينون الهينوتيكون أرسل أكاكيوس رسالته الخامسة إلى البابا بطرس ، قال فيها : " من أكاكيوس رئيس أساقفة القســطنطينية إلى قداســة الأنبــا بطرس رئيس أساقفة الاســكندرية وأبــيها . إنه لما حــضر (من طرفكم) إلى هذه المدينة المالكة الأساقفة القديسون والإكليروس وشيوخ البــرية والمحبــون للعمل ، قضى الله أن كل شىء يتم بغاية العمل المحــمود ، لأن الملك التقــى زينون خصص ذاته بمسرة قلب زائدة لنصيب الإيمان الأرثوذكسي ، وأرسل نحوى مفتشاً... وأمر بمرسوم الإتحاد (هينوتيكون) ، الذى حرم فيه طومس لاون ، ومجمع خلقــيدونية وكل هرطقة . فهوذا مرسوم الاتحاد قد استلمه المحتشم برجام من يد الملك ومن يدى ومن أيدى الذين توجهوا إليك والذين أرسلتهم إلينا ، إستلمه واختبــره ووقــع عليه وابسط نور الأرثوذكسية الحقيقى . ومصبــاح الإيمان القــويم الذى كاد ينطفئ خذه وأنر به جميع البشر وحلنا من قيود الكفر وأســتلم كرســيك من الله ومن عروســك الروحية المحبوبة كنيسة الاسكندرية ، وافرح أيها المعترف بالمسيح لأن القــاضى العدل وضع على هامتك إكليل الأرثوذكسية ، لأنك قبلتنا تائبين وأنقــذتنا من ضلال مجمع خلقيدونية وكل الشعب إختبر رحمة الله " .

وعليه فقد أرسل البابا بطرس رسالته السابعة قال فيها : " من بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية إلى أكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية . إنى قبلت بالرب الذين وافوا من المدينة المالكة وهم الأساقفة المحبون لله شركاى والإكليروس وشيوخ البرية ومجدت محبة الله للبشر الذى أقنع بواسطتك الملك العادل حتى أصدر مرسوم الاتحاد الذى إستلمته من المحتشم برجام ، ولما قرأته علمت بأية قوة حرم طومس لاون ومجمع خلقيدونية أيضاً وكل هرطقة ووجدته يوافق الإيمان الأرثوذكسى الذى للآباء الثلاثمائة وثمانية عشر الذين إجتمعوا فى نيقية والمائة وخمسين الذين إجتمعوا بالقسطنطينية والمجمع الذى صار فى أفسس مع القديس كيرلس . ولذلك أنا أيضاً بعد أن شكرت الله وقعت عليه حارماً طومس لاون ومجمع خلقيدونية وكل هرطقة . فأشكر الله المحب للبشر وأمجد اسمه المقدس " .

أما أكاكيوس فرد برسالته السادسة والأخيرة . وجاء رد البابا بطرس فى رسالته الثامنة والأخيرة قائلاً فيها " من بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية إلى أكاكيوس شريكى فى الإيمان " . وفيها هنأه وطلب منه حفظ الإيمان الأرثوذكسى بثبات .

كان أكاكيوس قد طلب فى رسالته الرابعة من البابا بطرس الاسكندرى أن يرسل إلى القسطنطينية رجالاً قديسين ورهباناً من الصحراء والأديرة والمدن ، ليقنعوا زينون بأن رفض مجمع خلقيدونية سيعيد الوحدة . ووعد البابا بطرس ، فى رسالته السادسة ، بإرسال مثل هؤلاء الرهبان . وبعد أن إتجه الشيوخ إلى القسطنطينية إلى الامبراطور صدر الهينوتيكون . الذى بقبول البابا بطرس له رجع إلى كرسيه ، كما رجع أيضاً بطرس القصار إلى أنطاكية لنفس السبب .

ففى مصر كان الامبراطور زينون قد بعث إلى الوالى البيزنطى يخطره برفض انتخاب يوحنا طلايا وموافقته على إعادة البابا بطرس منغوس إلى كرسيه بشرط موافقته على وثيقة الاتحاد ، الهينوتيكون ، والتى أعدت بحيث تحوز رضاء جميع فئات الكنيسة والشعب فى مصر سواء منهم من كان موالياً لإيمان البابا ديوسقورس والآباء بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح بعد التجسد أو من أخذ بقرار مجمع خلقيدونية المضاد . وقد اتخذ بعض الإجراءات وعمل على إقناع بعض معتنقى عقيدة الطبيعتين التى أقرها مجمع خلقيدونية والمضادة لإيمان الآباء ، لقبول وثيقة الاتحاد المذكورة .

٤- صيغة التوفيق " الهينوتيكون " :ـــ

<u>أ- كيفية إعداد صيغة التوفيق :</u>

في عام ٤٨٢ م حاول الامبراطور زينون أن ينهى الخلاف بين أتباع العقيدة الأرثوذكسية ، أى المؤمنين بالطبيعة الواحدة ، وبين الملكيين بواسطة إصدار الهينوتيكون أى وثيقة الاتحاد . ولو أن هذه الوثيقة كان إصدارها بدافع سياسى إلا أن الإكليروس كان له يد فيها أيضاً ، فتذكر بعض المراجع أنه صيغ حسب نصيحة أكاكيوس ، وبعضها يذكر أنه من وضع أكاكيوس ، بينما يذكر البعض الآخر أن الهينوتيكون قد وضعه البابا بطرس منغوس وأكاكيوس ، بهدف الرجوع بالكنيسة إلى ما قبل خلقيدونية لاهوتياً .

وسواء كان الهينوتيكون بنصيحة ومشورة أكاكيوس أو من وضعه هو وحده أو من وضعه هو والبابا بطرس منغوس الاسكندرى ، فإنه من الواضح – حسبما تذكر بعض المراجع – أن الرسائل التى تبودلت بين أكاكيوس والأنبا بطرس منغوس قد تمخض عنها عقد مجمع فى القسطنطينية سنة ٤٨١ م برئاسة مار أكاكيوس ، وحضره وفد من قبل البابا بطرس الاسكندرى وإنتصرت فيه الآراء القويمة التى تمسكت بها الكنيسة المصرية ، وقد أصدر هذا المجمع المنشور الموصوف بمنشور زينون ، الذى أعلنت فيه العقيدة الأرثوذكسية ، وعرف باسم "ينوتيكون" .

وقد كان للرهبان والنساك المصريين دور فى وضع الهينوتيكون عن طريق الإلتماس الذى قدموه للامبراطور . كما كانوا ممثلين فى الوفد المرسل من قبل البابا بطرس إلى القسطنطينية ، كما أن زينون كانت له ابنة راهبة فى برية شيهيت وهى هيلاريا وعن طريقها قدم الرهبان الأرثوذكس للامبراطور إلتماساً لإعادة وحدة الكنيسة .

وتذكر المراجع أن الهينوتيكون كان عبارة عن خطاب امبراطورى موجه إلى جميع الأساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين فى الاسكندرية وسائر مصر وليبيا والخمس مدن الغربية وذلك فى ٢٨ يوليو سنة ٤٨٢ م .

ب- مضمون الهينوتيكون ونصه :

عرف منشور زينون بالهينوتيكون ، أى " كتاب الاتحاد " ، وقد حكم على تعاليم أريوس ونسطوريوس وأوطاخى ، وأثبت بنود البابا كيرلس الإثنى عشر وأيد المجامع الثلاثة : نيقية والقسطنطينية وأفسس ، ورفض طومس لاون ومجمع خلقيدونية . كما حرم كل من يعلم أو يقول بعقيدة أخرى سواء فى خلقيدونية أو فى أى مكان آخر .

أما نص الهينوتيكون فهو : " من الامبراطور القيصر زينون التقى الغالب الظافر العظيم جداً الأوغسطس المحترم ، إلى الاسكندريين والليبيين وأهل الخمس مدن الأساقفة والشعب . إننا نعلم أن رأس مملكتنا وقوتها وقدرتها وأسلحتها المنيعة هى من قبل الأمانة الأرثوذكسية المبرورة وحدها التى قررها الآباء القديسون الثلاثمائة وثمانية عشر الذين اجتمعوا فى مدينة نيقية بقوة الروح القدس . وأيدها المائة وخمسون أباً الذين إجتمعوا فى القسطنطينية . ونحن نأمر ليلاً ونهاراً بكل صلوة وبكل اجتهاد وناموس بالتمسك بهذه الأمانة بثبات بكل مكان من الكنيسة الجامعة الرسولية ، لكى تنمو فى الإيمان الأرثوذكسى الرسولى لأنها هى أم مملكتنا غير المضمحلة الدائمة . ولكى يكون الشعوب الأتقياء مصطلحين ومتحدين ويقدمون الابتهالات المقبولة عن مملكتنا . فإنه إذا قبل عبادتنا وتمجيدنا سيدنا وإلهنا المسيح الذى أخذ جسداً من العذراء مريم القديسة وتمجد بذلك ، تقهر القبائل الثائرة ، ويمنح الله للبشر السلامة والخيرات والعافية والأثمار الصالحة وكل ما هو حميد . والآن قد قدم لنا محبو الإله أرشمندريتيون وشيوخ البرية وأناس أخر أتقياء ، رجاءً سائلين منا أن نجرى صلح اتحاد الكنائس ، ونجمع الأعضاء التى مزقها عدو الخير لتشترك ببعضها .

ولهذا بادرنا لاستماع (ذلك) وإتمام هذا العمل الصالح . فإذاً نعلمكم أنه أى بحث كان أو تحديد إيمان آخر خارجاً عن الأمانة التى قررها الآباء الثلثمائة وثمانية عشر فإنا نرفضه . بل إن كان أحد يتخذ أمانة أخرى خارجاً عن التى سبقنا وأخبرنا عنها ، فذاك نجعله غريباً عنا . لأن أمانة الآباء الثلثمائة وثمانية عشر كما قلنا آنفاً نعرفها أنها غير معابة وأنها مستقيمة ، تلك التى أيدها الآباء القديسون المائة وخمسون بالقسطنطينية ، واتبعها آباؤنا القديسون الذين اجتمعوا مع القديس كيرلس ، وعزلوا المنافق نسطوريوس وقبلوا أيضاً الإثنى عشر فصلاً التى للطوبانى كيرلس.

ونحن أيضاً نحرم نسطوريوس وأوطاخى الخيالى وكل من ظن بأمانة أخرى خارجاً عن الأمانة التى سبقنا وأخبرنا عنها التى للآباء القديسين الثلثمائة وثمانية عشر . ونعترف بأن الله الوحيد الجنس إلهنا وربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى صار إنساناً بالحقيقة المساوى لله بحسب اللاهوت ، وهو مساو لنا أيضاً بحسب الناسوت ، الذى تنازل وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء القديسة . نعترف به أنه ابن واحد لا إثنان . الآلام والعجائب نعرفها إنها لواحد هو أعنى به ابن الله . إن الذين يفرقونه أو الذين يجعلونه إثنين ، أو أيضاً يظنون فيه خيالاً أو إمتزاجاً لا نقبلهم بالكلية لأن المولود من العذراء لم يزد ابناً آخر لأن الثالوث ثبت ثالوثاً من بعد ما صار كلمة الله الواحد من الثالوث جسداً . واعلموا أيضاً أيها الأحباء أنه لانحن ولا الكنائس قاطبة ولا أساقفة الكنائس الأرثوذكسية نقبل أمانة أخرى أو تحديداً آخر ولا تعليماً آخر خارجاً عن أمانة الآباء القديسين الثلثمائة وثمانية عشر لأنها هى وحدها الأمانة التى يصطبغ بها ، فلنتفق (فلنتحد) إذاً مع بعضنا بعضاً غير خائفين من أحد ولا صائرين ذوى قلبين . وكل من آمن وظن بنوع آخر إن كان للآن أو قبل هذه الأيام فى المجمع الخلقيدونى أو بأى اجتماع آخر خارجاً عن الأمانة التى بدأنا بها وقلنا عنها التى للآباء الثلاثمائة وثمانية عشر ، هذا نحرمه ونجعله غريباً عن الكنيسة الجامعة . وبالأخص نسطوريوس الذى إعترف بطبيعتين والذين يرتأون مثله وأوطاخى الخيالى نحرمهم . فاصطلحوا إذن مع الأم الروحية التى هى الكنيسة الجامعة كأبناء أحباء وهى تراعيكم مريدة أن تحتضنكم بعظم بركة لكى يسر الله بنا جميعاً وتفرح بكم كافة الملائكة " .

وهكذا فإن الهينوتيكون جاء . نقضاً لصورة إيمان المجمع الخلقيدونى .

<u>جـ- مدى قبول الهينوتيكون ونتائجه :</u>

صدق الامبراطور على هذا المنشور وأمر بتنفيذه . ووقع عليه كل من البابا الاسكندرى بطرس منغوس ، ومار بطرس القصار أسقف أنطاكية ، ومار أكاكيوس أسقف القسطنطينية . أما أسقف روما فلم يوافق بل أخذ يهاجم مار أكاكيوس ويؤلب عليه إكليروس العاصمة وأهلها . فقد رفضت روما هذا المنشور واعتبروه " إنتصاراً للأوطاخية " !! وقام فيلكس أسقف روما بحرم البطريرك القسطنطينى أكاكيوس والبابا بطرس الاسكندرى . وكاد نجاح هذا المشروع يتم لولا أن أسقف روما عارضه وقاومه .. وكان مبدأه وسلفائه وخلفائه أن يزيدوا الشقاق إستحكاماً فى

الكنيسة المصرية ، وأن يوجدوا شقاقاً آخر بين كنائس الشرق والغرب استمرت ناره مشتعلة مدة أربعين سنة أو تزيد .

أيد الهينوتيكون أساقفة الكنائس الشرقية كلهم وفى مقدمتهم البطاركة بطرس الثانى الأنطاكى (القصار) ، والأنبا بطرس منغوس الاسكندرى ، وأكاكيوس القسطنطينى ، وأنسطاسى الأورشليمى . بينما رفضته روما وقام أسقفها فيلكس الثالث بحرم أكاكيوس . وذلك بعد صراع مرير وإرساله سفارتين إلى القسطنطينية ، كما أنه حرم زينون وبينما عبرت روما عن سخطها الطبيعى ، فقد إعتبر البطريرك القبطى بالاسكندرية وكذلك أيضاً بطريرك القسطنطينية ، أن الهينوتيكون سماح علنى برفض مجمع خلقيدونية وطومس لاون . كما أن الأساقفة الخلقيدونيين الدخلاء فى الكراسى الشرقية (أفلابيانوس أسقف أنطاكية ، وإيليا أسقف أورشليم) ، قد قبلوا الهينوتيكون أيضاً . ولكن من الواضح أن قبول الهينوتيكون لم يكن تاماً فقد عارضه المتطرفون من الجانبين خلقيدونيون ولا خلقيدونيون . وفى مصر قبله معظم الأقباط على الرغم من أن البعض أحبوا أن تكون إدانة مجمع خلقيدونية واضحة .

بقى الهينوتيكون يشكل السياسة الرسمية لزينون فى المدة الباقية من حكمه ، وأيضاً لخليفته أنسطاسيوس . وبالرغم من أن خلقيدونية لم يرفض كلية فإن عبارات عمل الوحدة أضافت خطوة واسعة تجاه الفكر المنادى بالطبيعة الواحدة . وكانت النتيجة العاجلة هى الاتفاق بين كنيستى الاسكندرية والقسطنطينية ، على الرغم من أن روما قد استاءت جداً من هذه الترتيبات . وقد وقع اليونانيون إلى حد ما تحت سحر القرارات التى عملها فيلكس فى مجمع روما سنة ٤٨٤م حارماً أكاكيوس ، بالرغم من أن وفوده قد عوملت بخشونة فى القسطنطينية وسجنت بواسطة زينون . وكان من الصعب بالنسبة لليونانيين أن يوافقوا على الامتيازات التى تعمل للمؤمنين بالطبيعة الواحدة . هذا بينما إعتبر الاسكندريون فى المقابل أن مجمع خلقيدونية لم ينقض بصراحة .

وفى تلك الأثناء فإن أكاكيوس كان رد فعله أن أمر بحذف اسم أسقف روما من الصلوات اليونانية أو خدمة القداس الإلهى . وكان هناك بين روما والقسطنطينية ما عرف فنياً فى الأدب الروم كاثوليكى بانشقاق أكاكيوس ، الذى استمر وانتهى لمدة ٣٥ عاماً . وبالرغم من موت أكاكيوس سنة ٤٨٩ م والبابا بطرس منغوس سنة ٤٩٠ م ، والامبراطور زينون سنة ٤٩١م ، فإن الهينوتيكون كان لا يزال باقياً على يد

الامبــــراطور الجديد أنسطاســيوس الأول (٤٩١ – ٥١٨م) . و الأساقــفة الخلفاء بالقسطنطينية قد قاموا بتوقيع الهينوتيكون بأسمائهم ، وبقــيت الميول نحـــو عقــيدة الطبيعة الواحدة فى ذلك الوقت وحـــتى توفى أنسطاســيوس ســنة٥١٨ م ، حـــيث اســتمرت فترات الهدوء . وفى هذا العهد توطدت أواصر التعاون بــين كنيســتى الاسكندرية و أنطاكية لاتفاقهما فى الإيمان الواحد .

من الواضح أن انضمام كنيسة القسطنطينية إلى عقــيدة الطبــيعة الواحـــدة ، ووحدتها مع الكنيسة القبــطية ، كان إنضماماً وقــتياً فى عهد ملك أرثوذكســـى مثل زينون وبعده أنسطاسيوس ، إذ قد عاد اضطهاد عقيدة الطبــيعة الواحـــدة ، وعادت كنيسة القسطنطينية إلى التمســك بقــرارات خلقــيدونية . وضاعت مجهودات مار أكاكيوس وتفكك كل ما كان قد جاهد لأجله فى مدى سنوات قليلة ، وفشل الهينوتيكون فى إعادة الوحدة بصورة مستمرة . ففى سنة٥١٩م إنصياع الامبراطور " جوستين " لهورميسداس أسقف روما . وصادقت القسطنطينية على إدانة مار أكاكيوس .

إعتبر الأرثوذكس هذا المنشـــور نصراً لهم ، فقــد كانت الإشـــارة إلى مجمع خلقيدونية تتضمن إستهجاناً بتعريفاته إلى حد ما ، كما أنه أعاد الوئام بـــين الكنيســة القبطية وكرسى القسطنطينية . ورغم ذلك لم يؤد هذا المنشور إلى حســم المشــكلة فعلى الجانب الآخر إعتبره الخلقيدونيون إنتصاراً للأوطاخية .

تمكن البابا بطرس منغوس من طرد عدد من الرهبـــان الملكانيين من الأديرة ، مؤيداً فى ذلك من الامبـــراطور زينون ، الذى أكسبـــه الهينوتيكون شـــهرة ورفعته الكنيسة إلى مرتبة الأباطرة الأتقياء ، فى تاريخ الكنيســة القبطية ، التى أعطته لقب " ملك أرثوذكسى " . على أن اسمه يلحق بصفة خاصة بشـــيهات تبعاً لقصة ابنته هيلاريا ، التى صارت ناسكاً فى شيهات ولم تعرف شخصيتها إلا بعد وفاتها . فقــد هربت هيلاريا ابنة الملك زينون من قصر الامبراطور متخفية فى زى رجل ، الأمر الذى لما كشفه الملك زينون بعد ذلك بزمن طويل ، جعله يغدق على دير أنبـــا مقـــار بعطف متزايد ، وبقية الأديرة المصرية معه ، من هبات و أوقاف ومبانى .

وتذكر مصادر قبطية قديمة أن أمور الكنيسة قد استقرت و هدأت المسكونة فى عهد زينون ، وتخلص المؤمنون بالطبيعة الواحدة من الشــدائد . كما أن جماعة من الأساقفة الخلقيدونيين قد رجعوا معتذرين قائلين : " إنا إنما رضينا وكتبـــنا خطوطنا

ضرورة من تحت الخوف والموت . والرب يشهد أن قلوبنا كانت غير راضية بذلك ، وأن أمانتنا به كانت مستقيمة سليمة من كل تجديف " .

وبينما كان المقصود من الغموض الماهر لصيغة الهينوتيكون ترقية الوحدة ، ظهر له تأثير عكسى ، وهو أن روما نظرت إليه على أنه هجوم على خلقيدونية ولاون ، حيث أن الصيغة تجاهلتهما لصالح بنود البابا كيرلس الاسكندرى ، مما أدى إلى الانشقاق بين روما والقسطنطينية . ذلك الانقسام الذى استمر لمدة ٣٥ سنة (٤٨٤-٥١٩م) ، حين ألغاه الامبراطور جوستين . إذ أنه بعد صدور الهينوتيكون كتب بعض الخلقيدونيين إلى أكاكيوس بطريرك القسطنطينية يلومونه على اتحاده مع البابا بطرس الاسكندرى . فلم يكترث بهم بل أجبر الكثيرين منهم على القول بكتاب الاتحاد . فكتبوا إلى أسقف روما فيلكس الثالث سنة ٤٨٣م . ولكن هذا بدل أن يراسل أكاكيوس مستوضحاً حسب العادة القديمة ، عقد مجمعاً محلياً سنة٤٨٤م ، وحرم الأنبا بطرس ومار أكاكيوس . فلما علم أكاكيوس بهذا محا اسم فيلكس من ذبتيخا الأساقفة ، وهكذا نشب الشقاق . وروما القديمة والجديدة اللتان كانتا قد انفصلتا فعلاً بالظروف السياسية ، أصبحتا الآن منقسمتان كنسياً .

كانت معظم مصر تؤيد البابا بطرس وعقيدة الطبيعة الواحدة ، وقد واجه الهينوتيكون معارضة ، لأنه لم يدن رسمياً مجمع خلقيدونية ، لكنه تجاهله ببساطة . فأصدر هو الحرمان المطلوب على خلقيدونية . ورغم ذلك فإن بعض الأقباط الأكثر عناداً كانوا لا يزالون يرفضون الهينوتيكون والشركة مع الكنائس الشرقية الأخرى ، مثل القسطنطينية التى وقفت على موقفه هو السابق بالنسبة للهينوتيكون ، أى لم تحرمه علانية . وقد انفصلت هذه المجموعة بقيادة أسقف من طيبة يدعى ثيودور من أنتينوى ، عن البطريرك وأصبحت تكون حزب أسيفالى Acephali أى بلا رأس . وسميت هكذا لأنهم لم يتوغلوا إلى تنصيب بطريرك خاص بهم . واستمروا عدة سنوات كإتجاه متشدد داخل نطاق الشركة مع الكنيسة القبطية بعقيدة الطبيعة الواحدة ، أكثر منها كحزب منفصل قائم بذاته .

وفى المقابل وجد البروتيريون Proterians وهم الملكانيون الذين أصبح البعض منهم منشقين لعدم موافقتهم على الهينوتيكون وتمسكوا بخلقيدونية وعقيدة الطبيعتين ، ودعيوا أبوشيستاى Apochistai فى الاسكندرية .

وبالنسبة للأسيفاليين فإن بعضهم عاد وانضم إلى البابا بطرس ، الذى اضطر أن يطرد الأسقف ثيودور زعيمهم من ديره ومُنع هو وآخرون من دخول المدينة . فتجمع عدد كبير منهم وتوجهوا لمقابلة البابا بطرس فى الكنيسة الكبرى ، الذى أعلن صراحة حرمه لخلقيدونية وعندئذ عاد بعضهم إلى البابا بطرس . أما الباقون فعادوا إلى أديرتهم ، واجتمعوا على حدة وكانوا يريدون انتخاب بطريرك لهم ولكن ثيودور إعترض على ذلك .

كما قيل إنهم ظنوا أن بطريركهم وقع باتحاده مع أكاكيوس على دستور مجمع خلقيدونية وطومس لاون ، واعترف بالطبيعتين فى السيد المسيح . فتدارك البطريرك هذا الأمر ودعا أساقفة الجهات إلى مجمع فى الاسكندرية وعرض عليهم صور المحررات وصورة مرسوم الاتحاد فاقتنعوا ، غير أن شرذمة منهم أبت إلا توقيع الحرم والحكم ضد أكاكيوس فرفض البطريرك طلبهم فانفصلوا من شركته وقطعوا العلاقة معه واستقلوا بأنفسهم وعرفوا بالذين لا رأس لهم .

ومهما يكن من أمر فإن مصر قبلت صيغة الوحدة وفسرتها على أساس إيمانها بالطبيعة الواحدة ، فأعادت بذلك شيئاً من الهدوء الدينى إلى البلاد ، وأحرزت عقيدة الطبيعة الواحدة النصر . واستمرت مصر تقاوم وتحتج على طومس لاون وعلى مجمع خلقيدونية البغيض . وقد استقر هذا الوضع زمن الامبراطور أنسطاسيوس (٤٩١ – ٥١٨ م) ، الذى كان يعطف على المؤمنين بالطبيعة الواحدة .

فقد فسر زينون وخلفه أنسطاسيوس الهينوتيكون بروح عقيدة الطبيعة الواحدة . وفى مقابل الانشقاق المتعمق بين روما والشرق ، فإن البطريركيات الشرقية وأفسس استمرت على صلات معقولة ، ولمدة الثلاثين عاماً التالية ، كانت العاصمة والاسكندرية تتبادلان خطابات مجمعية وتستقبلان مندوبى بعضهما البعض ، مما أظهر غياب النية الانفصالية . وطوال حكم زينون وأنسطاسيوس ، كان الأثر المباشر لإستئناف الشركة هو الابتهاج والفرح فى العاصمة .

نهاية عهد زينون :

وهكذا كانت سياسة زينون قد أوجدت إتحاداً غير مستقر فى الكنيسة الشرقية على حساب مقاومة روما. لكن حتى فى عهد أنسطاسيوس فقد جرت المفاوضات للاتحاد مع روما ثانية . حتى إن المندوبين الرسميين لبطريرك الاسكندرية فى

العاصمة لمحوا فى ذلك الاتجاه . وأثناء ذلك استمرت مصر فى طريقها . ومعاملات زينون مع البابا بطرس منغوس يمكن أن تكون بحق جزء من مجهود لكسب نية مصر الطيبة ، بمنحها كماً جديراً بالاعتبار من حرية الإرادة والاستقلال والحكم الذاتى . حتى إنه – باستثناءات من آن لآخر فى الاسكندرية – كانت الوظائف الإقليمية الكبرى فى أيدى مصرية . وتشمل المراكز المهمة مثل مركز دوق طيبة الذى أصبح يشرف على الإدارة المدنية أيضاً للإقليم ، ويمارس دوره كوالى على الجنوب .

كما كان زينون قد قوى علاقاته مع مصر بكرمه مع مؤسساتها وأديرتها . فقد منح الهبات للإسقيط وأعطى المزار الفخم للقديس مينا (بمريوط) رتبة مدينة . ويتذكره المصريون على أنه رجل معطاء وحاكم طيب . وعلاقات مصر الدولية مع زملائها المؤمنين بالطبيعة الواحدة اتسعت حينئذ على نطاق كبير . ومن بعض الأوجه ، فإن الموقف المشترك من الجانب المضاد ، قرب بين المصريين والسوريين عما قبل ... وبدلاً من الصلات اليونانية اللاتينية ، كانت هناك حركة ذهاب ومجئ بين المراكز الديرية فى مصر وسوريا .

قبل وفاة زينون قامت ضده فتنة خطيرة دبرتها فيرينا حماته وإثنان من القادة هما إيللوس وليونس . إذ قرروا خلعه وتنصيب ليونس امبراطوراً بدلاً منه . وكتبت فيرينا الأوغسطة خطاباً تقول فيه : " إنى أعلنكم بخصوص امبراطوريتنا بأنه عند وفاة الامبراطور ليون السعيد الذكر ، قد عينا الامبراطور تراسكاليسه الذى هو زينون ليكون المنفذ الأمين لأوامرنا وليقوم بحكم الشعب حكماً عادلاً ... لكننا وجدناه الآن غير صادق فى أمانته وتأكدنا شدة شرهه فاعتبرناه جباراً ومغتصباً وثائراً . وعينا بدلاً منه امبراطوراً مسيحياً محباً لله ، يمتاز بالشفقة والعدل ، ليتولى رفع شأن البلاد بحسن سلوكه ، وليضع حداً للحروب ، وليقوم بحماية رعاياه طبقاً للقوانين المرعية . وعليه قد توجنا ليونس امبراطوراً للدولة الرومانية " . غير أن الامبراطور زينون أخمد هذه الفتنة وهزم جيوشها ، وقتل زعمائها الثلاثة (٤٨٦ – ٤٨٧ م) . وبينما كان الامبراطور يصلى فى الكنيسة ، مرض بالدوسنتاريا ومات . وتولى الحكم بعده الامبراطور أنسطاسيوس .

الفصل الثالث

إستمرار الوفاق فى عهد الامبراطور أنسطاسيوس وباباوات الاسكندرية الأربعة المتعاقبين

(٤٩١ -٥١٨ م)

مقدمة :

أدخلت الأعوام من ٤٨٨ – ٤٩١ م ، ظاهرة جديدة ، فقد مضى من مسرح الأحداث كل من : بطرس القصار سنة ٤٨٨ م ، وأكاكيوس سنة ٤٨٩ م وخليفته فرافيتا (مارس ٤٩٠ م) ، والبابا بطرس منغوس سنة ٤٩٠ م ، والامبراطور زينون أبريل سنة ٤٩١ م ، كل بدوره . وفى فبراير من العام التالى سنة ٤٩٢ م تبعهم فيلكس الثالث أسقف روما . وبالرغم من موت أكاكيوس والأنبا بطرس منغوس فإن الهينوتيكون كان لا يزال باقياً على يد الامبراطور أنسطاسيوس Anastasius الأول (٤٩١ ـ ٥١٨م) . والأساقفة الخلفاء بالقسطنطينية قد قاموا بتوقيع الهينوتيكون بأسمائهم ، وبقيت الميول نحو الطبيعة الواحدة حتى توفى تيموثاوس بطريرك القسطنطينية والامبراطور أنسطاسيوس سنة ٥١٨ م . الذى يعتبر آخر الملوك الأرثوذكسيين (أى المؤمنين بالطبيعة الواحدة) بمدينة القسطنطينية . لذلك فى أيام مملكته تكاملت " السلامة والتعاليم الروحانية وأستقامت أمور البيعة المقدسة وكانت على أحسن نظام ، وبلغت الغاية بحلول النعمة وشمول الكفاية " .

إستمرت فترات الهدوء أيضاً خلال حكم أنسطاسيوس . ففى عهده توطدت أواصر التعاون بين كنيستى الاسكندرية وأنطاكية لاتفاقهما فى الإيمان الواحد . كما تمتع المصريون بالسلام ، إذ تعاقب فى مدة حكمه فى باباوية الاسكندرية أربعة بطاركة أرثوذكس . ولم يوجد فى تلك الفترة بطريرك دخيل بالاسكندرية ، ولاعتدال سياسته الدينية سادت روح السلام على الكنائس بأسرها إلا الكنيسة المعروفة الآن بالكاثوليكية ، التى لم يكف رؤساؤها عن معاكسة كل من لا يوافقهم على إعتبار مجمع خلقيدونية . وبينما ينظر الأرثوذكس إلى عهد أنسطاسيوس على أنه عهد سلام – كما سبق وأوردنا ، ينظر إليه المؤمنون بالطبيعتين على أنه كان عهد قلاقل وإضطراب ، وهذا أكبر دليل على ميل أنسطاسيوس لعقيدة الطبيعة الواحدة .

١ – أنسطاسيوس وموقفه من المؤمنين بالطبيعة الواحدة :

كان زينون قد سعى سعياً حثيثاً لإجلاس أخيه لونجينوس على العرش بعده . ولكن زوجته أريادن الامبراطورة لم تر فى لونجينوس الكفاءة اللازمة . وبعد وفاة زينون قاومت هى ورجال السناتو محاولات لونجينوس لأخذ الملك ، وآثروا عليه أنسطاسيوس الذى تزوجت أريادن به بعد وفاة زوجها بأربعين يوماً .

كان أنسطاسيوس فى الحادية والستين من عمره ، إتصف بالورع . وكان قد قضى شطراً وافراً من حياته فى القصر معاوناً فى التشريفات ، وله شهرة فى الورع والتقوى ودماثة الخلق . وعلى الرغم من ميله إلى القول بالطبيعة الواحدة ، فإن الشعب قابل إرتقاءه بالهتاف : " ليكن عهدك فى الحكم كعهد مركيان وكسيرتك فى الحياة الشخصية " . وترجع شهرة أنسطاسيوس فى العاصمة إلى عدة أسباب : فمن ناحية كان كريماً جداً فى إحساناته ورعايته للأيتام ، ومن ناحية أخرى كان غيوراً متديناً متمسكاً بعقيدة الطبيعة الواحدة . وقد نظر إليه الغربيون على أنه أوطاخياً هرطاقاً يجب رده إلى الكنيسة ، وكان هو يعلم فى الكنيسة بمجاهرة عقيدة الطبيعة الواحدة لأى شخص يهمه أن يستمع إليه .

وقبل ذلك بزمن قصير ، فإن البطريرك الجديد يوفيميوس (٤٩٠ – ٤٩٦ م) ، وهو خلقيدونى قوى وراهب سابق من أباميا ، حيث كان الصراع بين الجانبين مريراً ، كان قد منعه من فعل هذا وطرده من الكنيسة . والآن بعد فضح الامبراطور الجديد على أنه غير مستحق للحكم على المسيحيين ، فإن البطريرك صمم على أنه قبل أن يشترك فى أى إحتفال تتويج يجب أن يطلب من أنسطاسيوس بالتوقيع على إعلان مكتوب بالعقيدة الخلقيدونية . وهذا ما فعله وتزوج أريادن فى ٢٠ مايو . هذان الزوجان العجوزان كانا ليحكما الامبراطورية فيما بينهما لمدة ٢٧ عاماً ، وكانا ناجحين بدرجة مدهشة . وأنكسرت سلطة الأيسوريين المتعجرفة فى العاصمة . فى سنة ٤٩٨ م إنتهز أنسطاسيوس فرصة شغب فى ميدان السباق ليطردهم من العاصمة . ومقاومتهم المسلحة سحقت عندئذ ، وأستقروا ثانية فى أناتوليا .

لقب أنسطاسيوس بذيكورس أى ذى الحدقتين لاختلاف لون حدقتيه ، فإن إحداهما كانت سوداء والأخرى زرقاء . وقد قبل فى البداية تاج الملك على شرط أن يحفظ مراسيم مجمع خلقيدونية ، رغم أنه كان معروفاً بأنه من المؤمنين بعقيدة الطبيعة الواحدة . وفى أول أمره أخذ يهتم باتحاد الكنيسة وإزالة الشغب

والاضطراب فظنه الخلقيدونين فى صفهم ، ثم سمح بأن يعتقد كل إنسان بما شاء فى ما يتعلق بالدين غير معارض . وعندئذ حدث نوع من الانفصال فى وحدة الكنائس فإضطر إلى طرد بعض الأساقفة مقسياً على من يعتقدون بعقيدة الطبيعتين ، ونفى يوفيميوس بطريرك القسطنطينية لأنه رفض أن يحرم مجمع خلقيدونية ، وكذلك نفى خليفته مكدونيوس وأقام بدله تيموثاوس على عقيدة الطبيعة الواحدة .

كان غرض أنسطاسيوس هو الحفاظ على هينوتيكون زينون . أما عقيدته المفضلة فهى الطبيعة الواحدة . وقامت ضده فتنة خطيرة سنة ٤٩٣ م ، وقد واجه معارضة كبيرة فى علاقاته مع يوفيميوس بطريرك القسطنطينة الذى كرس نفسه لعقيدة خلقيدونية ، وكان يخطط للقيام بحملة ضد بطريرك الاسكندرية البابا بطرس منغوس وخليفته البابا أثناسيوس الثانى ، اللذان حرما مجمع خلقيدونية وطومس لاون . ولقد كتب يوفيميوس خطاباً لفيلكس أسقف روما يطلب معونته وذلك بدون معرفة الامبراطور . وفى تلك الأثناء أعلن بابا الاسكندرية ورئيس أساقفة أورشليم أن يوفيميوس هرطوقى ، وانعقد مجمع فى القسطنطينية أكد على الهينوتيكون ، وعندئذ أيده يوفيميوس . مما أدى إلى انزعاج واندفاع الناس إلى البلاط الملكى يطالبون الامبراطور ، بلا جدوى ، فى إستعادة يوفيميوس .

ولكن تم تعيين مكدونيوس فى القسطنطينية. ويبدوا أنه كان متمسكاً بنفس آراء يوفيميوس ، ولكنه لم يوقع على الهينوتيكون ، وقد حدث شغب كبير فى البلاط الملكى عام٤٩٨م إلا أن ضابط المدينة قد ألقى فى السجن بعضاً من أعضاء جماعة الخضر بتهمة إلقاء الحجارة . وإزداد الشغب وتم عقاب كثير من المسيئين وعين ضابط جديد . وفى عام ٥١١ م لقى مكدونيوس نفس مصير سابقه . وإزدادت ميول أنسطاسيوس نحو الطبيعة الواحدة ، وكان على وشك التخلى عن الروح المحايدة "الهينوتيكون" . وتم إنتخاب تيموثاوس الذى يؤمن بالطبيعة الواحدة بدلاً من مكدونيوس .

شمل الامبراطور أنسطاسيوس المؤمنين بالطبيعة الواحدة بعطفه ، فلما استتب له الأمر دعا رعاياه إلى قبول كتاب الاتحاد " الهينوتيكون" وتأييده . ووجد فى شخص فيلوكسينوس Philoxenos أسقف منبج خير عون لتأدية هذه الرسالة . وقد إشتهر فيلوكسينوس بشدة تمسكه بعقيدة الطبيعة الواحدة فجاب الأقطار مبشراً ناشراً التعليم بها حيثما حل . وكان أنسطاسيوس كلما زاد سناً زاد تعلقاً بالقول بالطبيعة

بالطبيعة الواحدة . وقد حاول إسترجاع التعهد الذى كتبه عند تتويجه من أسقف القسطنطينية يوفيميوس الذى رفض ، مما أدى إلى نفيه بعد مجمع محلى سنة ٤٩٦ م . وقد تصدى الامبراطور أيضاً لمكدونيوس خليفة يوفيميوس عندما عقد مجمعاً محلياً ثبت فيه مجمع خلقيدونية ونوى أن يكتب بذلك إلى كنيسة روما ، فمنعه الامبراطور .

وعندما أنهى الامبراطور سنة ٥٠٥م الحرب الفارسية بعد إخماد ثورة الأيسوريين وترتيب أمور الهون ، تمكن من إتباع سياسة إيجابية فى معالجة الموقف الدينى . فإستعان بساويرس وفيلوكسينوس الأنطاكيين . فأوعز إلى الأخير بمناقشة فلافيانوس الذى صار أسقفاً على أنطاكية منذ سنة ٤٩٨ م – وكان خلقيدونياً – ليحرجه فيخرجه . خاصة وأن فلافيانوس كان قد تم شئ من التفاهم والتعاون بينه وبين زميليه مكدونيوس أسقف القسطنطينية ، و إيليا أسقف أورشليم . وأخذ فيلوكسينوس يقاوم فلافيانوس وأعد رسالة فى مقومات الإيمان الصحيح ورفعها إلى البلاط الامبراطورى . فأمر أنسطاسيوس بوجوب حضوره إلى القسطنطينية . وبمجرد عودته منها دخلها ساويرس على رأس مائتى ناسك فلسطينى يحاربون الرهبان القائلين بالطبيعتين ... فظل ساويروس بالقسطنطينية ثلاث سنوات يخطب ويجادل ويؤلف فى سبيل الإيمان بالطبيعة الواحدة . وإنتهى الأمر بخلع مكدونيوس فى سنة ٥١١ م وإبعاده . وتمت سيامة تيموثاوس الأول (٥١١ – ٥١٨ م) أسقفاً على القسطنطينية .

وقد عاد فيلوكسينوس إلى منبج مركز إيبارشيته ليستأنف جهاده ضد فلافيانوس ، وبمجهوداته تم عقد مجمع فى صيدا عام ٥١٢ م ، قدم فيه المؤمنون بالطبيعة الواحدة طلباً بشجب مقررات خلقيدونية ، وأردفوا طلبهم هذا بسبعة وستين فصلاً فى تفنيد طومس لاون وقرارات مجمع خلقيدونية . وتمسك المجمع بالهينوتيكون ، وقد إنتهى الأمر بخلع فلافيانوس وإنتخاب وسيامة ساويروس أسقفاً لأنطاكية سنة ٥١٢ م . وقد عقد ساويرس مجمعاً فى أنطاكية سنة ٥١٣ م ، أقر التعليم بالطبيعة الواحدة وأكد التمسك بمجامع نيقية والقسطنطينية وأفسس ، وشجب مجمع خلقيدونية وطومس لاون . كما عقد مجمعاً فى صور سنة ٥١٤ م أيد المجمع السابق وفسر الهينوتيكون تفسيراً معاكساً لمقررات خلقيدونية . ولما لم يعترف إيليا أسقف أورشليم بأسقفية ساويرس الأنطاكى ، ولم يقر التعليم بالطبيعة الواحدة تم خلعه من قبل الامبراطور ونفيه إلى إيلية عند خليج العقبة سنة ٥١٦م .

وقد حرم تيموثاوس الأول أسقف القسطنطينية قرارات مجمع خلقيدونية وتفاهم مع ساويروس الأنطاكى ومع البابا يوحنا الثانى الاسكندرى . ولكن بعض أساقفة تيموثاوس قطعوا الشركة معه ودخلوا فى الشركة مع أسقف روما . وهكذا كثر المؤمنون بالطبيعة الواحدة فى أنطاكية ، وغيرها من الشرق .

أما فى مصر فإن الإيمان بالطبيعة الواحدة كان يعم البلاد إكليروساً وشعباً . حتى إن ساويروس Saverus الأنطاكى بعد توليه أسقفية أنطاكية سنة ٥١٢م وحرمه قرارات خلقيدونية ، صمم على أن يجعل بطريركيته كمصر فى إنتشار الإيمان بالطبيعة الواحدة . وقد تحقق له بعض ما أراد . واكتسب المؤمنون بالطبيعة الواحدة فى سوريا سطوة ونفوذاً تحت قيادة ساويروس الأنطاكى وفيلوكسينوس المنبجى ، كما كانت فلسطين أيضاً مسرحاً للعودة إلى الإيمان بالطبيعة الواحدة ، بينما فى مصر إكتسب المؤمنون بالطبيعة الواحدة تماماً اليد الطولى والسلطة العليا .

فى سنة ٥٠٨م عقد الامبراطور أنسطاسيوس مجمعاً بالقسطنطينية حرم المجمع الخلقيدونى ، وأحرق قراره الأصلى مع طومس لاون . وكانت سياسته الدينية حتى ٥١٠م مبنية على خطاب الهينوتيكون . وقد وصف بأنه رجل سلام . حتى إنه لمدة ٢٠ عاماً من بداية حكمه ، كانت سياسته الرسمية هى محاولة إسترداد الوحدة الدينية فى الامبراطورية .

هكذا كسب المؤمنون بالطبيعة الواحدة أثناء حكم أنسطاسيوس ، بالتدريج ، مركزاً بارزاً ونفوذاً أكبر فى سياسة الكنيسة . وحاول أنسطاسيوس إتخاذ مسار يتفق فى الخط مع الهينوتيكون ، الذى يعتبره الخلقيدونيون عملاً محايداً ، ولكن إيمانه بالطبيعة الواحدة ، جعله ينظر إلى الهينوتيكون كما ينظر إليه المؤمنون بالطبيعة الواحدة ، خاصة فى نهايات عهده .

٢- سياسة الامبراطور أنسطاسيوس نحو مصر :

أما عن مصر فقد بدأت علاقة أنسطاسيوس بها قبل توليه الحكم . فقد كان عارفاً بأحوال مصر ملماً بأخبارها . فأنسطاسيوس الذى كان أحد أمناء الامبراطور زينون ، نفاه الامبراطور إلى مصر فأقام فى مركز منوف (بمديرية المنوفية) مدة من الزمن . وكان له فيها أصدقاء كثيرون وقد شمله أهلها بعطفهم وإنسانيتهم . وحدث أن واحداً من أعيان منوف أشار على أنسطاسيوس وهو منفى بزيارة دير

القديس تيوفورس ، فى تلك النواحي ومقابلة راهب مشهور به اسـمه " أرميا " ذو سمعة طيبة لقداسته وتقواه ، عسى الله " يفرج كربته وينفث غمته " . وفى تقابلـه مع هذا الراهب تنبأ له بالملك وأوصاه بفعل الخير ، والابتعاد عن الشرور فى حكمه ، وأن لا يصادق على مجمع خلقيدونية لأن ذلك يغضب الله . وبعد ذلك بـزمن يسـير إستدعى أنسطاسيوس من المنفى وأقيم امبراطوراً .

وقد أرسل هدايا لخدمة الكنائس فى مصر ، ولأصحابه المصريين ، كما عين بعضهم حكاماً ومديرين فى الأقاليم . ومن ضمن إحساناته إلى مصر أنه شاد لها قلعة على شاطئ البحر الأحمر ، ورمم منارة الاسـكندرية المشـهورة وكانت قـد آلت للسقوط . وبإختصار فإن الأعمال الطيبة التى قام بها هذا الامبراطور كانت عديدة ، ولم يقم بين الأباطرة الرومانيين إمبراطوراً كان محباً لمصر ومحبوباً من المصريين مثل أنسطاسيوس ، الذى كان أميناً وعمل بـوصية القـديس أرميا واعتمد قـانون الامبراطور زينون ، وأمر بالتمسك بعقيدة إيمان الثلاثة مجامع المنعقـدة فى نيقـية والقسطنطينية وأفسس . وقد زاد المصريون غبطة وهناء عندما تمت سيامة الأنبـا أثناسيوس الثانى بطريركاً لهم بعد نياحة الأنبا بـطرس منغوس . هذا فى حـين أن يوفيميوس بطريرك القسطنطينية فى هذا الوقت كان خلقيدونياً .

كان العداء فى مصر موجهاً ضد خلقـيدونية وطومس لاون ، وكان البابـا بطرس قد حرم كلاهما ، وأنقذته وفاته من صراع مفتوح صريح آخر مع العاصمة . وبالرغم من الإعتراضات من القسطنطينية ، فإن خليفته البابا أثناسيوس الثانى سلك نفس المسلك . وكذلك فعل خليفتيه الأنبا يوحنا هامولا ، ثم الأنبا يوحنا نيقـيو عندما دعاهما بطريرك القسطنطينية لأن يقبلا خلقيدونية . وكانت الطبـيعة الواحـدة هى العقيدة المقبولة والمفضلة عند فئات الشـعب القبـطى . ومع ذلك فإن الشـركة مع القسطنطينية لم تنقطع ، ولم تسـتمر الخلافةالبـروتيرية (أىالبـطريرك الملكانى بالاسكندرية) .

أما الأسيفاليون الذين كانوا قد انفصلوا عن البابـا بـطرس منغوس فى زمن الهينوتيكون ، فلم يذهبوا إلى مدى إنشاء بطريركية . وإن ظلوا فى وجودهم يشكلون إزعاجاً لبـطاركة الاسـكندرية المتتالين ، ويظهرون ميلاً متنامياً ضد أى تسـوية للخلافات مع العاصمة الامبراطورية . على أن إنفصال الأسيفاليين أى الذين لا رأس لهم ، لم يستمر طويلاً ، إذ أرجعهم البابا مرقس الاسكندرى فى أوائل القرن التاسـع

الميلادى ، ورسم أسقفين منهم ثانية أحدهما على طنطا والآخر على أتريب (بـنها الحالية) .

بعد نياحة البابا بطرس منغوس عام ٤٩٠م ، فإن خلفاءه المباشرين الأربـعة وهم الباباوات : أثناسيوس الثانى ، يوحنا الأول ، يوحنا الثانى ، ديوسقوروس الثانى ، غامضون فى التاريخ وذلك لأن مركزهم كان راسخاً تماماً بحيث لم تحدث أحداث شاذة خلال عهدهم فى الاسكندرية .

وقد أظهر البابا أثناسيوس الثانى التحدى لخلقـيدونية . ويقـول عنه الأنبـا ساويرس بن المقفع إنه " كان رجلاً صالحاً مملوءاً أمانة وروح القدس وتمم ما أؤتمن عليه . ولم يكن فى أيامه شغب ولا إضطهاد فى البيعة المقدسة وأقام سبع سنين وتنيح فى العشرين من توت " .

تميز عهد البابا أثناسيوس الثانى وخلفائه الثلاثة بأنه وقت سلام . وقد خضع له المسيحيون فى سائر إيبارشيات القطر المصرى ، هذا وقد إستهل البابـا أثناسـيوس الثانى أعماله الباباوية بكتابة رسائل الشركة إلى الأساقفة الذين وقعوا على الرسـالة الدورية التى كتبـها الأنبـا تيموثاوس الثانى (إيلورس) فى عهد الامبـراطور باسيليسكوس ، والتى تدعمت بالهينوتيكون الذى نشـره الامبـراطور زينون على الأساقفة .

وحين وصلت رسالة الأنبا أثناسيوس الثانى إلى هؤلاء الأساقـفة ، ردوا عليه جميعاً مقدمين إليه تعزيتهم فى فقد الأنبا بطرس الثالث وتهنئتهم له بـالجلوس على كرسى مار مرقس الرسول ، وموطدين صداقتهم فى وحدة الإيمان .

وعند بداية تولية الامبراطور أنسطاسيوس أرسل أسقف روما مندوبين برسالة إلى الامبراطور تضمنت التهنئة بالعرش ، كما تضمنت رجاء الأسقف الرومانى من الامبراطور أن يصدر منشوراً ينقض به منشور زينون (الهينوتيكون) ، بحـجة أن المنشور المطلوب سيعيد كنيسة الاسكندرية إلى الشركة مع الكنيسة الغربية . فجمع الامبراطور بين سفراء أسقف روما وسفراء الأنبا أثناسـيوس الثانى فى العاصمة . إلا أن ذلك لم يأت بنتيجة بسبب إصرار الغربيين على إعتراف المصريين بـمجمع خلقيدونية ، الذى ظلوا يرفضونه ويحرمونه منذ عهد البابا ديوسقورس الأول .

وقد سلك الأنبا يوحنا الأول ، الذى صار بطريركاً بعد البابا أثناسيوس الثانى ، سلك سيرة من تقدمه من الآباء الفضلاء . وقد كتب إليه البطريرك ساويرس الأنطاكى رسالة تحتوى على مبادئ الإيمان القويم . وكان مكدونيوس بطريرك القسطنطينية قد قطع العلاقة مع كنيسة الاسكندرية وكنيسة أنطاكية وأثبت أعمال المجمع الخلقيدونى . فاجتمع عليه مجمع بأمر الامبراطور فى العاصمة أنزله من كرسى البطريركية ونفاه الامبراطور وأقام بدله تيموثاؤس ، الذى عقد مجمعاً رفض أعمال مجمع خلقيدونية وأعلن إتحاده مع كنيستى الاسكندرية وأنطاكية . وقد توفى البابا يوحنا الأول بعد أن أقام على كرسى الاسكندرية نحو ثمانى سنوات ونصف ، وتميز عهده بالسلام .

ظل البابا يوحنا الأول على وفائه ووجه الشعب إلى وجوب التمسك بالإيمان القويم . وكان السلام مستتباً ، لأن الامبراطور أنسطاسيوس كان هو أيضاً وفياً لاصدقائه المصريين وكان مسالماً ، لذلك لم يعد هناك ما يزعج الخواطر . وقد إزدهرت كنيسة الاسكندرية فى عهده ، لأن النفوس إطمأنت وهدأت القلوب . ولم يكدر صفو باباوية الأنبا يوحنا الأول غير الوباء الذى إنتشر فى الاسكندرية وقضى على الكثيرين من أبنائه . وقد دأب هذا البابا اليقظ على تفقد شعبه أثناء تفشى الوباء ليواسى المتألمين ويعزى الحزانى .

أما البابا يوحنا الثانى الذى أصبح بطريركاً فى سنة ٥٠٧م فكان راهباً من نيقيو فى الدلتا . وقد استمر فى شركته مع القسطنطينية رغم أنه حاول الحصول منها على إدانة محددة نهائية لخلقيدونية وفشل فى ذلك . وقد كتب له الأنبا ساويرس بطريرك أنطاكية سنوديقا بالاتحاد فى الأمانة الواحدة الأرثوذكسية التى للآباء القديسين ، فقبل البابا يوحنا وأساقفته الرسالة وقرأوها فى الكنائس فى كورة مصر . ورد البابا جوابها بكل فرح وابتهاج واستمرا فى تبادل رسائل الإيمان والمودة والفرح بذلك .

وبالمثل تبادل البابا يوحنا الثانى الرسائل مع تيموثاؤس بطريرك القسطنطينية ، متمسكين بالإيمان الصحيح رافضين الهرطقات مقرين بوحدة المسيح الطبيعية . كما كتب رسائل الشركة إلى الكثيرين من أساقفة الشرق وتقبل ردودهم . وقد أقام البابا يوحنا فى بطريركيته إحدى عشر سنة وتوفى فى السابع والعشرين من بشنس .

أما البابا ديوسقورس الثانى وهو ابن شقيق البابا تيموثاؤس الثانى (إيلورس) ، فإن أحداث عهده تعكس مكانة المؤمنين بالطبيعة الواحـدة ككنيسـة الاسـكندرية الرسمية . وقد تمت سيامته سنة ٥١٧م . وقد حدثت اضطرابات سياسية وشغب قتل فيها ثيؤدوسيوس والى الاسـكندرية البيـزنطى . فذهب البابـا الاسـكندرى إلى القسطنطينية مع وفد من الرهبان للتشفع لأجل المدينة . وكانت هناك أربعون حـالة إعدام لكن بعثة البابا ديوسقورس الثانى كانت ناجحة فى منع أى عقوبات أخرى عن المدينة كلها . ومما حدث فى القسطنطينية أن بعض الخلقيدونيين صاحوا مستهزئين به فى شوارعها ظناً منهم أنه جاء ليقدم عقيدته الإيمانية نحو الطبيعة الواحـدة . أما هو فقد عاد بسرعة إلى الاسـكندرية ، حـيث رد ثانية الكثير من الأسـيفاليين إلى الكنيسة .

كان البابا ديوسقورس الثانى وديعاً صالحاً ، تبادل رسائل الشركة مع الأنبـا ساويرس الأنطاكى ، وغيره من الأساقفة الأرثوذكسيين . ولكن لم تستمر حبـريته سوى سنتين وأربعة أشهر وستة وعشرين يوماً ، وتوفى فى اليوم السابع عشـر من شهر بابه . وكانت وفاته لاحقة على وفاة الامبراطور أنسطاسيوس ، ففقـدت مصر بموتهما رجلين عملا على تقدمها وبذلا جهدهما فى راحتها ورفاهيتها .

هذه الحبريات مع أنها غامضة فى صفحات التاريخ ، كانت شخصيات ذات أهمية فى عصرها ، كرؤوس التنظيم الكنسى المتواصل فى مصر ، وكشـخصيات ذات نفوذ فى الشئون العامة للكنيسة الشرقية . وقد وصل المؤمنون بالطبيعة الواحدة إلى ذروة النفوذ فى أعوام أنسطاسـيوس الأخيرة ، خاصة منذ أن صار سـاويرس بـطريركاً على أنطاكية سـنة ٥١٢م . وأصبحـوا من كل وجه هم الأسـاس فى الاسكندرية وأنطاكية ، كما أسكتت المعارضة فى القسطنطينية وأورشليم .

ويلاحظ أن الكنيسة الحبشية قد ظلت تحافظ على شروط الطاعة والخضوع لأمها الكنيسة المصرية ، فرفضت قرارات مجمع خلقيدونية وأبت الاعتراف بسلطة البـطاركة الأروام الذين كان الامبـراطور يعينهم على مصر ... وكانت رسـامة مطران الحبشة تتم على يد بطريرك الأقباط فى مصر ، ويستحـيل على الأحبـاش قبول أى مطران آخر لا يعينه بطريرك مصر .

هذا وقد تعرضت مصر فى سنة ٥٠١م لغزو جيش من الفرس لها ، حـيث

إستباحوا الوجه البحرى حتى وصلوا إلى أسوار الاسكندرية . ولكن الجيوش الرومانية صدتهم وهزمتهم فى مواقع عديدة وأجلتهم عن البلاد بالمرة ، بعد أن أخرب الفرس الزرع والضرع مما سبب مجاعة فى البلاد .

٣- التريصاجيون :ـــ

أولاً : ما هو التريصاجيون ؟ :

عند نهاية حياة الامبراطور أنسطاسيوس حدث نزاع حول العبارة المستعملة فى الصلوات الكنسية المعروفة بالتريصاجيون Trisagion ، كاد يكلف الامبراطور عرشه وحياته وعرض تاج الملك وكرسى الأسقفية للخطر .

والتريصاجيون (أى الثلاثة تقديسات) هى عبارة عن ترنيمة مستعملة فى الكنيسة منذ عهد الرسل – وأول من بدأ بترتيلها هما يوسف ونيقوديموس حين أنزلا جسد السيد المسيح عن الصليب – واستمرت حتى ظهور بدعة نسطوريوس الذى حذف منها الأجزاء التى تدل على اتحاد اللاهوت بالناسوت . لأنه كره عزو الصلب والآلام للإله ، كما كره تلقيب العذراء بوالدة الإله أيضاً . ولما كانت هذه التقديسات تحتوى بوضوح على هذين الأمرين ، وكان وجودها على هذه الكيفية يحول دون البلوغ إلى مراده ويمنع نشر مبادئه ، فإنه أنقص منها العبارات التى تدل على ولادة الإله وصلبه وقيامته واقتصر على أن تكون التقديسات هكذا : " قدوس الله قدوس القوى قدوس الذى لا يموت إرحمنا " ، وعملت بذلك كنيسة القسطنطينية وكنيسة أنطاكية خاصة بعد مجمع خلقيدونية حيث صارت تلك الترنيمة تميز الأرثوذكسيين عن الخلقيدونيين .

وبعد توقيع الهينوتيكون طلب البابا الاسكندرى الأنبا بطرس منغوس من مار بطرس القصار بطريرك أنطاكية أن يعيد إلى التريصاجيون ما حذف منها . مريداً بذلك أن يحفظ التقليد الرسولى سليماً من شوائب الزيادة والنقصان وينزع منه جرثومة بدعة نسطوريوس الوخيمة . فأصدر القصار منشوراً بذلك إلى كنائسه . كما تبعته كنيسة القسطنطينية . وكانت فى مصر مستعملة كما هى . أما الكنيسة الغربية فلأنها لم تقبل الاتحاد فلم تقبل أيضاً العودة إلى التريصاجيون بصورتها الأولى . وحسبت أن ذلك يعد زيادة ، وبدأت تلصق ببطرس القصار التهمة فى ذلك ملقبة إياه " صالب اللاهوت " أو ما عرف بجدال الثيوباسخيتة . وأخذ هورمسداس

أسقف روما (٥١٤-٥٢٣م) يثير النزاع حول التريصاجيون محرضاً أهالي القسطنطينية على تركها .

إذ أن فيلكس أسقف روما ونظراءه عوجوا ما قصده بطرس القصار معتقدين بأنه قصد أن الثلاثة أقانيم في اللاهوت صلبوا كلهم ، ولذلك سمى الذين أستصوبوا تلك الزيادة بصالبي اللاهوت . وكانت نتيجة هذا الجدال أن المسيحيين الغربيين رفضوا الترنيمة على هذا الأسلوب لأنهم فهموا أنها تشير إلى صلب الأقانيم الثلاثة . أما المسيحيون الشرقيون فأستمروا يستعملونها دائماً إلى وقتنا هذا بدون خطية ، لأنهم يعيدون الترنيمة إلى السيد المسيح وحده ، وإلى أقنوم واحد في الثالوث فقط . لأن الكنيسة حكمت أن يكرر المرتلون هذه الترنيمة ثلاث مرات وفي كل مرة يقولون قدوس ثلاث مرات ويشيرن بها إلى الابن المتأنس مؤيدة بها أفعاله الجوهرية وهي الولادة في الأولى والصلب بالثانية والقيامة بالثالثة (الرؤيا ٤:٨ ، ١:٧،٨ ، ٢٢:١٢ ، ٢٠، أعمال الرسل ١:١١) .

وكان إصرار الخلقيدونيين على ترك التريصاجيون راجع إلى إصرارهم على عدم الاعتراف بالطبيعة الواحدة . فهناك ترابط بين التعليم بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح الابن الكلمة المتجسد ، وهذه الترنيمة مما أدى إلى أن يرفض الخلقيدونيين العودة إليها .

<u>ثانياً : النزاع حول التريصاجيون ونتائجه :</u>

عدّل يوفيميوس بطريرك القسطنطينية – وكان خلقيدونياً – التريصاجيون مرة أخرى التي نتلوها قائلين : قدوس الله قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت ، يا من صلبت عنا إرحمنا " . فكان يوفيميوس لا يرددها كما سبق بل يذكرها هكذا : " قدوس الله قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت إرحمنا " . محتجاً في ذلك بأنه يمتنع عن ذكر ما لا يتفق بالثالوث الأقدس في شخصياته الثلاثة . وبناء على ذلك قام الامبراطور أنسطاسيوس بخلع يوفيميوس من رتبته وطرده من القسطنطينية ونفاه إلى أوخيطس البنطية ، وعين مكانه مكدونيوس الذي قبل من يده قانون الامبراطور زينون الذي لا يوافق مجمع خلقيدونية . وقد أمره الامبراطور أن يتلوا في صلاته الثلاثة تقديسات " أنت يا من صلبت عنا إرحمنا " . وهكذا سادت هذه القاعدة .

ولكن إنكشفت خلقيدونية مكدونيوس القسطنطيني عندما زار ساويرس

الأنطاكى ومعه عدد من الرهبان القسطنطينية . وكان لما وصل ساويرس ومعه مئتان من الرهبان إلى القسطنطينية ، وأستقبله فيها الامبراطور أنسطاسيوس بالتكريم ، أنه أخذ يعقد خدمات دينية يرتل فيها التريصاجيون كاملة " الذى صلب عنا إرحمنا " . كما قام ومن معه من الرهبان بتقديم النصح لمكدونيوس بعدما إنكشفت لهم خلقيدونيته . ولكن مكدونيوس والذين كانوا من صفه ، وكذلك أيضاً أنصار نسطوريوس قالوا بحدة : " إن الثلاثة تقديسات التى نذكرها هى التى يذكرها الملائكة فى تقديساتهم " . فأجابهم ساويرس قائلاً : " إن الملائكة يقولون : قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت إرفق بحالنا " . والواقع أن الملائكة ليسوا مضطرين أن يقولوا " يا من صلبت عنا إرحمنا " ، لأن صلبوت سيدنا لم يحدث من أجل الملائكة ، فهو خاص بنا نحن البشر لأن سيدنا يسوع المسيح مخلصنا صلب من أجلنا " .

أمام جهود ساويرس الأنطاكى ورهبانه وفيلوكسينوس المنبجى ، أمر الامبراطور أنسطاسيوس بطريرك القسطنطينية مكدونيوس بالعودة إلى التريصاجيون كاملة ، فاضطر مكدونيوس للخضوع لأوامر الامبراطور خوفاً من النفى . كما آل مكدونيوس على نفسه أن يقوم بإقناع الامبراطور والقضاة بالقول بأنه يعتقد بإعتقاد الشرقيين ، وصار يستعمل فى الكنيسة التريصاجيون كاملاً ، ولكنه كان يحرض الخلقيدونيين سراً ضد الامبراطور قائلاً لهم : " لقد أدخلوا على دين أبائنا المسيحيين تغييراً " .

فاجتمع الخلقيدونيون وتوجهوا إلى قصر الامبراطور لكى يقيموا الثورة ، فطردوا بلاطون الذى كان يدير كل أعمال الامبراطورية ، وهذا لخوفه ولى هارباً مختفياً . أما الثائرون ومن معهم من عسكر فصاحوا معلنين اسم امبراطور آخر وركضوا نحو مارين السريانى – أحد المشهورين ، فحرقوا منزله ونهبوا ممتلكاته وأرادوا قتله ولكنهم لم يجدوه إذ كان قد هرب . وكان مكدونيوس قد حرض الشعب على هذا الرجل التقى قائلاً " إن مارين هو الذى أبعد أفكار الامبراطور عن الدين الحق " .

وقد وجد الثائرون فى بيت هذا القاضى المشهور مارين راهباً شرقياً فأخرجوه وقتلوه ، ظناً منهم بأنه ساويرس الأنطاكى . وأخذوا رأسه وداروا بها فى كل المدينة صارخين : " هذا هو عدو الثالوث الأقدس " . ثم قصدوا بعد ذلك منزل

يوليانة التى يعتبرون أنها من عائلة الامبراطور ليون حتى يقيموا قرينها المدعو أريوبندا إمبراطوراً . أما هذا الأخير فعندما علم بقدومهم إليه هرب ، بينما إستمر الثائرون فى طغيانهم بلا رادع ...

عندئذ قرر الامبراطور أن يتخذ قراراً . فجمع مجلس الشيوخ وحضر إلى العرش متزراً بملابسه الامبراطورية . فلما رآه الشعب شعر بمرارة كبيرة وكان الجميع مملوئين حزناً وندماً خائفين من غضب الامبراطور ، وطلبوا منه الصفح معترفين بخطئهم . فرفع الامبراطور صوته وقال لهم : " لا تخافوا فإنى صفحت عنكم " . وفى الحال إنصرف كافة الشعب وإلتزموا مساكنهم ، وأستتب الأمن بعد ذلك .

وقد تمكن الامبراطور هذه المرة من تهدئة الغوغاء المضطربة ، ولكنه إضطر إلى نفى البطريرك مكدونيوس .

ذلك أنه بعد أيام قليلة قام هؤلاء الأشخاص بثورة جديدة ، وحينئذ أمر الامبراطور أنسطاسيوس بجمع عدد كبير من العساكر فقبض على هؤلاء الثائرين . وعندما حضروا أمام الامبراطور ، حكم على بعضهم بكسر جميع أعضائهم ، وعلى البعض الآخر بالموت ، والبعض بالنفى . وقد خاف باقى سكان المدينة من سطوة الامبراطور ، الذى أمر بنفى مكدونيوس لأنه كان السبب فى فقدان الكثيرين من الناس ، وجرده من رتبه الكهنوتية وأعتبر من القتلة وطرد من حظيرة المؤمنين محروماً .

هذا بينما تجمع حول ساويرس الأنطاكى حينما كان بالقسطنطينية ، الكثيرون من أخصام مكدونيوس أى المؤمنين بالطبيعة الواحدة . وكانوا يسبحون التريصاجيون كاملاً . وبسبب التريصاجيون حدث هياج شعبى عظيم جعل أنسطاسيوس يخشى سوء العاقبة . وقد تم إبعاد مكدونيوس بدون مقاومة .

ثم أوعز الامبراطور بتنصيب تيموثاوس الأول (٥١١ـ٥١٨م) بطريركاً على القسطنطينية الذى قام بحرم قرارات مجمع خلقيدونية ، وأعاد الاتحاد مع الاسكندرية وأنطاكية ، وأخذ بالتريصاجيون كاملاً ، رغم ما أحدثه الخلقيدونيون من إضطرابات .

ثالثاً: التريصاجيون وحزبي الزرق والخضر :

كان يقوم فى قلب العاصمة القسطنطينية ملعب فسيح يدعى الهيبودروم Hippodrome الذى إرتاحت نفوس سكان العاصمة إلى سباق الخيل فيه ، ونشطوا لمراقبة هذه السباقات وتحمسوا لها . وكان على سائقى عربات السباق أن يتزيوا بواحد من أربعة ألوان : إما الأخضر أو الأزرق أو الأبيض أو الأحمر . فانقسم النظارة من سكان العاصمة إلى أحزاب رياضية أربعة : الخضر والزرق والبيض والحمر . وانتظمت هذه الأحزاب ، وتكتل أفرادها وتكاتفوا ، فأنشأوا لكل منها صندوقاً خاصاً لتشجيع السائقين وشراء الجياد السباقة والعناية بها . ولا نعلم بالضبط كيف وقع الإختيار على هذه الألوان التى تسمت بها هذه الأحزاب . ولكننا نعلم انها قديمة جداً وأن روما الجديدة ، ورثتها عن روما القديمة . ثم نتج عن التضامن فى حقل الرياضة تضامناً فى السياسة والاجتماع . وإنضم البيض إلى الخضر ، والحمر إلى الزرق ، فأصبح فى العاصمة حزبان سياسيان إجتماعيان : حزب الخضر وحزب الزرق .

كانت الأحزاب البيزنطية " الزرق " و" الخضر " منظمات للأهداف السياسية وليست لمجرد الرياضة . حقاً إنها ربطت نفسها بأحزاب السيرك القديمة ، واتخذت أسماءها وألوانها ، ولكن ساحة القسطنطينية مثل ساحة روما وساحة أثينا ، كانت أيضاً المكان الذى فيه تؤخذ أصوات الآراء السياسية للشعب . وبذلك لعبت هذه الأحزاب دوراً خطيراً فى تاريخ بيزنطة ، وكانت تمثل جبهة المعارضة الفعلية بالنسبة للسلطات المطلقة للحاكم .

كان قادة هذه الأحزاب تعينهم الحكومة ، وكان لها وظائف عامة هامة ، لأنها كانت تخدم كحرس للمدينة وكانوا يشاركون فى إصلاح أسوار المدينة . وكان باقى الشعب ينتظم خلف هذه الأحزاب ، فينضمون إلى الخضر أو إلى الزرق يؤيدون الواحد ويهاجمون الآخر . وهكذا فى جميع المدن الكبرى للامبراطورية ، كان الخضر والزرق يلعبون دوراً هاماً جداً ، حيث أنه عن طريقهم كان الشعب يدلى بصوته عن السياسة . ولم يكن صحيح التفكير فى أن الزرق كانوا الحزب الأرستقراطى ، وحزب الخضر كانت تؤيده الطبقات الاجتماعية السفلى . فعلى وجه العموم كانت الكتل الجماهيرية لعامة الشعب توجد فى كلا الحزبين . مع أن الزرق كانوا يميلون إلى إجتذاب قادتهم من أعضاء كبار ملاك الأرض وأرستقراطية

اللوردات الروم الإغريق ، وكان الخضر من ممثلى التجارة و الصناعة ، وكذلك من أولئك الذين فى خدمة القصر و الإدارة المالية ، الذين نشأوا أصلاً فى الأراضى الشرقية للامبراطورية .

ولقد أدى الصراع بين الحزبين إلى إثارة حروب داخلية مريرة ، وإن كان الحاكم كثيراً ما يعتمد فى تثبيت سلطاته على ضرب كل فريق بالآخر . لكن تلك الأحزاب كانت سلاحاً ذا حدين فإنها كانت دائمة الثورة على سلطات الحاكم المطلق ، بل كثيراً ما إتحد الحزبان ضده ، فصارت ممثلة للشعب أمام الحاكم . وكان نفوذ تلك الأحزاب يزداد وينتشر ، من العاصمة إلى المدن الامبراطورية . ولقد إزدادت أهميتهم السياسية إبتداء من القرن الخامس وصاحب ذلك إنتشار الفوضى ، وأصبح التأييد الحزبى ضرورة لازمة لكل طلاب الوظائف المدنية .

أما من الناحية الدينية فقد أيد الزرق عقيدة الطبيعتين (الخلقيدونية) ، بينما أيد الخضر الطبيعة الواحدة . وهذا هو الذى أدى إلى إزدياد تأثير حزبى الخضر و الزرق منذ تلك الفترة .

إنحاز ثيؤدوسيوس الثانى – وكان مؤيداً لعقيدة الطبيعة الواحدة ولكل من البابا كيرلس الاسكندرى و البابا ديوسقوروس خليفته – إنحاز للخضر . أما مركيان ففضل الزرق ، وكان مثله ليون ، وكانا خلقيدونيين أيدا عقيدة الطبيعتين . وفعل مثلهما زينون فى بداية عهده فقط . لكن أنسطاسيوس كاد يكلفه إنحيازه للخضر ومناصرته لعقيدة الطبيعة الواحدة عرشه ، فقد حاربه الزرق سنة ٥١٢ م وأحرقوا المبانى الحكومية وكسروا تماثيل الامبراطور ، وقامت فتنة ضده إضطرته – فى نهاية عهده – لتغيير سياسته . أما جستنيان justinian فكان متحمساً للخلقيدونية ، فأنضم إليه الزرق . ولكن ثيودورا Theodora زوجته عطفت على الخضر فإنقسم البلاط نفسه إلى أزرق و أخضر .

<u>رابعاً : مصير التريصاجيون :</u>

كانت صيغة التريصاجيون تبين – ولمدة جيلين أو ثلاثة أجيال بعد خلقيدونية ، أنها تملك حياة وقوة كافية لأن تكون أكثر تأثيراً وفاعلية فى أكثر الحركات و الأفكار تنوعاً . وهى تبين أثناء هذه الفترة أنها كانت التعبير عن الحياة الروحية و اللاهوتية فى الشرق بصفة عامة .

ومن الواضح أن عقيدة الطبيعة الواحدة لم تسمح لنفسها أن تتمادى بـــتطرف بفعل الضربة التى أصابتها من خلقيدونية ، وهذا برهان على جودة قضيتها وقوتها. فالمؤمنون بالطبيعة الواحدة كانوا يميلون بشدة إلى الابتعاد عن " الأوطاخية " . وفى الحقيقة فإن أوطاخى نفسه ترك لمصيره .

ثم الاستعداد الذى أظهره قطاع كبـــير من المؤمنين بالطبـــيعة الواحـــدة لأن يصلوا إلى وفاق مع الخلقيدونيين ، لو فقط استبـــعدت العقـــيدة الخلقـــيدونية وكذلك طومس لاون . هذا الاستعداد هو برهان على أنهم ظلوا يحافظون بشدة وحـــزم على موقف البابا كيرلس الاسكندرى .

عارض هورميسداس أسقـــف روما – عن طريق مندوبـــيه – التريصاجيون على أنه غير مطابق للإيمان بالطبيعتين ، واضعاً نصب عينيه طومس لاون . وبعد سنة٥١٨ م أصبح أسقف روما نفســـه داخلاً فى الموضوع . إذ توترت العلاقـــات ، وكان من المرغوب فيه أن يصدر الامبراطور ، بصفة عاجلة ضرورية ، قراراً فى ذلك . وتردد هورميسداس فى إعطاء إجابة ، فهو لم يرغب فى التنصل من مندوبيه ولا فى الرفض الصريح جداً لصيغة التريصاجيون .

والامبراطور جستنيان الذى فى مبدأ الأمر لم يوافق على الصيغة ، طالما هو لا يزال يسعى فى إثر فيتاليان ، فإنه بعد ذلك تمسك بها بقوة أكثر ، وحـــث أكثر على التمسك بالتفســـير الكيرلســـى . وعندما واتته الســـلطة ، جعل أساقـــفة روما أيضاً يعترفون بها . وحرم بعض الموالين للخلقيدونية الذين كانوا لا يزالون يرفضونها .

وقد أقـــنعت الملكة ثيودورا الإمبـــراطور جســـتنيان فيما بـــعد فصدق على التريصاجون رسمياً . كذلك عادت الكنيسة الغربية إلى اســـتعماله فى عهد يوحـــنا الثانى خليفة هورميسداس . مما يثبت مدى القلاقل التى كانت روما تحـــاول زرعها منذ المجمع الخلقـــيدونى . فلم يكن مبـــرر لتدخل أسقـــف روما فى النزاع حـــول التريصاجيون إلا لفصم عرى الإتحاد الذى تم منذ عهد زينون بين الكنائس الشرقية .

هكذا هدد الصراع باتساع فجوة الشقاق الدينى بين روما والقسطنطينية ، منذ عهد زينون إلى أن جاء جستين ، الذى عمل على إزالة هذا الشقاق عن طريق العودة إلى مراسيم خلقيدونية وموافقة روما على رأيها .

٤- نهاية عهد أنسطاسيوس وتأثيراته :

عندما جاء أنسطاسيوس إلى العرش قدم ، حسب طلب بطريرك القسطنطينية ، إعترافاً رسمياً بالخلقيدونية ، مع أنه كان مؤيداًغيوراً لعقيدة الطبيعة الواحـــدة . وفى البداية إتخذ قاعدته على الهينوتيكون ولكن سياسته الكنسية أصبحت بالتدريج نحـــو الطبيعة الواحدة أكثر فأكثر فى لبها ، إلى أن أعطىأخيراً تأييده التام لتلك العقـــيدة . وكان هذا مصدر رضى كبـــير للأقبـــاط والســـريان ، ولكن حـــنق عليه بـــمرارة البيزنطيون الخلقيدونيون . ولمجاهرة الإمبراطور بالطبيعة الواحدة أصبح هو بطل الخضر ، ولذلك كان الزرق يهاجمونه بـــــعنف . وفىســــنة ٥١٢م إندلع تمرد فى القسطنطينية ضد التريصاجون الذى كان على وشك أن يكلف أنسطاسيوس عرشه . ووصلت الأزمة إلى قمتها مع ثورة فيتاليان vitalian .

وفيتاليان هوقائدالجند فى إقـــليم تراقـــيا ، بـــدأ بـــثورته ســـنة٥١٣م ضد الامبراطور . وإنتزع ولايات تراقيا وسيتيا وميزيا ، وجمع حوله جيشـــاً عظيماً من الهون والبلغار الذين كان أغلبهم من الوثنيين . وقد نصب نفسه نصيراً للخلقيدونية ، وساعدته فى ثورته سياسة الامبراطور الدينية وموقفه تجاه البلغار ، وكذلك إنخفاض شعبية الامبراطور بين الخلقيدونيين .

إحتل فيتاليان وارنة على البحر الأسود ثم تقدم نحـــو العاصمة ســـنة ٥١٤م بجيشه وإسطوله ، مطالباً بـــإلغاء التسبـــيح بـــالتريصاجيون وبـــإعادة البـــطاركة الخلقيدونيين من منفاهم . وقد هاجم العاصمة براً وبحراً فصُد عنها ، وعاد بـــرجاله إلى بورغاس وبقى فيها ثائراً .

حاصر فيتاليان القسطنطينية وأباد خمساً وستين ألفاً من زملائه المسيحـــيين ولما لم يكن لدى الامبراطور جيش كاف لمواجهته ، إضطر الامبراطور للتراجع . وحصل فيتاليان على وعد بإعادة الأساقفة وأولهم مكدونيوس وإرضاء أسقف روما وإقرار مجمع خلقيدونية . ومع ذلك فقد تمكن الامبراطور من هزيمة فيتاليان ســـنة ٥١٥ م . الذى كان متعللاً بأخذ الثأر للخلقيدونية وهو فى الحقيقة إنما يطلب الملك .

ورغم هزيمة فيتاليان إلا أنه إستمر ثائراً غاضبا حتى وفاة الامبـــراطور فى التاسع من يوليو سنة ٥١٨ م . فقد توفيت الامبراطورة ســـنة ٥١٥ م ولحـــق بـــها الامبراطور وهو فى الثمانين فى يوليو ٥١٨ م ولم يكن له أولاد ولم يعين خلفاً له .

وكان من سوء حظ مصر أنه مات الامبراطور أنسطاسيوس ولحق به البابا ديوسقورس الثانى الاسكندرى ، ففقدت مصر بموتهما رجلين عملا على تقدمها وبذلا جهدهما فى راحتها ورفاهيتها . ومن المشكوك فيه ما إذا كان السلام مع مصر وسوريا البعيدتين عن العاصمة سيستمر بعد عهد أنسطاسيوس ، ذلك السلام الذى كان – على أى حال – قد تحقق فقط على حساب القلاقل المستمرة فى قلب الامبراطورية .

وبموت الامبراطور أنسطاسيوس كان على مصر أن تدخل فى مرحلة جديدة من مراحل الصراع مع الامبراطورية البيزنطية ، وأن تتحمل الكنيسة القبطية والشعب القبطى الدور الثانى من الاضطهاد الخلقيدونى فى الفترة من سنة ٥١٨ م حتى سنة ٦٤١ م .

المصادر والمراجع

أولاً | المصادر والمراجع العربية والمعربة :

١- مخطوطات .

٢- مصادر عربية ومعربة .

٣- مراجع عربية ومعربة .

٤- دوريات .

ثانياً | المصادر والمراجع الأجنبية .

أولاً/ المصادر والمراجع العربية والمعربة

١- مخطوطات

١- مخطوط : سيرة القديس الأنبا مقاره أسقف قاو وضعه البابا ديوسقورس الاسكندرى وبه أيضاً سيرة البابا ديوسقورس . نسخة بخط الراهب القمص شنودة الصومعى البرموسى سنة ١٩٤٤م ، موجود بدير الأنبا مقار ، عن الأصل المحفوظ بدير البراموس .

٢- مخطوط لا ٣ : إعتراف الآباء معلمى البيعة - محفوظ بمكتبة دير الأنبا مقار ببرية شيهيت . الناسخ جرجس ميخائيل سنة ١٤٨٩ ش / ١١٨٧ هـ . عن نسخة قديمة بخط المعلم حناالله من عهد البابا خرستوذولس البطريرك ٦٦ . ومكان النساخة كنيسة حارة الروم السفلى محروصة مصر (القاهرة) . المهتم القس برسوم الأنطونى .

٣- مخطوط ١٣٩ لاهوت بدير السريان : وهو كتاب مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين - تأليف الشيخ الفاضل أبو إسحق ابن الفضل المعروف بابن العسال . المهتم رافائيل ملطى الأسيوطى الملقب أبو الرؤوس - والناسخ حنس ابن ميخائيل سنة ١٥٧٢ ش.

٤- مخطوط ٢٨٩ ميامر بدير السريان : وبه سيرة القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين كتبها تلميذه القديس الأنبا ويصا - إهتم به الأرشيدياكون عبد القدوس متياس - والناسخ يوحنا بن صليب الفيومى خادم الدير .

٥- مخطوط ٢ تاريخ بدير الأنبا أنطونيوس : وهو الجزء الأول من تاريخ ابن المكين (ابن العميد) . الناسخ القمص أندراوس الأنطونى سنة ١٥٩٩ ش .

٦- مخطوط ١١ تاريخ بدير الأنبا أنطونيوس : به أقوال عن المجمع الخلقيدونى . الناسخ أبيب بن نصر سنة ١٤٧٧ ش/١١٧٤هـ . المهتم القمص قرياقوص الأنطونى .

٧- مخطوط ٦١ تاريخ وميامر بدير الأنبا أنطونيوس : به ميمر عن القديس ديوسقورس البطريرك ٢٤ وهو سيرته سطرها تاوبسطس شماسه . والمخطوط مترجم إلى العربية وتاريخ نساخته سنة ١٤٥٤ ش .

٨- مخطوط ٦٤ لاهوت بدير الأنبا أنطونيوس : بـــه عن المجامع ، وما جرى بـــعد الافتراق فى خلقـــيدونية من الأمور المحـــدثة ، وأمانة القـــديس مار يعقـــوب لبرادعى . الناسخ الراهب القس إبراهيم سنة ١٤٥٧ ش . أوقفه على الدير البابا بطرس الاسكندرى (١٠٩) فى ٢٦ برمودة سنة ١٥٣٢ش .

٢- مصادر عربية ومعربة

١- الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .

٢- ابن الراهب : وهو تاريخ أبى شاكر بطرس بن أبى الكرم بن المهذب المعروف بابن الراهب . عنى بنشره الأب لويس شيخو اليسوعى . بيروت سنة ١٩٠٣ م.

٣- تقى الدين أحمد بن على المقريزى : الماعظ والاعتبار بـــذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية . ثلاثة أجزاء . تحقـــيق محـــمد زينهم ، مديحـــة الشرقاوى . مكتبة مدبولى سنة ١٩٩٨م .

٤- رينيه باسيه : السنكسار القبطى اليعقوبى . طبـــعة خاصة للدارســـين بـــمعهد الدراسات القبطية . إعداد وتعليق الراهب صموئيل السريانى (حالياً نيافة الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر) .

٥- الأنبا ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة . طبعة خاصة للدارســـين بـــمعهد الدراسات القبطية . إعداد وتعليق الراهب صموئيل السريانى (حـــالياً الأنبـــا صموئيل أسقف شبين القناطر) سنة ١٩٨٤م .

٦- الأنبا ساويرس بن المقفع : كتاب المجامع – تاريخ (خبر) المجالس .

٧- سعيد بن بطريق : التاريخ المجموع على التحقـــيق والتصديق . المجلد الأول . بيروت سنة ١٩٠٥م .

٨- الراهب فرنسيسكوس مريا (القاصد الرسولى الى مصر) : فيما جرى فى بيعة الاسكندرية بعد المجمع الخلقيدونى سنة ٤٥١ م . وهو مخطوط كتبـــه الراهب المذكور بالعربية سنة ١٦٩١ م ، وحققه الدكتور إسحق عبـــيد ونشـــر ضمن حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس – المجلد الثالث عشر ســـنة ١٩٧٠م . مطبعة جامعة عين شمس سنة ١٩٧٢ م .

٩- الراهب القس فرنسيس مريا : مضمون المجمع الخلقيدونى فى علة هرطقة أوطاخى المنافق . كتبه المؤلف باللاتينية ثم قام بترجمته إلى العربية بتكليف من بابا روما وأهدى إلى البابا يوحنا بطريرك الاسكندرية وسائر من بابا روما وأهدى إلى البابا يوحنا بطريرك الاسكندرية وسائر الأقباط ومن يتفقون معهم فى الإيمان . طبع بمدينة رومية الكبرى سنة ١٦٩٤ م .

١٠- مراد كامل : المختار من تاريخ يوحنا النقيوسى - مترجم عن الفرنسية - الناشر مجلة نهضة الكنائس . جـ١ فى العدد ٨،٧ لسنة ١٩٤٨ م ، جـ٢ فى العدد ٨،٧ لسنة ١٩٤٩ م .

١١- مينا أفندى إسكندر المحامى : القول الإبريزى للعلامة المقريزى . سنة ١٨٩٨م .

٣- المراجع العربية والمعربة

١- أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر . جـ١ .

٢- إدوارد جيبون : إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها . الجزء الأول . ترجمة محمد على أبو درة ، راجعه وقدم له أحمد نجيب هاشم .

٣- إدوارد جيبون : إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها . الجزء الثانى . ترجمة لويس اسكندر . راجعه وقدم له أحمد نجيب هاشم. سنة ١٩٦٩ م .

٤- القمص أرمانيوس حبشى شتا البرماوى : بطل الأرثوذكسية العظيم ديوسقورس البطريرك الخامس والعشرين القاهرة طبعة ١٩٣٨م ، طبعة ١٩٨٨م مراجعة وتقديم نيافة الأنبا غريغوريوس ونشرتها جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية .

٥- إستفانوس قوميطا : الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة . أورشليم١٨٦٧ م .

٦- القس إسحق أرملة : بحث تاريخى عن السريان فى القطر المصرى . بيروت ١٩٢٥م .

٧- إسحق عبيد : الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة فى مدينة الله . تقديم الأب جورج شحاتة قنواتى . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٢ م .

٩- المطران إسحق مسعد : نشـأة الطوائف فى المسيحـية - دار التأليف والنشـر للكنيسة الأسقفية .

١٠- أسد رستم : الروم فى سياسـتهم وحـضارتهم ودينهم ، وثقـافتهم وصلاتهم بالعرب . الجزء الأول . الطبعة الأولى بيروت ١٩٥٥ م .

١١- أسد رستم : كنيسـة مدينة الله أنطاكية العظمى . الجزء الأول (٣٤-٦٣٤م) منشورات النور . بيروت لبنان .

١٢- أسد رستم : نحن وروما والفاتيكان . بيروت ١٩٥٩ م .

١٣- مار أغناطيوس زكا الأول عيواص : كنيسة أنطاكية السريانية عبر العصور . حلب ١٩٨١م .

١٤- مار أغناطيوس يعقوب الثالث : الكنيسة السريانية الأنطاكية الأرثوذكسـية . ١٩٧٤م .

١٥- أ . ل . بتشر : تاريخ الأمة القبطية وكنيستها . المجلد الثانى . تعريب اسـكندر تادرس ١٩٠١م .

١٦- السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية . القاهرة ١٩٦١م .

١٧- نخبـة من العلماء (أمين الخولى وآخرون) : تاريخ الحـضارة المصرية . المجلد الثانى .

١٨- أنتونى سوريال عبد السيد : الكنيسة المصـرية القبطـية وكنيسـة أثيـوبيا . (١٨٥٥-١٩٠٩م) تقديم نيافة الأنبـا غريغوريوس أسقـف البحـث العلمى ١٩٨٥م .

١٩- القمص أنطونيوس الدويرى البرموسى : مذكرات - موجز تاريخ المسيحية - الكتاب الثانى فى تاريخ الكنيسـة القبـطية الأرثوذكسـية من عصر المجامع المسكونية إلى الوقت الحاضر . القاهرة ١٩٦٠م .

٢٠- إيريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية . الجزء الأول والجزء الثانى . الطبعة الثالثة . مطبـعة الكرنك الاسـكندرية : جـ١ سـنة١٩٧٨ م ، جـ٢ سنة١٩٧٩م ، جـ٥ القاهرة سنة١٩٨٤م .

٢١- الأنبا إيسوذورس : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة . جزءان . قام بالطبـع القمص عطا الله أرسانيوس المحرقى .

٢٢- الأنبا إيسوذورس : حسن السلوك فى تاريخ البطاركة والملوك .
٢٣- " " : البينات الوافية والبراهين الثاقبة .
٢٤- القمص باسيليوس إسحق : الكنيسة والسياسة . ١٩٦٥ م .
٢٥- الأنبا بطرس أسقف مليج وآخرون : السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين . جزءان. الناشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية .
٢٦- القمص تادرس يعقوب ملطى : الاصطلاحان " طبيعة " و" أقنوم " فى الكنيسة الأولى . ١٩٨٧م .
٢٧- القمص تادرس يعقوب ملطى : الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية . ١٩٨٦م .
٢٨- القمص تادرس يعقوب ملطى : الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة علم ولاهوت . القاهرة . طبعة تحضيرية ١٩٨٦ م .
٢٩- الأرشميندريتى جراسيموس مسرة اللاذقى : تاريخ الانشقاق . الجزء الأول . الاسكندرية ١٨٩١م .
٣٠- الأب جورج شحاتة قنواتى : المسيحية والحضارة العربية . بيروت .
٣١- جوزيف نسيم يوسف : دراسات فى تاريخ العصور الوسطى . الاسكندرية ١٩٨٣م .
٣٢- حكيم أمين : دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية مع دراسة مقارنة لرهبنة وادى النطرون . القاهرة ١٩٦٣ م .
٣٣- حنانيا إلياس كساب : مجموعة الشرع الكنسى مع فصول فى أعمال وأسباب إنعقاد المجامع والعقائد والبدع . بيروت ١٩٧٥ م .
٣٤- رأفت عبد الحميد : ملامح الشخصية المصرية فى العصر المسيحى . تقديم الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى . ١٩٧٧ م .
٣٥- رؤوف حبيب : تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارهما. القاهرة ١٩٧٨م.
٣٦- زبيدة محمد عطا : الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أنسطاسيوس . دار الفكر العربى .
٣٧- زكى شنودة المحامى : موسوعة تاريخ الأقباط . جـ١ . طبعة ثانية ١٩٦٨ م .

٣٨- ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة زكى على ١٩٦١ م .

٣٩- سعد قوسة سعد : أمجاد العصر القبطى . راجعه وقدم له الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى ١٦٨٨ش ./١٩٧١م .

٤٠- سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى . جـ١ (التاريخ السياسى) الطبعة السادسة ١٩٧٥م .

٤١- سمير نوف : تاريخ الكنيسة المسيحية . تعريب المطران ألكسندروس جما . بيروت ١٩٦٤م .

٤٢- شارل ديل : فصل عن تكوين الامبراطورية الشرقية . مترجم ومنشور ضمن كتاب الامبراطورية البيزنطية لنورمان بينز . ١٩٥٠ م .

٤٣- قداسة البابا شنودة الثالث : طبيعة المسيح . ١٩٩١ م .

٤٤- عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية . الهيئة العامة للكتاب . ١٩٧٧ م .

٤٥- الخورى عيسى أسعد : الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية . حمص ١٩٢٤م .

٤٦- الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى : ما بين الاسكندرية وروما وبيزنطة ١٩٧٤ م .

٤٧- الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى : مذكرات فى علم اللاهوت المقارن (هرطقات : ٦- الأوطاخية) .

٤٨- غريغوريوس بولس بهنام (مطران بغداد والبصرة للسريان الأرثوذكس) : البابا ديوسقورس حامى الإيمان . مراجعة وتقديم الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى . الطبعة الثانية ١٩٨٦ م .

٤٩- فرنسيس العتر : الأمة القبطية وكنيستها الأرثوذكسية . ١٩٥٣ م .

٥٠- الإيغومانوس فيلوثاؤس المقارى والقس ميخائيل المقارى : الصادق الأمين فى أخبار القديسين . جزءان . طبعة أولى ١٦٢٩ للشهداء (١٩١٣م) .

٥١- كنيسة السيدة العذراء مريم بجرجا (الناشر) : سيرة الثلاث مقارات القديسين (القديس مقاريوس الكبير ، والقديس مقاريوس الأسقف والقديس مقاريوس الاسكندرى) تقديم : نيافة الأنبا مينا مطران كرسى جرجا وتوابعها . ١٩٣٣م .

٥٢- القمص كيرلس الأنطونى (المتنيح نيافة الأنبا باسيليوس مطران الكرسى الأورشليمى) : عصر المجامع .

٥٣- الأنبا كيرلس مقار (بطريرك الكاثوليك التبع) : الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة . جـ ١، ٢، ٣. ترجمه من الفرنسية الأنبا إيسوذورس .

٥٤- لومند الفرنسى : خلاصة تاريخ الكنيسة . ترجمة الخورى يوسف البستانى . مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين فى بيروت ١٨٨١ م .

٥٥- الأب متى المسكين : الرهبنة القبطية فى عصر القديس أنبا مقار . دير أنبا مقار . الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

٥٦- محمود محمد الحويرى : رؤية فى سقوط الامبراطورية الرومانية . دار المعارف ١٩٨١ م .

٥٧- مراد كامل ، محمد حمدى البكرى : تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى الفتح الإسلامى . مصر ١٩٤٩م .

٥٨- مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى . دار العالم العربى .

٥٩- القس منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية . طبعة ١٩٨٣ م .

٦٠- منير شكرى : أديرة وادى النطرون (تاريخها - عمارتها - أنظمتها - آباؤها) رسالة مارمينا السادسة . مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية ١٩٦٢ م .

٦١- ميخائيل شاروبيم بك : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث . الجزء الأول . الطبعة الأولى . بولاق . ١٨٩٨ م .

٦٢- القمص ميخائيل مينا : علم اللاهوت - ثلاث مجلدات .

٦٣- ناصر الأنصارى : موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم مع صورهم وأعلامهم ورموزهم . دار الشرق ١٩٨٧ م .

٦٤- نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية . تعريب حسين مؤنس ، محمود يوسف . القاهرة ١٩٥٠م .

٦٥- نورمان ف . كانتور : التاريخ الوسيط ، قصة حضارة : البداية والنهاية . ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم . دار المعارف ١٩٨١م .

٦٦- هارولد أيدرس بل : الهلينية فى مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى . ترجمة زكى على . الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر .

٦٧- هارولد أيدرس بل : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى . نقله عبد اللطيف أحمد على ، محمد عواد حسين . القاهرة ١٩٥٤ م .

٦٨- هـ. أ. ل. فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى . القسم الأول . ترجمة محمد مصطفى زيادة ، والسيد الباز العرينى . دار المعارف ١٩٥٠ م .

٦٩- وجيه غالى موسى : مذكرات فى تاريخ الكنيسة (المجامع المقدسة) .

٧٠- ول ديورانت : قصة الحضارة . جـ١ . م٤ . عصر الإيمان .

٧١- وليم سليمان قلادة : الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية . القاهرة . دار الكتاب العربى .

٧٢- أرشيدياكون وهيب عطا الله جرجس (حالياً نيافة الأنبا غريغوريوس) : تعليم كنيسة الاسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح . ١٩٦١ م .

٧٣- يوحنا لورنس فان موسهيم : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة . ترجم من اللاتينية إلى الإنجليزية بواسطة يعقوب مردوك الأمريكانى . وترجمه إلى العربية القس هنرى هرسى جسب الأمريكانى . بيروت ١٨٧٥م .

٧٤- يوسف إلياس الدبس مطران بيروت المارونى : تاريخ سوريا الدنيوى والدينى . المجلدات ٣، ٤، ٥ . بيروت ١٨٩٩ م .

٧٥- يوسف الشماس : خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية . لبنان .

٧٦- يوسف جرجس وردة الدمشقى : كتاب الشهب الصبحية فى الكنيسة المسيحية . طبعة أولى بالمطبعة العمومية بمصر ١٩٠١ م .

٧٧- يوسف منقريوس : تاريخ الأمة القبطية مدى العشرين سنة الماضية . القاهرة .

٧٨- مجهول المؤلف : تاريخ الكنيسة - ترجم من اللغة الإنجليزية فى أورشليم سنة ١٨٩٢ م .

٤- دوريات

١- جريدة وطنى : الأحد ٢١ سبتمبر ١٩٨٦ م . الصفحة الثانية . مقال للأنبا غريغوريوس بعنوان "معلمنا ديوسقورس " .

٢- رسالة الشباب الكنسى رقم ٦٥ فى ديسمبر ١٩٩٠ م . تصدرها أسقفية الشباب .

٣- مجلة الكرازة : أ- أعداد مارس وأبريل ومايو ١٩٦٧ م . وبها مقال للأنبا شنودة أسقف التعليم (حالياً قداسة البابا شنودة الثالث) بعنوان : " هل حدث لقاء بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنائس الخلقيدونية " .

ب - العدد ٤٣ ، ٤٤ للسنة الثامنة عشرة الجمعة ٧ ديسمبر ١٩٩٠ م .

جـ - أعداد ١٥،١٦/ ١٩،٢٠/ ٢٣،٢٤/ ٤٥،٤٦ للسنة السادسة والعشرين الجمعة ٢٤ أبريل ، ١٥ مايو ، ١٢ يونيو ، ٢٧ نوفمبر ١٩٩٨ م على التوالى .

٤- مجلة مرقس : عدد أكتوبر ١٩٨٦ م .

ثانياً : المصادر والمراجع الأجنبية .

1- A melineau (E.): La Geographie de L'Egypte A l'epoque Copte .

2- Atiya (A. S.) : A history of Eastern Christianity . London . 1968 .

3- Bury(J. B.) : History of the Later Roman Empire . Vol. 1,2 . New York . 1958 .

4- Bury (J. B.) ,M. A. F. B. A. : The Cambridge Mediaeval History . Vol . 1,2 .

5- Cauwenbrgh (P. V.) : Etude sur les moines D'Egypte . Depuis le Concile de Chalcedoine (451) jusqu'a l'invasion Arabe (640). Paris imprimerie nationale .

6- Cross (F. L.) and livigstone (E. A.)(Editors) : the Oxford Dictionary of the Christian Church . Second Edition .

7- Deanesly (M.) : A history of the Medieval Church . 590-1500. London .

8- Evelyn White (H. G.) : The Monasteries of the Wadi'n Natrun . Part II . 1932 .

9- French (R. M.): The Eastern Orthodox Church . 4th impression . London . 1964 .

10- Frend (W. H. C.) : The Rise of the Monophysite Movement . Cambridge , Eng. , University . 1979 .

11- Hardy (E. R.) : Christian Egypt : Church and People . Christianity and Nationalism in the Patriarchate of Alexandria . New York . 1952 .

12- Harnack (A.) : History of Dogma . Vol. 4 . New York . 1958 .

13- Hastings (J.) : Encyclopedia of religion and Ethics . Vol. VIII . Second Edition . Edinburgh (England) 1930 .

14- Hishmat Messiha : Supplement aux annales du Service des antiquites de L'Egypt, Cahier, No. 29 ,Findsform. Com Ichkaw. 1. Fragments of Coptic and Greek Papyri from (Kom Ichkaw), le Caire. 1983.

15- Iris H. Elmasry : Introduction to the Coptic Church. Printed by Dar El Alam El Arabi. 1977.

16- Kretschmar (G.) And others : The Councils of the Church, history and analysis. Philadelphia, Fortress Press 1966.

17- Magoulias (H. J.) : Byzantine Christianity : Emperor, Church and the West. Chicago. 1970.

18- Ostroorsky(G.): History of the Byzantine state .Translated from the Germany by Joan Hussy. New York. 1957.

19- Schaff(ph.): History of the Christian church vol. 1,2.

20- Schaff(ph.), D. D., LL. D., and Henry Wace, D. D., : Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian church. Second series. Translated into English.

A)Volume XII. : Leo the great, Gregory the great. 1956.

B)Volume XIV. : The seven ecumenical Councils. 1956.

21- Stevenson (J.) : Creeds, Councils and Controversies, Documents illustrative of the history of the Church .A. D. 337-461. (Edited by J. Stevenson) New York. The Seabury press. 1966.

22- Whitham (A. R.), M. A. : The history of the Christian Church to the separation of east and west. 4th edition. London. 1931.

الفهرس

الباب الثالث

الفترة الأولى من الصراع الخلقيدونى (٤٥١-٤٧٥م)

الباب الرابع

العلاقات فى عهد التوفيق (٤٧٥-٥١٨م)



يطلب من :
بيت الشمامسة القبطي بالجيزة ت:٥٧٢٠٤٠٥
و المكتبات.